

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جَامِعَةُ أمّ القُرى



بحوث

مُلتقى التربية بالقرآن

مناهج وتجارب

لعام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

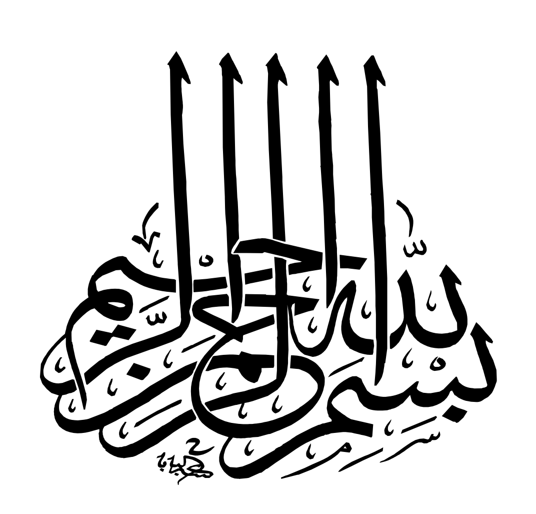
(المجلد الثاني)

بحـوث

ملتقى التربية بالقرآن

مناهج وتجارب

المجلد الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

تكلمة أبحاث المحور الثاني

التربية بالقرآن (الآثار والنتائج، في ضوء السيرة النبوية)

- التربية النبوية بالقرآن الكريم .
- المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم .
- التربية بالقرآن (الآثار والنتائج) في ضوء السيرة النبوية .
- تأثر الصحابة بالقرآن واستجابتهم له.
- التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية .
- التربية بالقرآن في مدرسة النبوة .
- الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية .
- هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة على تدبر القرآن .



التربية النبوية بالقرآن الكريم

إعداد

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعن، أما بعد:

فهذا ملخص بحث بعنوان (**التربية النبوية بالقرآن الكريم**).

قام هذا البحث على بيان المنهج النبوي في التربية بالقرآن ذلك أن النبي ﷺ هو المعلّم المربّي الذي عاش القرآن الكريم تنزّلا وتعليمًا، وعلى مدى تأثر الصحابة الكرام الرعيل الأول بهذه التربية الفذة، كما ربط البحث ذلك بواقعنا اليوم حرصا على النهوض بهذه المحاضن المهمة، لتؤدي مهمتها على الوجه المطلوب.

وقد جاء البحث، موزّعًا على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، فثبت المصادر والمراجع، وكان المبحث الأول عن نماذج نبوية للتربية بالقرآن الكريم، في حين جاء المبحث الثاني متحدثا عن أثر التربية بالقرآن الكريم على الصحابة ﷺ ، ثم أُفرد المبحث الثالث بعنوان (معلمو القرآن صفات، وتوصيات)، ثم جاءت خاتمة هذا البحث؛ مشتملة على العديد من الوصايا، منها: إقرار مادة (التربية بالقرآن)، و تخفيف تكدّس المنهج المساند في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، و إعادة النظر في توزيع منهج الحفظ على سنوات الدراسة، و تكييف الوقت للإفادة من حلقات التحفيظ تربويًّا، و تقليل العدد في الحلقة الواحدة أو الفصل الدراسي، واعتماد التفسير الميسر للآيات المحفوظة، وغيرها من التوصيات.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ١٧/ ٩]، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين القائل: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ "[١] ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد! فإن من نعم الله تعالى العظيمة ما يسّره لنا من الذِكر، والادّكار فيه، والتربية عليه، ومن تمام هذه النعم قيام المحاضن التربوية القرآنية التي عمَّ نفعها أقطار الأرض بفضل الله تعالى، تلك المحاضن القرآنية التي تُعنى بالناشئة فتحفظهم بإذن الله تعالى من الزلل، وتسهم في صلاح قلوبهم وإحسان العمل، ذلك أن من علم ابنه القرآن علّمه القرآن كل شيء، ومن أراد صلاح قلبه وولده وأخيه فليزم القرآن الكريم.

وقد حرصت في هذا البحث المعنون بـ (التربية النبوية بالقرآن الكريم) على بيان المنهج النبوي في التربية بالقرآن ذلك أن النبي ﷺ هو المعلّم المربّي الذي عاش القرآن الكريم تنزّلا وتعليمًا، وعلى مدى تأثر الصحابة الكرام الرعيل الأول بهذه التربية الفذة، كما ربطت ذلك بواقعنا اليوم حرصا على النهوض بهذه المحاضن المهمة، لتؤدي مهمتها على الوجه المطلوب.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥٩)، وسنن ابن ماجه (١/ ٧٩).

وقد جاء البحث، موزّعًا على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، فثبت المصادر والمراجع، وكان المبحث الأول عن نماذج نبوية للتربية بالقرآن الكريم، في حين جاء المبحث الثاني متحدثا عن أثر التربية بالقرآن الكريم على الصحابة ﷺ، ثم أُفرد المبحث الثالث بعنوان (معلمو القرآن صفات، وتوصيات)، ثم جاءت خاتمة هذا البحث.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين. وأن يجعل ثوابه لي ولوالديَّ ووالديهم وللمسلمين، شاكرا كل من أعان على إتمام هذا العمل، وخروجه بهذا الوجه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المبحث الأول : نماذج نبوية للتربية بالقرآن الكريم

حفلت حياة النبي المعلِّم ﷺ بالعديد من النماذج التي تمثلت فيها تربيته ﷺ بالقرآن الكريم، واستشهاده بآياته الكريمة موظِّفًا إياها في التربية والتوجيه، والنصح والإرشاد، لتقويم اعوجاج، أو تحفيز على طاعة، أو حث على خير، أو نحو ذلك من مناحي الحياة المختلفة.

ذلك لما لكتاب الله عز وَجل من الْأَثر العظيم فِي تَهْذِيب نفوس الصَّحَابَة وتربيتهم كَيفَ لَا وَهُوَ كتاب الله المعجز الَّذِي تَأْخُذ فَصَاحَته بالألباب. وتؤثر مَعَانِيه فِي الْقُلُوب وَلَو نزل على الْجبَال الراسيات لصدّعها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] هُوَ الَّذِي لم تتمالك الْجِنّ إِذْ حَضَرُوهُ إِلَّا أَن ﴿قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[2] وَقَالُوا أَيْضا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ﴾[3].

وَلَقَد شهد بتأثير الْقُرْآن وفصاحته وعلوه الْمُشْركُونَ الَّذين عاندوه وَكَفرُوا بِهِ فالوليد بن الْمُغيرَة عِنْدَمَا قَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِي "الْقُرْآن قَالَ: ((وَالله إِن لقَوْله الَّذِي يَقُول حلاوة، وَإِن عَلَيْهِ لطلاوة وَإِن أَعْلَاهُ لمثمر، وَأَن أَسْفَله لمغدق وَإِنَّهُ ليعلو وَمَا يعلى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ ليحطم مَا تَحْتَهُ " [4].

---

(١) سُورَة الْحَشْر: آيَة/٢١

(٢) سُورَة الْأَحْقَاف: آيَة/٢٩

(٣) سُورَة الْجِنّ: آيَة/ ١

(٤) أخرجه الْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك (٢/٥٠٦، ٥٠٧) وَأخرجه الْبَيْهَقِيّ فِي دَلَائِل النُّبُوَّة (٢/١٩٨، ١٩٩) .

هَذَا الْقُرْآن الْعَظِيم معْجزَة مُؤثرَة على طول الزَّمَان تدل على صدق مُحَمَّد ﷺ وَلذَلِك كَانَ ﷺ يَرْجُو أَن يكون بِهَذِهِ المعجزة أَكثر الْأَنْبِيَاء تَابعا، فَفِي الحَدِيث عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " ما من الْأَنْبِيَاء إِلَّا قد أعطي من الْآيَات مَا مثله آمن عَلَيْهِ الْبشر. وانما كَانَ الَّذِي أُوتيت وَحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أَن أكون أَكْثَرهم تَابعا يَوْم الْقِيَامَة "(١).

و" التربية القرآنية للأفراد والجماعات تتضمن منظومة قيمية رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها في وحدة متسقة: اجتماعيا، ونفسيا، وخلقيا. ومن ثم فإنها تسير في طريقين متوازنين لا ينفكان أبدا :

أولهما: يبدأ بالتنفير من السلوكيات الشائنة المستهجنة.

والثاني: يبدأ بالجذب إلى السلوكيات الرشيدة المستحسنة" (٢).

من هنا سأتشرف بالإشارة إلى جوانب من تربية الرسول الكريم ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم في جوانب متعددة ، وصور مشرقة على النحو الآتي:

التربية ببيان فضل القرآن:

من جوانب التربية المهمة التي تعامل بها رسول الله ﷺ مع صحابته الكرام ﷺ فيما يتعلق بالقرآن الكريم بيان فضل هذا القرآن الكريم، وعظم منزلته، وثواب تلاوته، وغير خافٍ ما في هذا الحث من أهمية قصوى؛ ذلك أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره وترداده وتلاوته، وفي العادة أن كثرة تلاوة القرآن الكريم تكون سببًا رئيسًا مباشرًا في التأثر به ، والتأدب بآدابه، والتحلي بأخلاقه، من هنا كان من المهم التركيز على التربية ببيان أهمية تلاوته والحث عليها.

---

(١) أخرجه البُخَارِيّ (٣/٩) وَأخرجه مُسلم (١٣٤/١)

(٢) الإعجاز التربوي في القرآن الكريم ٦

وهذا ما نجده في النصوص النبوية الكثيرة، التي كَانَ يحدوهم بها ، ومن ذَلِك ما ورد من الثَّوَاب لمن تَلا الْقُرْآن وتدبره وَعمل بِهِ كَتلاوته ﷺ عليهم قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾[1].

وَقَوله ﷺ: "الماهر بِالْقُرْآنِ مَعَ السفرة الْكِرَام البررة وَالَّذِي يقْرَأ الْقُرْآن وَهُوَ عَلَيْهِ شاق لَهُ أَجْرَانِ "[2].

ونحو قَوله ﷺ: "يُقَال لصَاحب الْقُرْآن اقْرَأ وارق ورتل كَمَا كنت ترتل فِي الدُّنْيَا فَإِن مَنْزِلك عِنْد آخر آية تقرأها"[3].

وقوله ﷺ يَقُول: "من قَرَأَ حرفا من كتاب الله فَلهُ بِهِ حسنه والحسنة بِعشر أَمْثَالهَا. لَا أَقُول آلم حرف وَلَكِن ألف حرف وَلَام حرف وَمِيم حرف"[4].

ونحو ذلك من الْأَحَادِيث الواردة فِي هَذَا الْبَاب ، وهي كَثِيرَة مَعْرُوفَة تدل على فضل قِرَاءَة الْقُرْآن وَحفظه وملازمة ذَلِك[5].

---

(١) سُورَة فاطر: آيَة/٣٠.

(٢) صَحِيح البُخَارِيّ (٦٩١/٨) وَمُسلم ٧٩٨

(٣) سنَن التِّرْمِذِيّ (٢٩١٥) . وَسنَن أبي دَاوُد (١٤٦٤) وَرَوَاهُ أَحْمد (١٩٢/٢) والحَدِيث إِسْنَاده حسن.

(٤) أخرجه التِّرْمِذِيّ (٢٩١٢) . وَإِسْنَاده صَحِيح.

(٥) ينظر: وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته : ١٤٥ .

التربية بالحث على التدبّر :

ومما أولاه رسول الله ﷺ عنايته في التربية بالقرآن الكريم التربية على تدبّر هذا الكتاب العظيم وفهم معانيه، والتأثر به عند تلاوته.

من ذلك تلاوة رسول الله ﷺ آيات قرآنية كريمة تحث على التدبر، من نحو قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١)، وقوله تعالى :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٢) وغير ذلك من الآيات الكريمات في هذا الباب.

ومن ذلك الحث الصريح منه ﷺ على تدبر الآيات القرآنية والتحذير الشديد لمن ترك التدبر، ومن ذلك ما جاء عَنْ عَطَاءٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فقَالَ أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا قَالَ فَقَالَتْ دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ قَالَ بن عُمَيْرٍ أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله ﷺ قال فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" قُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها [آل عمران: ١٩٠] (٣).

---

(١) الْآيَة (٢٩) سُورَة ص.

(٢) الْآيَة (٨٢) سُورَة النِّسَاء .

(٣) صحيح ابن حبان (٢/ ٣٨٧)، وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد (٢/ ٢٤١).

التربية باستماع الرسول ﷺ القرآن :

من الوسائل التي ربّى بها الرسول المعلّم ﷺ صحابته الكرام ﷺ على القرآن الكريم استماعه ﷺ لقراءتهم ، والثناء على حسن أصواتهم، وربطهم بالقدوات السابقة ، وهذا ما كان من الثناء النبوي الكريم على قراءة أبي موسى الأشعري ﷺ ، وتشبيهه ﷺ قراءته بقراءة داود النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وذلك ما جاء عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَوْتُ رَجُلٍ يَقْرَأُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " تُرَاهُ مُرَائِيًا؟ " فَأَسْكَتَ بُرَيْدَةُ فَإِذَا رَجُلٌ يَدْعُو. فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ". قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَابِلَةِ خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟ " فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ ". فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ ". فَقُلْتُ: أَلَا أُخْبِرُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " بَلَى فَأَخْبِرْهُ " فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ لِي صَدِيقٌ أَخْبَرْتَنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ(١).

وغير خافٍ ما في هذه الحادثة من معاني التربية النبوية الراقية، ومن اللمسات التوجيهية، في الثناء على أهل القرآن، وفي نشر فضائلهم، وفي إطلاق الألقاب

---

(١) مسند أحمد (٣٨/ ٤٥) وسنن الدارمي (٢/ ٩٣٤).

والأوصاف المباركة عليهم، وفي توظيف خاصية التحفيز، وفي إشاعة الثناء على المتفوق بين أقرانه، والإذن لهم بإخباره بذلك الثناء لتحقيق مصالح متعددة، منها اقتداء الأقران بعضهم ببعض في مجالات الخير، ومنها ضمان ذهاب روح الحسد عنهم، وإبدالها بالصداقة والمحبة " أنت لي صديق ".

التربية باستقراء القرآن:

من الجوانب المهمة في تربية الرسول الكريم ﷺ بالقرآن الكريم طلبه ﷺ من أحد الصحابة الكرام ﷺ أن يقرأ القرآن في حضرة النبي ﷺ ، وحسبك في هذا رفعة ومكانة، وهذا ما نقف عليه في الحوار الآسر الآخذ بالألباب بينه ﷺ وبين ابن مسعود ﷺ حين قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» ، قُلْتُ: أَقْرَأُ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» ، قَالَ: فَافْتَتَحْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لِي: «حَسْبُكَ» (١).

أي شعور سيتملك ذلك الشاب المتربِّي وهو يستمع إلى المربِّي الكبير يطلب منه أن يقرأ عليه القرآن الكريم، يا لَه من شرف لا يكاد يوازيه شرف ! يا له من طلب شريف ! أشرفُ الخلق يطلب الاستماع إلى أشرفِ كلام ! بواسطة أحد الشباب ! ما الشعور الذي تملكك حينها يا ابن مسعود ! أي مكافأة نلتها من المربِّي الكريم ﷺ باستماعه قراءتك ؟! أهي مكافأة لتألمك على اضطهاده بمكة على يد الشقي عُقْبَةُ

(١) صحيح البخاري(٤٥/٦)،وصحيح مسلم(٥٥١/١)، والزهد والرقائق لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد(٣٦/١).

بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ[1]دون أن تملك في الدفاع عنه حولا ولا قوة ؟ [2]أم هي مكافاة لك على رد الكلمة الجاهلة من أبي جهل حينما استنقصك بوصفك بـ (يا روعي الغنم)؟ فكبَّر الرسول ﷺ ما استصغر أبو جهل ! أم أنها الدليل العملي على الحديث الصحيح "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ " [3]؟ أم أنه ذلك كله مجتمع ؟ وهو من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء !

التربية بالتأثر عند استماع القرآن:

ومن وجوه التربية بالقرآن الكريم تربية عملية تأثر القوات ومعلّمي القرآن الكريم بالقرآن الكريم، وبكاؤهم في حال استماعه ، ومن ذلك حديث ابن مسعود ﷺ المتقدم قريبًا وفيه أنه رأى تأثر النبي الكريم ﷺ في حال استماعه القرآن الكريم "فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ" ، أي أثر ستتركه العينان الذارفتان في نفوس المتلقين ؟ إنها دموع أبلغ من الخُطب! المتربّي هو الذي قام بجزء من العملية التربوية " فَرَأَيْتُ " ! هو الذي رأى، وهو الذي سيتأثر بهذه الرؤية ما بقي ، وهو الذي سيروي هذه الرؤية لغيره تأثرًا بما رأى.

إنها التربية العملية الصادقة، وهي التي تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، وهي التربية التي لا يخالطها التنميق في الكلام، ولا تزوير الكلام في الرؤوس، إنها التربية الصامتة الأبلغ من الكل نطق " عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ"، اللغة هنا لغة العيون ! القادرة على إخراج المكنون.

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٢٤٢)، و صحيح السيرة النبوية (ص: ١٨٠).

(٢) ينظر: تفسير المنار (٢/ ٢٥٢)، و إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ١٠٨)

(٣) صحيح مسلم (١/ ٥٥٩)، وسنن ابن ماجه (١/ ٧٩).

التربية بإسماع القرآن الكريم :

من صور التربية بالقرآن تلك الصورة الفريدة التي يطلب فيها المعلّم المربّي الرسول الكريم ﷺ من أحد المتربين أن يستمع المتربي منه القراءة، ويشفع هذا الطلب المشرّف بخبر من السماء يحمل في طياته البشرى العظيمة، وهي أن هذا الطلب إنما هو بتسمية خاصة من الله تعالى الذي تكلم بهذا الكتاب العظيم وأنزله على رسوله ومصطفاه ﷺ، أيُّ بشارة سماويّة تُزفُّ إليكَ يا أُبيُّ بن كعب ؟! رضي الله عنك ما أهنأك بهذه البشارة التي استقبلتها بالغبطة والسرور وغلبة بكاء الفرح ودموع التواضع !

بشرى يا لها من بشرى رواها أَنَسٌ رضي الله عنه ، حين قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيِّ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ» قَالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي» فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قَالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ:﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البينة: ١] (١)، وحقيق بك أن تتساءل متعجبا بذهول ، متواضعًا دون غرور : " وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ؟ " فأجابك الرسول الكريم ﷺ: " نَعَمْ " عندها لا عجب من أُبيّ أن " ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ " (٢).

التربية بإعمال الذهن بالتساؤلات حول القرآن الكريم :

من الوسائل التربوية النبوية ما اتخذه الرسول الكريم ﷺ من تربية صحابته الكرام على العيش مع القرآن الكريم من خلال إعمال أذهانهم في آيات القرآن وسوره في أيها أفضل ؟ تحريكًا للأذهان، وتعايشًا مع القرآن، ووصولا إلى المعلومة عن طريق السؤال والجواب الذي يكفل استقرار المعلومة، ورسوخها في ذهن المتربي.

---

(١)صحيح البخاري (٦/ ١٧٥)، وينظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص: ٣٥٩).

(٢) صحيح البخاري ٣٥٩٨، وينظر: صحيح مسلم (١/ ٥٥٠)، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٨٨٥).

ذلك أن " التفكير أرقى أشكال النشاط المخي المنتج لدى الإنسان إذا اقترن بالخيال السليم، وينفرد به الإنسان لأنه يستلزم بيئة اجتماعية أبرز مقوماتها اللغة والمعرفة، وهما خاصتان بالإنسان"(١).

وهذا ما نجده واضحًا جليًّا في هذا الإلغاز الراقي بين المربِّي والمتربِّي، فيما جاء عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمَ مَعَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» (٢).

وفيه روعة النصّ الحواري بين المربِّي ﷺ وبين المتربِّي الصحابي الجليل أبيّ ﷺ، وجميل أدب الخطاب من الرسول ﷺ بمناداة صاحبه الكريم بكنيته، احترامًا له على عادة العرب في تقدير من تخاطب بتكنيته ، على حد قول الشاعر:

أكْنيه حينَ أُناديهِ لأكْرِمَه ولا ألقِّبُهُ والسوءة اللَّقب (٣)

ثم أفاده رسول الله ﷺ بالجواب على السؤال، لتثبت الفائدة على أن عِظَم آية الكرسي، كبير منزلتها في كتاب الله تعالى.

---

(١) تفكير بلا حدود ٦٩ .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٣٤٤)، وشعب الإيمان (٤/ ٥٢)

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٧٣)، وأساس البلاغة (٢/ ١٧٦)

المبحث الثاني : أثر التربية بالقرآن على الصحابة رضي الله عنهم

هَذَا الْقُرْآن الْعَظِيم تلقّاه الصَّحَابَة ﷺ بشغف عَجِيب يتلونه ويتدبرونه ويعملون بِهِ وَكَانَ النَّبِي ﷺ يربيهم بِالْقُرْآنِ ويتمثل أمامهم بآداب الْقُرْآن فَكَانَ خلقه الْقُرْآن وهديه الْقُرْآن (كما مرَّ في المبحث السابق).

ولذا تعددت المواقف الإيمانية الرائدة التي تمثَّل فيها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم القرآن الكريم في حياتهم اليومية، وكان هو الضابط في قراراتهم المصيرية، سواء منها ما يتعلق بأمور تنظيم الدولة، وما كان منها على المستوى الشخصي، على ما سأعرضه متشرِّفًا في هذا المبحث، وذلك على النحو التالي:

اعتبار القرآن الكريم في مهام الدولة :

نزل القرآن الكريم على المجتمع العربي الذي كان يقيم للأعراف وزنها، وللعصبيات مكانتها، وللتفريق بين أبناء القبائل وغيرهم غاية التفريق، فكان التحدي الكبير أن يتأثر النخبة المباركة من الصحابة ﷺ بالقرآن الكريم، تأثرًا جعلهم يقدمون أهله على غيرهم وإن كانوا أقلَّ منهم في المعايير السائدة في تلك المجتمعات، فكان من الانتصار لأثر التربية بالقرآن أن يُقدَّم المولى على الأسياد في تولّي الإمارة، والمعيار في ذلك حمل هذا المولى للقرآن الكريم الذي ترسّخ في (الوعي الجمعي) لدى المجتمع النقيّ مجتمع تلاميذ النبيّ ﷺ ، وهذا ما نجده في هذه الحادثة المشرقة فيما جاء عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُسْلِمٍ الْمَكِّيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخُزَاعِيَّ عَلَى مَكَّةَ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى قَالَ: اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ اللهِ رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي؟ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى قَامَ فِي

الْغَرْزِ، قال: فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُهُ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِدِينِ اللَّهِ قَالَ: فَتَوَاضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى لَصَقَ بِالرَّحْلِ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ قُلْتُ ذَلِكَ؛ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهَذَا الدِّينِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ"(١).

فتأثر الصحابة الكرام ﷺ بالقرآن الكريم باد في مثل هذه الحادثة، إذ إن الأثر التربوي للقرآن الكريم ظهر من استعمال نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخُزَاعِيَّ ابن أبزى رضي الله عنهما على مكة حيث أهل الله ، لمعيار مهم كونه من أهل القرآن الكريم، وهو الذي جعل عمر ﷺ يتواضع لهذا المعيار ويقرّه بعدما كان مستنكرا ذلك الصنيع ، لإيمانهم جميعا بما ربّاهم معلِّمهم ﷺ عليه من أن الله " يَرْفَعُ بِهَذَا الدِّينِ أَقْوَامًا " ابن أبزى منهم، ﷺ أجمعين.

التربية بالقرآن الكريم على الإنفاق :

مما بدا واضحًا جليًّا في حياة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ثقافة الإنفاق المتأثرة غاية التأثر بالتربية القرآنية التي عاشها الصحابة الكرام في حياتهم، وتعاملوا بها في ممتلكاتهم، والنماذج في ذلك متعددة، منها: ما جاء في الموقف الإيماني المتميز في النفقة السخيّة التي جادت بها نفس أبي طلحة، فيما رواه أنس بن مَالك ﷺ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَة ﷺ أَكثر الْأَنْصَار بِالْمَدِينَةِ مَالا من نخل وَكَانَ أحب أَمْوَاله إِلَيْهِ بيرحاء. وَكَانَت مُستقبلة الْمَسْجِد وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يدخلهَا وَيشْرب من مَاء فِيهَا طيب قَالَ أنس: فَلَمَّا أُنزلت هَذِه الْآيَة ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢) قَامَ أَبُو طَلْحَة إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: يارسول الله إن الله تبَارك

---

(١) أخبار مكة للأزرقي (٢/ ١٥١)، وسنن الدارمي (٤/ ٢١١٩) .

(٢) الْآيَة (٩٢) سُورَة آل عمرَان.

وَتَعَالَى يَقُول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وَإِن أحبّ أَمْوَالِي إِلَيّ بيرحاء، وَإِنَّهَا صَدَقَة لله أَرْجُو برّها وَذُخْرهَا عِنْد الله، فضعها يَا رَسُول الله حَيْثُ أَرَاك الله. قَالَ: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : " بخ ذَلِك مَال رابح ذَلِك مَال رابح، وَقد سَمِعت مَا قلت. وَإِنِّي أرى أَن تجعلها فِي الْأَقْرَبين " فَقَالَ أَبُو طَلْحَة: أفعل يا رسول الله فَقَسمهَا أَبُو طَلْحَة فِي أَقَاربه وَبني عَمه[1]، إِنَّهَا صُورَة رائعة للاستجابة والمبادرة إِلَى الْخَيْر والحرص على الْبر والزهد فِيمَا تحب النَّفس ابْتِغَاء لِلْأجرِ وطلبًا للذخر عِنْد الله تَعَالَى.

إن آية كريمة واحدة تملأ قلب الصحابي الجليل إيمانا بأن ما عند الله خير مما في يده من محبوباته، فتجعله يخرج منها ابتغاء نيل البرّ، إن هذا التأثر الكبير بآية من آيات القرآن الكريم لبرهان ساطع على مدى ما وصلت إليه نفوس الصحابة الكرام المتأثرين بالتربية القرآنية المستفادة من خير البريةﷺ .

وحول التأثر بإنفاق النفائس نقف على موقف إيماني تربوي آخر، جاء استجابة لهَذِهِ الْآيَة الكريمة ذاتها: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ ذلكم الموقف الذي قام به الخليفة الراشد عمر ابْن الْخطاب ﷺ ، وهو مَن هو في المسَّابِقة إلى الخير؛ وذلك حينما قَالَ ﷺ : يارسول الله، لم أُصِبْ مَالا قطُّ هُوَ أنفسُ عِنْدِي من سهْمِي الَّذِي بِخَيْبَر، فَمَا تَأْمُرنِي بِهِ؟ قَالَ: "حَبّس الأَصْل وسَبِّل الثَّمَرَة"، فَتَصَدَّقَ بهَا عُمَرُ أَن لا يُباع وَلَا يُوهب وَلَا يُورث، وَتَصَدَّقَ بهَا فِي الْفُقَرَاء وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرّقاب وَفِي سَبِيل الله"[2] ويالها من تربية قرآنية بليغة جعلت الصحابة الكرام يتحرون نفائس مَالهم، وينفقون مَا تحبه نُفُوسهم ﷺ.

---

(١) أخرجه البُخَارِيّ (٣/٣٢٥)، وينظر : وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته (ص: ١٤٦).

(٢) صَحِيح البُخَارِيّ (٥/٣٥٤) وَمُسلم (٣/١٢٥٥) ، ومسند الشافعي (ص: ٣٠٨)، و السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٦٨)

ومما يدخل في هذا الباب التربوي البديع ما رواه ابْن عمر رَضِي الله عَنْهُمَا عن نفسه إذ يَقُول: حضرتني هَذِه الْآيَة ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ فَذكرت ما أعطاني الله فَلم أجد شَيْئا أحبّ إليّ من جَارِيَة لي رُومِية فَقلت: هِيَ حرَّة لوجه الله فَلَو أَنِّي أَعُود فِي شَيْء جعلته لله لنكحتها"[1] ، فعجبًا لهَذِهِ النُّفُوس الَّتِي ربَّاها الْقُرْآن وَجعلهَا تُؤثر الْآخِرَة الْبَاقِيَة على الدُّنْيَا الفانية، وواضح من ختام قول ابن عمر ﷺ في هذه الحادثة أن الذي أنفق – أعني الجارية –كان مما يحب، لكنه تركه ﷺ لما هو أحب ؛ وهو نيل البرّ الموعود بالآية القرآنية الكريمة، إن ذلك حقا لهو التأثر بالتربية القرآنية.

وهذا أبو الدحداح ﷺ المتربِّي في المدرسة النبوية على التربية القرآنية يخرج من حائط له كان متعته ومتعة أهله، خرج منه إقراضا لله تعالى، يحدِّثنا بذلك ابن مسعود ﷺ قائلا: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[2] قَالَ أَبُو الدحداح: يا رسول الله وَإِن الله يُرِيد منا الْقَرْض؟ قَالَ ﷺ: "نعم يَا أَبَا الدحداح". قَالَ: فَإِنِّي أقرضت رَبِّي حائطي. وَكَانَ فِيهِ سِتّمِئَة نَخْلَة. ثمَّ جَاءَ يمشي حَتَّى أَتَى الْحَائِط وَفِيه أم الدحداح فِي عيالها فناداها: يَا أم الدحداح. قَالَت: لبيْك. قَالَ: اخْرُجِي، فَإِنِّي أقرضت رَبِّي حائطي. قَالَت: لبيْك[3]، إن التربية بالقرآن الكريم تأثرا وانقيادًا حملت أبا الدحداح ﷺ أن يخرج من حائط ذي ستمئة نخلة يخرج منها دفعة واحدة لأنه تربى على يد المربِّي الصادق محمد ﷺ: الذي أجبه "نعم يَا أَبَا الدحداح"، فأعقب ذلك أبو الدحداح

---

(١) أخرجه الْبَزَّار فِي مُسْنده.(٤٢/٣) وَالْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك (٥٦١/٣)، وينظر: تفسير ابن كثير (٦٣/٢).

(٢) سُورَة الْبَقَرَة: آيَة/٢٤٥.

(٣) كشف الأستار فِي زَوَائِد الْبَزَّار (٤٣/٣) ومسند أبي يعلى الْموصِلِي (٤٠٤/٨) والمعجم الْكَبِير للطبراني (٣٠١/٢٢)

ﷺ على الفور دون تراخٍ " فَإِنِّي أقرضت رَبِّي حائطي" (فإنِّي) مباشرة، ومن اكتمال المشهد الآسر الذي يبين ممدى التأثر الجماعي بالتربية القرآنية ما جاء في جواب المرأة المؤمنة الزوجة الصالحة أم الدحداح التي لم تعارض زوجها فيما أقدم عليه من خير، ولم تزعزعه فيما عزم عليه من نفقة ، وإنما تلطفت معه طائعة مشاركة في الخير بقولها رضي الله عنها "لبيك"! يا لها من استجابة ما أحسنها، المجتمع بأسره بفئاته المختلفة رجاله ونسائه بدت عليه آثار التربية القرآنية الرائدة.

التربية بالقرآن الكريم على الخوف من الوعيد:

لَقَد كَانَ لكتاب الله تَعَالَى وآياته الكريمة التَّأْثِير الْعَظِيم فِي قُلُوب الصَّحَابَة فحرك مشاعرهم وهزّ أحاسيسهم وملأ قُلُوبهم خشيَة من الله وتعظيمًا لَهُ حَتَّى إِن أحدهم يخْشَى أَن يكون هُوَ الْمَقْصُود بوعيد الْقُرْآن إذا توعَّد، وهو المراد بالتهديد القرآني إذا ورد التهديد، وهذا من شدة ارتباطهم بالقرآن الكريم، وعيشهم معه، وشعورهم المرهف أن القرآن الكريم إنما يخاطب كل فرد منهم، وهذا المعنى الذي جسَّده ابن مسعود ﷺ بقوله: " أرعها سمعك ".

ولأجل ذلك رأينا هذا الموقف العجيب النابع من الحس المرهف، حين نزل قَول الله تَعَالَى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(١) كَانَ ثَابت بن قيس بن الشماس ﷺ رفيع الصَّوْت، فَقَالَ: أَنا الَّذِي كنت أرفع صوتي على رَسُول الله ﷺ أَنا من أهل النَّار حَبط عَمَلي وَجلسَ فِي أَهله حَزينًا يبكي. فَفَقدهُ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ رجل: يا رسول الله أَنا أعلم لَك علمه فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ فِي بَيته منكّسًا

(١) سُورَة الحجرات آيَة (١) .

رَأسه فَقَالَ: مَا شَأْنك. فَقَالَ: ثَابت ﷺ : أنزلت هَذِه الْآيَة وَلَقَد علمْتُم أَنِّي من أرفعكم صَوتا على رَسُول الله ﷺ فَأَنا من أهل النَّار فَأتى الرجل النَّبِي ﷺ فَأخْبرهُ فَقَالَ النَّبِي ﷺ : " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقل لَهُ: إِنَّك لست من أهل النَّار وَلَكِن من أهل الْجنَّة "[١]، إنها التربية القرآنية التي جعلتهم يقفون عند الوعيد خائفين كما وقفوا عن الوعد راجين، ومن فضل الله تعالى في هذه الحادثة أن خوف ثابت بن قيس ﷺ انقلب أمنًا، وأن البشرى بالجنة جاءته ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ .

وقد بلغت رهافة الحس، والأدب النابع عن التربية بالقرآن إلى أنَّ عمر بن الْخطاب ﷺ الذي كَانَ جَهورِي الصَّوْت لما نزلت آية الحجرات المتقدمة صَار إِذا خَاطب النَّبِي ﷺ يهمس همسًا خشيَة أَن يحبط عمله. يَقُول ابْن الزبير رَضِي الله عَنْهُمَا: " فَمَا كَانَ عمر ﷺ يُسمِع رَسُول الله ﷺ بعد هَذِه الْآيَة حَتَّى يَسْتَفْهِمهُ"[٢] حَقًّا لقد كَانَ الصَّحَابَة ﷺ جيلاً قرآنيًا فريدًا ترى أحدهم كَأَنَّهُ مصحف يمشي على الأَرْض يتغلب أحدهم على مشاعره وَيُخَالف هوى نَفسه ليستجيب لِلْقُرْآنِ ويتمثل لِلْقُرْآنِ، وهذا الذي حوَّل عمر ﷺ الشديد المهاب إلى رجل يهمس في حضرة النبي ﷺ همسًا!

التربية بالقرآن الكريم في ترك الغضب والانتصار على حظوظ النفس:

ومن عظيم تأثر الصحابة الكرام بالتربية القرآنية انتصارهم على أنفسهم، وتركهم ما قد قرروا استجابة لله تعالى، وامتثالا لتعاليم القرآن الكريم، ومن أبرز ما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال الموقف العظيم لخير الصحابة أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه مع من آذاه في عرضه وتكلم في شرف ابنته الصديقة رضي الله عنها، مما ألقى بجرانه

---

(١) البُخَارِيّ (٨/٥٩٠) وَمُسلم (١/١١٠)، و أحمد (١٩/ ٣٩١)، و شرح مشكل الآثار (١/ ٣١٣).

(٢) أخرجه البُخَارِيّ (٨/٥٩٠) ، وينظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٥٢)، وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٤٢).

على المجتمع المدني بأسره في حادثة الإفك الأليمة. ذلك أنه لما وَقع من مسطح بن أَثَاثَة ـ وَهُوَ ابْن خَالَة أَبى بكر رضي الله عنهما مَا وَقع من الْكَلَام فِي عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا فِي قصَّة الْإِفْك قَالَ أَبُو بكر ﵁: وَالله لَا أنْفق على مسطح شَيْئا أبدا بعد الَّذِي قَالَ لعَائِشَة، وَفِي رِوَايَة وَالله لَا أنفعه بنافعة. فَلَمَّا نزل قَول الله تَعَالَى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) ، قَالَ أَبُو بكر: بلَى وَالله أحب أَن يغْفر الله لي فَرجع إِلَى النَّفَقَة الَّتِي كَانَ ينْفق عَلَيْهِ وَقَالَ: وَالله لَا أَنْزعهَا عَنهُ أبدا(٢)، وعند تصوّر حجم قصة الإفك، وشدة وقعها على آل أبي بكر جميعًا ﵃، ومع استشعار أن مسطحًا ﵁ كان قريبًا لهم والظلم من ذوي القربى أشد وأنكى، باستشعار ذلك كله، نجد أن أوبة أبي بكر ﵁ إلى النفقة على مسطح وعدم نزعها عنه مرة أخرى، نجد أنه قرار صعب، وانتصار على النفس عظيم لا يقوى على مثله إلا ذوو النفوس الكبيرة وأبو بكر ﵁ من أوائلهم، قرار لا يتخذه إلا مثل أبي بكر ﵁ ممن تربَّى في المدرسة القرآنية على يد محمد ﷺ .

ومثل ذلك في النبل والكرم النابعين من التربية بالقرآن الكريم ما نجده من كظم الشديد القوي عمر بن الخطاب ﵁ غيظه، وانتصاره على نفسه، وتحليه بالعفو مع المقدرة، امتثالا للنصّ القرآنيّ، في حادثة عجيبة حصلت لعمر بن الْخطاب ﵁ حين

---

(١) سُورَة النُّور آيَة (٢٢) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيّ (٨/٤٥٥) ، ومسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٥٢٠)، و الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٢٢).

قَدِم عَلَيْهِ عُيَيْنَة بن حصن ﷺ فَاسْتَأْذن لَهُ الحُرُّ بن قيس ﷺ وَكَانَ من النَّفر الَّذين يدنيهم عمر ﷺ وَكَانَ الْقُرَّاء أَصْحَاب مجَالِس عمر. فَلَمَّا دخل عَلَيْهِ عُيَيْنَة ﷺ قَالَ: هيه يَا ابْن الْخطاب فوَاللَّه مَا تُعْطِينَا الجزل وَلَا تحكم بَيْننَا بِالْعَدْلِ، فَغَضب عمر ﷺ حَتَّى همّ بِهِ. فَقَالَ الحرّ ﷺ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن الله تَعَالَى قَالَ لنَبيه ﷺ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1] وَإِن هَذَا من الْجَاهِلين وَالله ماجاوزها عمر ﷺ حِين تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وقافًا عِنْد كتاب الله[2]، إنه الأثر البالغ للتربية القرآنية، وإلا فما الذي أطفأ نار الغضب المتأججة في نفس عمر ﷺ إلا القرآن والتربية به ، والوقوف عنده ، إن الذي همَّ بالرجل أن يعاقبه مع قدرته على العقاب ووجود المسوّغ لذلك في الاعتداء على مقام الخلافة، والتجني عليه، والاتهام الكاذب، مع وجود تلك المسوغات وُجد الهمّ بالعقاب ، لكنه وُجد ممن وَكَانَ وقافًا عِنْد كتاب الله ! من عمر رضي الله عن عمر الذي غلبت تربيته القرآنية على إرادته البشرية، وقف عند كتاب الله وترك عقاب من استحق العقاب، ﷺ أجمعين.

حقًا إنه تَأْثِير الْقُرْآن فِي حياة الصحابة الكرام ﷺ وتهذيبه نفوسهم وتقويمه أخلاقهم. وَكفى بِكَلَام الله مؤثرا ومربيا لمن كَانَ لَهُ قلب أَو أَلقِي السّمع وَهُوَ شَهِيد.

---

(١) سُورَة الْأَعْرَاف آيَة (١٩٩) .

(٢) أخرجه البُخَارِيّ (٨/٣٠٥،٣٠٤) .

التربية بالقرآن الكريم في الاجتماع على تلاوته ومدارسته :

من الجوانب المهمة أثرت في الصحابة الكرام ﷺ من خلال التربية بالقرآن التي ملأت قلوبهم جانب حب القرآن الكريم والرغبة في مدارسته ، وعدم الاقتصار على تلاوته فحسب، ولذلك كانوا يتدارسونه فهما وتدبرًا ، ومن ذلك ما ثبت عنهم في منهاج تلقيهم القرآن الكريم في مدارسة القرآن فيما جاء عنهم :" كان الرجل منا إذا تعلم عشرَ آيات لم يجاوزهُن حتى يعلم معانيهنّ والعملَ بهنّ"[(١)]، فالمنهاج بيّن واضح، وأثر التربية جليّ ظاهر، تعلم القرآن لفظًا ومعنى، وعملًا، ولذلك فرحوا بذلك المنهاج حتى " قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا" [(٢)].

بل إن الأمر التربوي قد آتى أُكله ، وأينعت ثمرته حتى صار المتربون الصحابة الكرام ﷺ يتنادون لإحياء المجالس بمدارسة القرآن والازدياد منه لتعمر قلوبهم بالإيمان، ولذلك جاء عن غير واحد من الصحب الكرام ﷺ المقولة المشهورة المتداولة بينهم (اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً). فهاو ذا " مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ يَقُولُ لِرَجُلٍ: (اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً). وَمِثْلُه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَة[(٣)]، وفي كونها تصدر متكررة عن أكثر من واحد إشارة إلى أنه منهاج تربوي تمثّله المتربون على مائدة القرآن الكريم.

(١) جامع البيان (١/ ٨٩)، وبحر العلوم (١/ ١١) .

(٢) تأويلات أهل السنة (١/ ٢٠٣)

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٣٢٨)، وينظر : توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم(٢/ ١٤١).

المبحث الثالث : معلمو القرآن الكريم صفات وتوصيات

إن المتصدر لتعليم الناس القرآن الكريم من غير شك قد تبوأ منزلة رفيعة، وحلّ من الشرف مكانة سامية جليلة، كيف لا وهو وريث خير الأنبياء محمد ﷺ ، الذي يعلّم القرآن الكريم، ويربّي به صحابته الكرام ﷺ أجمعين.

ومن هنا جاء في هذا المبحث إلقاء الضوء على أبرز الصفات التي يحسن أن يتحلى بها معلمو القرآن الكريم، منها ما يتعلق بالجانب الشخصي للمعلم، ومنها ما ينبغي عليه فعله نحو طلابه، وسأعرض لها مجتمعة كما يلي:

صفات المربِّي :

كل صفة حسنة فمعلمو القرآن الكريم هم أولى بها وأهلها، وكل خُلق ذميم فهم أولى من غيرهم بالابتعاد عنه ونبذه، ذلك أن الله شرَّفهم بالقرآن الكريم دراسة وتدريسًا، علمًا وعملا، ومن ذلك الصفات العامة المشتركة التي يحسن بالجميع التحلي بها، من مثل:

١- **الصبر على الطلاب وتحمّلهم**، وعدم النظر إليهم باعتبار حالهم الآن لئلا يضيق بهم ذرعًا، بل يحسن بالمعلّم أن يقنع نفسه بالنظر إلى طلابه باعتبار المآلات لكل منهم بإذن الله، فطلاب اليوم في الحلقات أو في مراحل الدراسة الأولى هم غدًا أئمة الحرمين والجوامع، والوزراء، والعلماء، والقادة، ذلك أن أئمة الحرمين والجوامع، والوزراء، والعلماء، والقادة اليوم كانوا هم طلاب التعليم الأولية في يوم مضى! يحدوه في ذلك قول الحبيب المصطفى ﷺ : "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" (١).

---

(١) مسند أحمد (٣٨/ ١٨٨)، و الأدب المفرد (١٤٠)

٢- **التواضع ولين الجانب**، من أهم الصفات التي يحسن بعلّم القرآن الكريم أن يتحلى بها التواضع، ولين الجانب، وعدم التكبر على الطلاب وتقديرهم دون ازدراء ولا انتقاص من قدرهم، ذلك أن الطلاب –كجبلّة الناس – إذا أحبوا أحدًا قبلوا منه، وهذا من أهداف تريس القرآن الكريم أن يتقبل الطلاب عن أستاذهم ما عنده من الخير، وحسب المعلّم أن يستشعر أن الغلظة والفظاظة كفيلة بانفضاض خير الطلاب من عند خير البشر تعليمًا وأحسنهم تقويمًا ﷺ، فما الحال بمن دونه؟ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

٣- **الإحسان إلى الطلاب**، بأنواع الإحسان التي يستطيعها ، الإحسان بالشفاعة الحسنة، الإحسان بالمشاعر، الإحسان بالمال لمن يحتاج، الإحسان بالرأي والنصيحة، الإحسان بالعلم، الإحسان بكل وجه يتأتى فيه الإحسان، والتجربة كفيلة أن يرى المعلم أثر إحسانه على طلابه سلوكًا حسنًا وتربية صالحة، ذلك أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها:

على حدّ قول أبي الفتح البستي:

أَحْسِنْ إلىَ النَّاسِ تَسْتعبدِ قُلُوبَهُم فطَالَما اسْتعبَد الإنْسانَ إحْسَانُ[١]

٤- **القدرة على مراعاة الفروق الفردية**، والانتباه الكبير للمراحل العمرية، وعلى وجه الخصوص عدم أخذ الأطفال بما يزيد على طاقتهم، وما لا تحتمله خصائصهم ومستوى نموهم؛ ذلك أن " الطفل كأي كائن حي، له حدود لا يستطيع تجاوزها، وعقله وفكره ما زال في ريعان النمو والتوسّع، وإدراك الوالدين والمربين إلى درجة نمو

---

(١) ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (ص: ٢٦٧)، ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٢/ ١١١)، الكشكول (١/ ٢٤٠) .

عقل الطفل التي وصل إليها، يسهّل عليهم حل كثير من المشاكل، إذ عندها يعرفون متى يخاطبونه، والكلمات التي يستعملونها ، والأفكار التي يقدمونها" [1]، مراعيا من تلك الفروق المجال الانفعالي، والمجال المهاري، والمجال الجسمي، والمجال العقلي، ومراحل إدراكه، لئلا يعطي الطالب فوق طاقته فينفرّه، ولا ينقصه أقل من تحصيله فيصيبه بالملل، ونمو شعوره بعد استفادته من معلِّمه[2].

٥- **زرع روح التسامح في الطلاب**، وبيان أن منهج القرآن الكريم يدعو إلى الإقناع والقدوة الحسنة حتى فيما يتصل بمسائل العقيدة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

واجبات المربِّي:

مما يحسن بالمربي بواسطة القرآن :

١- أن يربي الناشئ ويقومه بحسن **التجويد**، وعدم اللحن.

٢- أن يربي الناشئ **بالخشوع** عندما يمر بآية تستوجب الخشوع، أو الغضب في الله، أو الحنين إلى الجنة، أو الشعور بمحبة الله.

٣- أن يربي **سلوك** الناشئ فتواصى معه ويتعهده ليعمل بتعاليم القرآن في أثناء الرحلة مع الطلاب وعند التغذية، وتناول الطعام وفي كل المجالات.

---

(١) المنهج النبوي في تربة الطفل ٩٩

(٢) ينظر: مراعاة مبادئ الفروق الفردية ٩١

(٣) ينظر: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ٥٠

٤- أن يربي **عقل** الناشئ بالاستدلال على ما استند عليه القرآن، وبتأمل ما يدل على عظمة الله، وأن يضع أسئلة كثيرة بعد كل درس لتمرين العقل على ذلك(١).

٥- أن يركّز المربّي على آيات **الآداب**، مع المخالط؛ بدءًا بالوالدين، والإخوة، والأزواج، والأولاد، والموافق، والمخالف.

٦- أن يربط المربّي المعلّم بين **الأحداث الفلكية** وبين آيات القرآن الكريم ، ليشبع الطالب رغباته الفطرية من حب الاطلاع والنظر في الفلك، والأمور العلمية التجريبية.

٧- تخوّل الطلاب بين وقت وآخر **بموعظة** قصيرة يحاول فيها أن يلامس قلوبهم، على ألا يثقل عليهم فتصيبهم السآمة.

٨- تعبئة الطلاب **تعبئة نفسية** أنهم في خير مائدة، وأنهم على أفضل الأحوال لعيشهم مع القرآن الكريم، وأن الخيرية قد حصلت لهم بنصّ حديث رسول الله ﷺ :"خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ " (٢).

٩- محاولة زرع **الشفافية** فيهم تجاه القرآن الكريم بأن لا يُقدَّم عليه غيره في جوانب الحياة كلها، ومن ذلك الخشوع عنده والتأثر به؛ ذلك على حدّ قول الحسن بن عبد العزيز رحمه الله : "من لم يردعه القرآن والموت، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع"(٣) .

١٠- تعظيم **السنة النبوية** ، ومكانة الرسول ﷺ من خلال الآيات القرآنية ؛ كأن يتدارس الأستاذ مع تلاميذه نحو قوله تعالى﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

(١) ينظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع (ص: ٨١)

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٩٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣٤) .

﴿نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ليتكون لدى التلاميذ أهداف معرفية في هذه المنزلة الكبرى للرسول ﷺ(١).

١١- ربط الطالب بالمنهج القرآني الفريد في مشروعية (**الحوار**) وآدابه، وإشاعة ثقافة الحوار في أوساط الطلاب في بيئتهم التعليمية، ليتربوا عليه في بيئاتهم المختلفة، فما أجمل أن يشجعهم على الحوار منطلقًا من نحو قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، مبينًا لهم أهميته، ليترسخ في عقولهم الباطنة، وسلوكياتهم الظاهرة أن الحوار" أسلوب ومنهج حياة، يجب أن يسود داخل الأسرة، وفي المدرسة، وفي المسجد، وفي المؤسسة، والشركة، والنادي، وبين كل الفئات والشرائح الاجتماعية" (٢).

١٢- إنقاذ الطالب من التيه والتخبط بربطه بالمنهج القرآني الفريد في التعامل مع الحياة بمختلف أقدارها، وتعميق **عقيدة القضاء والقدر** في النفوس؛ حتى يعتقد الجميع أن ما يصيبهم من صحة أو مرض، أو ما يعرض لهم من نعمة أو شقاء ، أو ما يقدر عليهم من نسل أو عقم، أو ما يبتليهم به من غنى أو فقر، كل ذلك بمشيئة الله سبحانه، وبقضائه وقدره، منطلقا من نحو قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٣).

---

(١) الإعجاز التربوي في السنة النبوية ٢٢٦ .

(٢) التربية بالحوار ١٢ .

(٣) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام ٣٢٤

١٣- ربط الطلاب **بالأساليب القرآنية البيانية** التربوية، ومنها (أسلوب التشبيه)، الذي استخدمه القرآن الكريم مقدما صورا حسية للمعاني المجردة، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦١]، لما في ذلك من إشارة مهمة في تفعيل دور المعرفة الحسية، و لما لها من أثر مستمر وواضح في نفس المتعلم [١].

توصيات:

ثمة تساؤل كبير أقض مضاجع التربويين الغيورين : ما بال كثير من طلاب تحفيظ القرآن الكريم يحفظون أجزاء كثيرة منه ، أو يستظهرون القرآن الكريم كاملا دون أن يكون له كبير أثر في سلوكهم، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم، وعباداتهم؟.

وللجواب على هذا السؤال لا بدّ من الالتفات إلى أمور عديدة في دورة تحفيظ القرآن الكريم؛ بدءًا بالمعلِّم، فالطالب، ثم البيئة التعليمية، البيئة في فضائيها الزماني والمكاني.

المعلّم الكريم يجب أن يُولى كل عناية واهتمام، من حيث توفير الدعم المادي والمعنوي له، من مكافأته بما يتناسب معه، " أَحَقُّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ"[٢] ، ودعم معنوي بتوقيره، وتخفيف الأعباء عنه، وتحفيزه، ليتفرغ للعملية التعليمية التربوية على أتم وجه.

الطالب هو محور هذه العملية التربوية، وهو المعنيّ الأول بها ؛ إذ هو قطبها الذي حوله تدور، وعليه تقوم، وإلى مصلحته تصب كل الجداول المتدفقة في هذه الحديقة

---

(١) ينظر: المدخل إلى التربية الإسلامية ٥٠

(٢) صحيح البخاري (٣/ ٩٢)، و صحيح ابن حبان (١١/ ٥٤٧)

الغنّاء الوارفة، لذلك يحسن إيلاؤه المزيد من العناية؛ من خلال عدة عوامل مساعدة تعينه على تلقي القرآن الكريم كما تلقاه سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام فمن بعدهم ﷺ أجمعين.

ولذلك سأعرض في هذا الموضع من البحث إلى توصيات أقترحها للأخذ بها لعلها تسهم في النهوض بالعملية التعليمية التربوية في مدارس تحفيظ القرآن الكريم وحلقاته المباركة، ومنها :

١- **إقرار مادة (التربية بالقرآن)** ومن مفرداتها : { التعامل مع ولاة الأمر، مع الوالدين، مع الأقارب، مع الزوجين، مع المجتمع، مع المخالف بأنواعه: العاصي، المبتدع، الكافر المعاهد، والذمي... } لما في إقرار هذه المادة من فوائد كبيرة لا تقتصر فائدتها على الطالب فحسب، وإنما يتبين – من خلال مفرداتها – أن فائدتها ستعود على المجتمع كله.

٢- **تخفيف تكدّس المنهج المساند في مدارس تحفيظ القرآن الكريم**، وذلك نابع من هذا التساؤل : هل ضغط المنهج في المدارس النظامية يضعف الجانب التربوي؟ أو بمعنى آخر هل انشغال مدارس التحفيظ بأعباء المناهج الدراسية يشغلها عن الالتفاتة الجادة نحو العملية التربوية التي هي المقصد الأول من علاقة الطالب بالقرآن الكريم؟

٣- **إعادة النظر في توزيع منهج الحفظ على سنوات الدراسة**، كما أنني أورد تساؤلا لصيقًا بسابقه؛ هو : هل منهج الأجزاء المقررة في كل سنة دراسية في مدارس التحفيظ النظامية يشكل عبئا على الطالب والمعلم معًا؟ بمعنى ألا يمكن إعادة النظر في الأجزاء المقرر حفظها على طلاب المدارس النظامية في تحفيظ القرآن الكريم بحيث يُعاد توزيعها على تسع سنوات بدلا عن الست السنوات المعمول بها حاليا؟

٤- **تكييف الوقت للإفادة من حلقات التحفيظ تربويًا،** أقترح هنا بعض الخطوات التي من شأنها أن تؤثر في طلاب التحفيظ بالقرآن الكريم إيجابًا ، وأن ترفع من مستواهم التربوي، وأن تكفل لهم حياة مفعمة بالتربية بالقرآن الكريم ؛ من نحو: تغير وقت الحلقة وتكييفها حسب المتغيرات الزمانية والمكانية، فالوقت المناسب في القرى ليس من الضرورة أن يناسب مثله في المدن الكبيرة، وساعة العصر في الشتاء، ليست كساعات عصر الصيف، وبعد المغرب لطلاب المدارس قد يكون أنسب من مباشرة التحفيظ بعد العصر، وهكذا.

٥- **الحوافز المادية والمعنوية،** " التحفيز مجموعة من الدوافع التي تدفعنا لعمل شيء ما. وهو يعني: التغيير الإيجابي نحو الأفضل . والتحفيز والتشجيع وظيفة الأغنياء، أغنياء المشاعر والنفوس، الذين لا تزدحم أوقاتهم عن إطلاق إشادةٍ بعمل ما، أو رسم ابتسامة على الوجه توحي بالإعجاب" (١)، الحوافز ليست مادية فقط مع أهميتها ، إلا أن ثمة حوافز معنوية؛ من نحو عبارات الشكر المتكررة من المعلمين وإدارة المدارس والحلقات، وهناك شهادات التقدير ذات الإخراج المميز التي تحمل اسم الطالب، والتوقيع الحيّ لمدير الحلقة وأستاذها، ومن الممكن أن تحمل توقيعًا لأحد العلماء المعروفين، أو أحد المشاهير ممن يحبهم الوسط الشبابي، وهكذا يمكن التفكير بالعديد من صور التحفيز.

---

(١) ينظر : التحفيز، حقيبة تدريبية ، د. إبراهيم السماعيل، ألقيت في مستشفى الملك خالد للعيون.

ومن صور الحتفيز الطريفة في حياة سلفنا الصالح في حفظ السنة، ويمكن أن نقيس عليها تحفيظ القرآن الكريم، ما روى النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم يقول لي أبي: يا بنيّ اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثًا وحفظته فلك درهم، فطلبتُ الحديث على هذا (١).

٦- **تقليل العدد في الحلقة الواحدة أو الفصل الدراسي،** مما أوصي به للارتقاء بالعملية التربوية إعادة النظر في عدد الطلاب في كل حلقة أو فصل دراسيّ، ذلك أن الأعداد الكبيرة في الحلقة أو الفصل ستشغل المعلم بالترتيب والحرص على الهدوء، والضبط العام، مما سيكون – دون شك – على حساب التفرغ الذهني للمعلم كي يُعنى بالهدف الأسمى وهو التربية بالقرآن الكريم، ومحاولة إفادة هؤلاء الطلاب قدر الإمكان.

٧- **اعتماد التفسير الميسر للآيات المحفوظة،** وهذا من شأنه أن يعين على فهم المحفوظ ، ليتسنى حفظها وفهم معانيها، والعمل بها على ما كان عليه الصحابة الكرام ﭫ. وهنا أو أن أقترح أن يكون الحفظ ابتداء من نسخ المصحف المشتملة على التفسير الميسر، ولذا أوصي بإعادة طباعة التفسير الميسر مجزءا على ربع يس، والمجادلة، وجزء تبارك، وجزء عمَّ، ليكون في متناول أيدي الطلاب حسب مستوياتهم.

٨- **استغلال البكور من وقت الحلقة أو الحصة** ، وأعني به البكور النسبي وهو الدقائق الأولى من وقت الدرس في الحصة المدرسية أو الحلقة ، وذلك بالبدء بأسلوب تربوي مع مطلع كل جلسة، من نحو قراءة سيرة أحد أعلام القرآن الكريم، من أهل القراءات وغيرهم، أو قراءة فضل سورة معينة أو آيات محدّدة، ومن هذا المقترح أوصي

---

(١) ينظر : في المكافآت على الحفظ: المنهج النبوي في تربية الطفل ١٩٨ .

أن ينبري أرباب الأقلام وينشطوا إلى الكتابة في سير مختصرة تتناسب ومستويات التعليم الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، لقراءتها مطلع كل يوم؛ شحذا للهمم، واستشعارًا للقيم، وتذكيرًا بالقدوات. كما أنّ من المستحسن أن يتنافس الطلاب بقراءة السيرة المختارة يوميا.

٩- **الاستضافات العلمية التربوية،** كما أوصي في سبيل الوصول إلى درجة رفيعة من التربية بالقرآن الكريم، أوصي باستضافة ذوي التخصصين التربوي والشرعي لإلقاء محاضرات، وتسجيلها وتداولها، وعمل مسابقات عليها في حلقات التحفيظ، ومدارسه، ليعمَّ نفعها أكبر قدر ممكن، على غرار المحاضرات المسجلة في مقررات التعليم عن بُعد التي يستفاد منها في أماكن متعددة، وأزمنة متباعدة.

١٠- الدورات التدريبية، من المستحسن في عملية الرقي بالجانب التربوي والتأكيد على التربية بالقرآن خاصة، أن نولي الدورات التدريبية المعنية بشأن معلّم القرآن الكريم المزيد من الاهتمام كمّا وكيفًا، للارتقاء بمستوى المعلّم العلمي، والتربوي، مما سيلقي بظلاله بالتأكيد على مسيرته العملية التربوية في محاضن القرآن الكريم، سواء منها النظامية، أم الخيرية.

١١- استغلال العمر الذهبي للحفظ، وذلك في بواكير الطفولة، وعدم الإهمال في تأخير بدايات الحفظ حتى تفوت على الطفل سنوات حفظه الأولى؛ فـ" مقدرة الطفل على الحفظ تبدأ منذ بداية تعلم الطفل الكلام وإتقانه ؛ أي بعد ثلاث سنوات"(١)مع مراعاة الفروق الفردية بين طفل وآخر.

---

(١) خطوات في تربية الأولاد والبنات ١١٩ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، المعلم المربّي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي يسر لي الإدلاء بدلوي في هذا الملتقى المبارك الذي يشرف به كل من شارك فيه حضورا أو تحضيرا أو إلقاء، الحمد لله أن منَّ الله تعالى عليَّ بكتابة ورقات في خدمة كتابه العزيز، إسهامًا في النهوض في العملية البالغة الأهمية عملية التربية بالقرآن الكريم.

آمل أن يكون هذا البحث لبنة في بناء قرآني شامخ، وأرجو أن يكون قد أتى في طياتهما يسهم في ثراء العملية التربوية التربية بالقرآن الكريم.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير المربين وإمام المعلمين، على من كان خلقه القرآن محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ

٢) ابن المبارك، الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت

٣) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ

٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، (دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

٦) أبو العز ، شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ

٧) أبو داود، السنن ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٨) أبو يعلى، المسند ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤

٩) الآجري، الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
١٠) أحمد بن حنبل ، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
١١) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ — ١٩٨٣
١٢) أحمد عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦
١٣)الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر — بيروت
١٤) إسحاق بن راهويه، المسند أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ — ١٩٩١
١٥) الألباني، صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية، عمان — الأردن، الطبعة الأولى
١٦) بثينة العراقي، خطوات في تربية الأولاد والبنات، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٧) البخاري، الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية — بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ — ١٩٨٩

١٨) البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٩) البزار، البحر الزخار،تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م

٢٠) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي —بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٢١) بكار ، التربية بالحوار ، د. عبد الكريم بكار، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م

٢٢) البيهقي ، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيقي محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنات، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٢٣) البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ

٢٤)البيهقي، شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٢٥)الترمذي ، السنن تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م

٢٦)التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي، عام النشر ١٣٩١ هـ
٢٧)الحاكم، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠
٢٨)الحسيني ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
٢٩)الخوالده ويحي عيد، مراعاة مبادئ الفروق الفردية وتطبيقاتها العملية في تدريس التربية الإسلامية، دار وائل للنشر، عمّان – الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م
٣٠)الداراني، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤١١ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م -١٩٩٢ م)
٣١)الدارمي، المسند ، تحقيق نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
٣٢)الذهبي، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
٣٣)الزمخشري ، أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣٤) الزيد، وقفات مع أحاديث تربية النبي ﷺ لصحابته، عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ

٣٥)السراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

٣٦)السماعيل، التحفيز (حقيبة تدريبية) ، د/ إبراهيم بن عبد الله السماعيل، السعودية، الرياض، مستشفى الملك خالد للعيون، ١٤٣٥- ٢٠١٤م

٣٧)السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، د.ط، د. ت

٣٨)الشافعي، المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٠ هـ

٣٩)صلاح الدين محمود، تفكير بلا حدود، رؤى تربوية معاصرة في تعليم التفكير وتعلّمه، عالم الكتب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٤٠)الطبراني، المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية .

٤١)الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٤٢)الطحاوي، شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

٤٣)عبد الباسط السيد، المنهج النبوي في تربية الطفل الصحة العقلية، الجسدية، الفكرية، العقدية، التربوية، الإبداعية، شركة مكتبة ألفا ، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ
٤٤)عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الطبعة الثالثة.
٤٥)عبد بن حميد، المنتخب من المسند تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨
٤٦)عدنان خطاطبة ، المدخل إلى التربية الإسلامية، د. عدنان خطاطبة، د. سميرة الرفاعي، د.عماد شريفين، د.أحلام مطالقة، د.أحمد ضياء الدين، د.أسماء بني يونس، د.أسماء شبول، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢م
٤٧)القرطبي ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.
٤٨)القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط٧، ١٣٢٣هـ).
٤٩)الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٥٠)المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
٥١)مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥٢)مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في السنة النبوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ٢٠٠٨م
٥٣)مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي، عمّان — الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م
٥٤)النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م
٥٥)النوري عبد الغني، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار قطري بن الفجاءة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٥٦)الهمذاني، الكشكول ، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م
٥٧)الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم

إعداد

زكريا أيوب دولا

جامعة أم القرى

١٤٣٦هـ

ملخص البحث

القرآن الكريم بحرٌ زاخر، وكنزٌ وافر، لآلئه لا تنفد، ودُرره لا تنتهي، ومن أراد الهداية والنجاة فليوثق صلته بالقرآن الكريم حفظًا وتلاوةً وعملاً وتدبرًا وفهمًا، وتربيةً، وإدامة الصلة بالقرآن سبيل أهل الإيمان تزداد به معارفهم، وتصلح به ظواهرهم وبواطنهم، – جعلني الله وإياكم منهم–.

والقرآن الكريم كتاب تربية وتهذيب وتطوير وتجديد لكل أمور المرء في حياته إن أراد الدنيا، أو أراد الآخرة، إذ قال الله تعالى عن النبي الأمي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، وهذا الكتاب يؤدي مهمتين اثنتين في وقت واحد: مهمة تعليمية تثقيفية، ومهمة أخلاقية تربوية، وهكذا كانت المدرسة المحمدية النبوية الأولى على هذا الأساس من التعليم وتهذيب النفس وتربية القلوب والعقول.

ولا شك أن رسول الله ﷺ كان يأخذ حظه الشامل الكامل من التربية الربانية القرآنية قبل أن يقوم بمهمة التربية والتقويم والدعوة لمن حوله، بل للعالمين أجمعين، ولذلك "**كان خلقه القرآن**" كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ثم ربى الجيل الأول وفق هذه التربية القرآنية، الكاملة الشاملة، التي تحقق ما يطمح إليه الربانيون في السَّير إلى الله عز وجل، وتنتهي بالعبد الى نيل رضا الله سبحانه وتعالى.

ومما يبرز أهمية الموضوع: مدى ارتباطه بالاقتداء والتأسي بالأسوة الحسنة، والقدوة المثلى –نبينا محمد ﷺ – من خلال امتثال الأساليب النبوية التربوية من تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته، وتطبيق ذلك في المجالات التربوية خاصَّة.

ومن أهم أهداف البحث: - التوصل للمفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.

- إلقاء الضوء على مزايا وخصائص المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.

- توضيح بعض الأساليب النبوية التربوية من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

ومن أهم نتائج البحث: - **المفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم**: الطرق والأساليب المتبعة وفق الضوابط والقواعد من النبي ﷺ في تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئًا فشيئًا، وتشكيل شخصيته في جميع جوانبها من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

- **من أهم خصائص المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم**: **تمام الهداية**؛ لأنه احتوى أرقى وأوفى ما عرَفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله ورسوله والناس، وانتظم كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق، والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمع بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظَم علاقة الإنسان بربه وبالكون الذين يعيش فيه، ووفَّق بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد.

وتضمن البحث في خاتمته جملة من التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم —بعون الله وتوفيقه- في تحسين وتطوير مناهج التربية المعاصرة.

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لله على ما أنعم، والشكر له –سبحانه– على ما ألهم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فالقرآن الكريم بحرٌ زاخر، وكنزٌ وافر، لآلئه لا تنفد، ودُرره لا تنتهي، ومن أراد الهداية والنجاة فليوثق صلته بالقرآن الكريم حفظًا وتلاوةً وعملاً وتدبرًا وفهمًا، وتربيةً، وإدامة الصلة بالقرآن سبيل أهل الإيمان تزداد به معارفهم، وتصلح به ظواهرهم وبواطنهم، جعلني الله وإياكم منهم.

والقرآن الكريم كتاب تربية وتهذيب وتطوير وتجديد لكل أمور المرء في حياته إن أراد الدنيا، أو أراد الآخرة، إذ قال الله تعالى عن النبي الأمي ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1]، وهذا الكتاب يؤدي مهمتين اثنتين في وقت واحد: مهمة تعليمية تثقيفية، ومهمة أخلاقية تربوية، وهكذا كانت المدرسة المحمدية النبوية الأولى على هذا الأساس من التعليم وتهذيب النفس وتربية القلوب والعقول.

وخير من امتثل تعاليم هذا الكتاب وتوجيهاته: نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ ، وتبعه على ذلك الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان، ولا شك أن رسول الله ﷺ قبل أن يقوم بمهمة التربية والتقويم لمن حوله من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وقبل قيامه أيضًا بمهمة الدعوة لمن حوله من المشركين وأهل الكتاب بل للعالمين أجمعين،

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٢.

لا شك أنه ﷺ كان في نفس اللحظة وأثناء تنزل آيات القرآن الكريم كان يأخذ حظه الشامل الكامل من التربية الربانية القرآنية، وصدق الله القائل: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]، ولذلك "كان خلقه القرآن"[2] كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فآتت هذه التربية من الله للرسول محمد ﷺ أُكُلها في إعداد شخصيته، وبناء حياته الفردية والأُسرية والجماعية والاجتماعية، بل وفي ضمان الفوز في الدنيا والآخرة حتى صدق فيه قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، ثم ربى الجيل الأول وفق هذه التربية القرآنية،الكاملة الشاملة، التي تحقق ما يطمح إليه الربانيون في السَّير إلى الله عز وجل، وتنتهي بالعبد الى نيل رضا الله سبحانه وتعالى.

لهذا كان لزامًا العناية بالمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم، وهو ما جاء هذا البحث ببيان مفهومه، وتجلية بعض مزاياه وخصائصه، وذكر طرف من الأساليب النبوية في التربية من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

أسأل الله التوفيق والسداد، والقبول والإخلاص، والله ولي التوفيق.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، برقم: ٢٤٦٠١، (٤١/ ١٤٨)، قال الألباني: الحديث صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني (٢/ ٨٧٢)، ورواه مسلم بلفظ: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن" في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، برقم: ٧٤٦، (١/ ٥١٢).

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

- عدم إفراد المنهج النبوي في التربية بالقرآن بالبحث والعناية –فيما وقفت عليه–.
- كونه تمهيدًا ومقدمةً لأطراف الموضوع بتوضيح مفهومه وبيان طرفٍ من خصائصه ومزاياه.
- مدى ارتباط الموضوع بالاقتداء والتأسي بالأسوة الحسنة، والقدوة المثلى –نبينا محمد ﷺ – من خلال امتثال الأساليب النبوية التربوية من تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته، وتطبيق ذلك في المجالات التربوية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم الالتفات إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولاً وفروعًا، ويسعى البحث إلى التأكيد على أنَّ كل من اتجه إلى هذا المصدر يَجِد ضالَّته ويُدرك بُغيته، وهذا يُحَتِّم توجهًا من التربويين وغيرهم لبيان صفة منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم من خلال ما رسمه القرآن الكريم من معالم كبرى، وما استقل ببيانه وتفصيله السنة النبوية، ويأتي هذا البحث محاولةً بسيطة لبيان المفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.

أهداف البحث :

- بيان التعريف اللغوي والاصطلاحي للمنهج، والتربية، والقرآن الكريم.
- التوصل للمفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.
- إلقاء الضوء على مزايا وخصائص المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.
- توضيح بعض الأساليب النبوية التربوية من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، فتمهيد، ثم ثلاثة مباحث فخاتمة، وذلك على النحو التالي:

- **المقدمة: وفيه بيان أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهدافه، وخطة البحث.**
- **تمهيد في بيان أهمية وفضائل حفظ القرآن، وأهمية تربية الأجيال بالقرآن الكريم.**
- **المبحث الأول: مفهوم المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.**
- **المبحث الثاني: خصائص ومزايا المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم.**
- **المبحث الثالث: الأساليب النبوية في التربية بالقرآن الكريم.**
- **الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.**
- **مصادر البحث ومراجعه.**
- **الفهرس.**

ولا يسعني في ختام المقدمة إلا أن أشكر الله سبحانه الموفق الذي ينعم على الخلائق بالنعم الوافرة، الباطنة والظاهرة، ثم أتقدم بالشكر الجزيل للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"، وجامعة أم القرى على قبولهم لملخص بحثي وترشيحهم له، فلهم مني جزيل الشكر، ووافر الثناء، وخالص الدعاء.

سائلاً الله التّوفيق والهداية للصّواب، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.(١)

الباحث : زكريا أيوب دولا

طالب بالدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

جوال : ٠٥٥٣٤١٠٤٤٣

البريد الالكتروني : zakariyadula@gmail.com

---

(١) سورة هود، آية: ٨٨.

تمهيد في بيان أهمية وفضائل حفظ القرآن، وأهمية تربية الأجيال بالقرآن الكريم

إن نعمة القرآن الكريم من أعظم النعم التي منَّ الله بها على عباده المؤمنين، لدرجة أن الله –تعالى– قدَّم هذه النعمة على خلق الإنسان أصلاً، حيث قال –سبحانه–: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[1]، وحث على الاستجابة لكلام الله ورسوله؛ إذ به الحياة الحقيقية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، والقرآن الكريم عمدة الملة، وينبوع الحكمة، لا اهتداء إلا باتباعه، والضلال مرهون بالإعراض عنه، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[3]، ولذا كان على مبتغي الهداية أن يديم صلته بالقرآن الكريم –تلاوةً وعملاً وتدبرًا وفهمًا وتربيةً–، فهو سبيل أهل الإيمان تزداد به معارفهم، وتصلح به ظواهرهم وبواطنهم.[4]

وقد اختصَّ الله –عز وجل– طائفةً من عباده المؤمنين بنعمة جليلة، ومنَّة غالية، وهي أن جعلَهم يحفظون هذا الكتاب القيّم عن ظهر قلب، ورفع جدًّا من قدرهم، وعظَّم جدًّا من أجرهم، وأمر المؤمنين جميعًا أن يُجِلُّوا أمرهم، ويقدِّموهم على غيرهم،

---

(١) سورة الرحمن، آية: ١–٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة طه، آية: ١٢٣–١٢٤.

(٤) من مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي، بتصرف–.

وذكر رسول الله -ﷺ- ذلك في أكثر من حديث؛ منها قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين" [١].

وتعلم القرآن وتعليمه هو الأساس الذي يقوم عليه الدين، وبه تعرف الشرائع والأحكام، وبنوره تستضيء الأمة، وتسير على طريقه، وتتربى على منهجه، ولهذا كان لزامًا على الوالدين خصوصًا، والمربين عمومًا أن يهتموا بتربية الأجيال، وتعليمهم وتحفيظهم كتاب الله تعالى، ذلك المنهل الوافي، والمنبع الصافي؛ لأنهم بذلك يتعلمون توحيد ربهم، ويأنسون بكلامه، ويسري أثره في قلوبهم وجوارحهم، وينشؤون نشأةً صالحة مباركة.

ولقد عرف الصحابة أهمية حفظ القرآن وأثره في نفوس الأبناء، فانطلقوا رضوان الله عليهم يعلمون أبناءهم القرآن استجابة لتوجيهات النبي صلي الله عليه وسلم، فعن عثمان بن عفان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"[٢]، وكذلك السلف الصالح رضوان الله عليهم فقد ساروا المسار نفسه.

قال الحسن البصري رحمه الله: قدموا إلينا أحداثكم، فإنهم أفرغ قلوبًا، وأحفظ لما سمعوا، فمن أراد الله أن يتمّه له أتمّه.[٣]

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم: ٨١٧، (١/ ٥٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: ٥٠٢٧، (٦/ ١٩٢).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣١١).

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل أن تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال.(١)

وقال ابن خلدون رحمه الله: اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التّعليم الّذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أنّ التّعليم في الصّغر أشدّ رسوخًا، وهو أصل لما بعده لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات(٢)، ولأن ذهن الصغير أصفى من ذهن الكبير لقلة المشاكل والمشاغل ، لذلك فإن اغتنام فرصة العمر في الصغر يعتبر عاملاً مهمًّا في ثبات القرآن في الذهن.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: فأما تدبير العلم، فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث، ولتحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات؛ لأن زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة، فإذا بلغ، تشتت همته، .... وأول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقنًا؛ فإنه يثبت، ويختلط باللحم والدم... (٣)

هذه بعض فضائل حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتعلمه وتعليمه، وما ورد من الآثار والأقوال في تربية الأجيال على كتاب الله تعالى، فهنيئًا لمن تربوا ونهلوا من معين كتاب الله –سبحانه وتعالى– فجمعوه في صدورهم، وعَمِلوا بما فيه، هنيئًا لهم ولأهليهم وذويهم هذه البُشريات، وكفى لهم شرفًا هذه المنزلة والمكانة والرفعة والرتبة.

---

(١) عزاه الكتاني للأجوبة المهمة عن الوقائع الملمة للفقيه محمد الولاتي، وهو مخطوط. ينظر: التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية للكتاني (٢/ ١٩٨)، وبناء شخصية الطفل المسلم لمحمد عثمان جمال (ص: ١٢).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٤٠).

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ٢٥٧).

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يمنَّ علينا بقبول حفظ كتابه، وتدبُّر معانيه، والعملِ بما فيه، وأن يجعلنا ممَّن حَفِظوا للقرآن حُرْمتَه، وممَّن عظَّموا منزلته، وممَّن تأدَّبوا بآدابه، وتربَّوا على منهاجه، والتزموا بأحكامه.

المبحث الأول: مفهوم المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم

١- المنهج في اللغة :

جاء في لسان العرب: نهج: طريق نهج: بين واضح، وهو النهج، وطرق نهجه، وسبيل منهج، ومنهج الطريق: وضحُهُ، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجًا، ونهجت الطريق: أبنته وأوضحته، وسلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي: يسلك مسلكه، والنهج: الطريق المستقيم.[2]

وفي مختار الصحاح: المنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطريق: أبانه وأوضحه، ونهجه أيضاً سلكه.[3]

والمنهج في الاصطلاح :

نسق من القواعد والضوابط التي تركب البحث العلمي وتنظمه.[4]

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٨٣).

(٣) مختار الصحاح للرازي (ص: ٣٢٠).

(٤) أبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري (ص: ٤٠).

ويتبين مما سبق أن المنهج: هو الطريق الواضح، والأسلوب المتبع وفق القواعد والضوابط، والمنهجية هي: الطريقة الواضحة بالأسلوب المتبع المحدد.

٢- التربية في اللغة :

تتضمن التربية دلالات لغوية متعددة ، تركز جميعها على ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة :

- الإصلاح: ربا الشيء إذا أصلحه، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة، وإنما التعديل والتصحيح.

- النماء والزيادة: ربا الشيء يربو رُبوّاً، ورباءً: بمعنى زاد ونما.

- النشأة والترعرع: ربي يربى، على وزن خفي يخفى، أي: نشأ وترعرع.

- السياسة وتولي الأمر: ربيت القوم، أي: سُسْتهم وكنت فوقهم.

- التعليم: الرباني من الرب، بمعنى التربية، والرباني: الراسخ في العلم، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى[(١)].

والتربية في الاصطلاح :

قال الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[(٢)].

وقال البيضاوي: الرب في الأصل اللغوي بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا[(٣)] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٠٤)، ومختار الصحاح للرازي (ص: ١١٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٣٣٦).

(٣) تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٨).

ولقد أورد عبد الحميد الزنتاني عددً من آراء علماء المسلمين في هذا المجال حيث إن الإمام الغزالي يركز في آرائه التربوية على أن الهدف الأسمى للتربية هو: التقرب لله تعالى والاستعداد للحياة الأخروية، ولذلك دعا إلى تربية الصبيان تربية دينية وخلقية قوامها التقشف والزهد في الملذات حتى البريئة منها.

ويرى ابن سينا في تعريفه للتربية أنها: وسيلة إعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد، وتكوينه عقلياً وخلقياً، وجعله قادر على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته، وتمكنه من كسب عيشه، أما ابن خلدون فقد أكد في آرائه التربوية على ضرورة العناية بتنمية عقل المتعلم ومراعاة استعداداته العقلية.(١)

مما سبق يتضح أن التربية هي: تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئًا فشيئًا بالتدرج في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها الروحية والعقلية، والوجدانية، والخلقية، والاجتماعية، والبدنية.

٣- القرآن الكريم في اللغة :

معنى القرآن: الجمع، وسمي قرآنًا؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(٢)، أي: جمعه وقراءته، وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض(٣).

وفي القاموس المحيط: القرآن: التنزيل، قرأه وبه كنصره ومنعه، قرءًا وقراءةً وقرآنًا، فهو قارئ، من: قَرَأَة وقُراء وقارئين: تلاه، كاقترأهُ وأقرأته أنا، وقارأهُ مقارأة وقراءً: دارَسَهُ.(٤)

---

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية لعبد الحميد الزنتاني (ص: ٢٤).

(٢) سورة القيامة ، آية: ١٧.

(٣) لسان العرب (١/ ١٢٨)، ومختار الصحاح (ص: ٢٤٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٦).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٤٩).

والقرآن الكريم في الاصطلاح :

قال الراغب الأصفهاني: تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله؛ لكونه جامعًا لثمرة كُتُبِهِ، بل لجِمعِهِ ثمرة جميع العلوم.(١)

وعرف بأنه: كلام الله الذي أنزل على محمد ﷺ ، ونقل إلينا تواترًا لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آيةً دالَّة على صدقه فيما بلَّغه من الرسالة.(٢)

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ ، وتعبَّدنا بتلاوته، وفيه بيان شرع الله عز وجل.

وأخلص إلى المفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم بأنه: **الطرق والأساليب المتبعة وفق الضوابط والقواعد من النبي ﷺ في تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئًا فشيئًا وتشكيل شخصيته في جميع جوانبها من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.**

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص: ٦٦٩).

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٧).

المبحث الثاني : خصائص ومزايا المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم

يكفينا هنا أن نعلم أن المنهج النبوي في عمومه امتثالٌ حقيقي، وتطبيق فعليٌّ لما في القرآن الكريم في كافة المجالات، سواءً التعبدية، أم التربوية، أم غيرهما، ويزداد الأمر تحديدًا بما يتعلق بموضوع البحث، وهو أن القران كتاب تزكية وتربية للإنسان جسدًا وروحًا، وذلك على يد رسول الله ﷺ ، التي كانت حياته أصدق ترجمة له، وصدق الله القائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.(١)

ولا شك أن رسول الله ﷺ قبل أن يقوم بمهمة التربية والتقويم لمن حوله من الصحابة الكرام ﭫ ، وقبل قيامه أيضًا بمهمة الدعوة لمن حوله من المشركين وأهل الكتاب، بل للعالمين أجمعين، لا شك أنه ﷺ كان في نفس اللحظة وأثناء تنزل آيات القرآن الكريم كان يأخذ حظه الشامل الكامل من التربية الربانية القرآنية، وصدق الله القائل: : ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.(٢)

لذلك "كان خلقه القرآن"(٣)، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فآتت هذه التربية من الله للرسول محمد ﷺ أُكُلها في إعداد شخصيته، وبناء حياته الفردية والأُسرية والجماعية والاجتماعية، بل وفي ضمان الفوز في الدنيا والآخرة، حتى

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٣) تقدم تخريجه في مقدمة البحث.

صدق فيه قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١)، وهذه التربية الربانية من الله لرسوله ﷺ جديرة بأن يتناولها الباحثون بالدراسة والتحليل، لاستخراج ما فيها من مناهج ووسائل تربوية ربانية كاملة شاملة تحقق ما يطمح إليه الربانيون في السَّير إلى الله عز وجل وتنتهي بالعبد الى نيل رضا الله سبحانه وتعالى.(٢)

ومن أهم خصائص المنهج النبوي ومزاياه في التربية بالقرآن الكريم – باختصار– ما يلي:

– **أنه جمعٌ بين الأصلين الأصيلين، والركيزتين الأساسيتين:** كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من خير من يمثل ويترجم معالم التربية بالقرآن الكريم، ويوصل للنجاة والفلاح في الدارين.

– **أصالة المصدر**: فالإنسان من صنع الله تعالى، ولا أعلم من الله بمفاتيح فطرة الإنسان ودوائه وعلاجه؛ لأن كل صانع أدرى بصنعته، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٣)، كما قال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٤)، والنبي ﷺ أعلم الخلق بمراد الله تعالى،

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٢) ينظر: التربية الربانية القرآنية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لرشيد الصباحي (ص: ٢-٣).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٩.

وأرحم الخلق بخلقه، فهو منهجٌ متعلق بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا المنهج النبوي المتمثل للمنهج الرباني لا يعني تعطيل جهود البشر عن الاجتهاد والتفكير في هذا الكون والمعرفة بأسراره، بل العكس، فالقرآن يأمر ويحض على التدبر والتفكير والتعقل، فهو يضع أمام البشرية حقائق وأُصول وصور العبادات، وأنماط المعاملات والصفات التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان، أما ما يتعلق بالعلم وتطبيقاته، ووسائل النهوض بالمجتمع، وطرق المعيشة، فهي متروكة للبشر ما دامت لا تخرج عن المبادئ والأصول التي وضعها القرآن الكريم، والسنة النبوية، فالمنهج النبوي القرآني لا يقف حجر عثرة في سبيل تقدم البشرية وازدهارها، كما هو حال الديانات الأخرى، بل يحث على الاجتهاد ويضع له معايير، ويلوم ويذم عدم إعمال العقل والتفكير في الكون الفسيح، لذلك فلن تجد البشرية الرشد ولا الهدى ولا الراحة ولا السعادة إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى الربانية، وعندما تخلى المسلم عن منهجه النبوي القرآني، وتتطلع إلى المناهج الوضعية تخلف وتأخر عن ركب الحضارة.

- **العموم:** فهو منهج عام ينتظم الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان؛ قال سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(2)، وقال -عز اسمه-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.(3)

---

(1) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(2) سورة الأنعام، آية: ٩٢.

(3) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

- **تمام الهداية**: فهو منهج تام الهداية؛ لأنه احتوى أرقى وأوفى ما عرَفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله ورسوله والناس، وانتظم كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق، والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمع بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظَم علاقة الإنسان بربه وبالكون الذين يعيش فيه، ووفَّق بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد، وقد كان النبي ﷺ ينادي صحابته: "يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة".(١)

- **الوضوح**: منهج لا يشوبه نقص، ولا يعتريه شك، ولا يدخله الغموض والإبهام، فأوامره ونواهيه وتوجيهاته ومواعظه واضحة جلية في عرضٍ رائعٍ مؤثرٍ، توافر فيه كل وسائل الإيضاح، وعوامل الإقناع -كما سيأتي لاحقًا-.

- **الشمول**: يشمل الفرد في حياته الدنيوية، وكذلك حياته الأخروية، وحياته الخاصة والعامة، كما يشمل المجتمع في علاقة أفراده بعضهم، وعلاقتهم بالمجتمعات الأخرى، وكذلك علاقة المجتمعات ببعضها البعض، كما يشمل الإنسان بكيانه الجسد والروح، فاشتمل المنهج النبوي القرآني على تجلية كلِّ ما من شأنه صلاح البشرية وهدايتهم، واعتمد في ذلك على الدليل والبرهان المستمد من العقل.

- **التكامل**: منهج متكامل في كل مناحي الحياة، أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية إلى غير ذلك، ويتحقق من خلال هذا التكامل التوازن والتوافق بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه، وبين المجتمعات بعضها لبعض، قال تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ

---

(١) سنن الدارمي، كتاب علامات النبوة، وفضائل سيد الأولين والآخرين، بابٌ: كيف كان أول شأن النبي صلى الله عليه وسلم؟، برقم: ١٧، (ص: ٩٨)، قال الألباني: إسناده صحيح مرسل. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (١/ ٨٨٢).

﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ ﴾﴿عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(1)، كما أن التكامل يعني أن اتجاهات المنهج النبوي التربوي القرآني في مجالات العقيدة والعبادة والسلوك الفردي والاجتماعي ترتد كلها في وحدة محكمة، وفي صورة شاملة للحياة كلها.

- **الواقعية**: المنهج النبوي التربوي القرآني ينظر إلى الطبيعة الإنسانية من خلال كون البشر مختلفون فيما بينهم، متنوعون في صفاتهم، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾(2)، ويتعامل مع الفرد على أساس احتمال الخطأ والإصابة بعيدًا عن المثالية والكمال، فالكمال لا يكون إلا لله عز وجل، فهو لا يتعامل مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع.

- **السهولة**: يتسم المنهج النبوي التربوي القرآني بسهولة مبادئه وتعاليمه، وعدم الإرهاق والمشقة في الالتزام به، ويسير في حدود الطاقة البشرية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا

---

(1) سورة المائدة، آية: ٣.

(2) سورة الروم، آية: ٢٢.

تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾(2)،وقال—سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(3)، وقال رسول الله ﷺ: "لولا أنْ أشق على أمتي أو على الناس .....أو على المؤمنين.....".(4)

هذه أهم المزايا والخصائص للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم، وأكرر هنا: أن امتثال النبي ﷺ للقرآن الكريم من كل جوانبه يميز هذا المنهج بصورة كافية ووافية، ويضفي عليه طابع الإحكام والإتقان والمثالية، ويجعله مقصدًا لمن أراد السمو والرقي بالتربية تمثُّلا وامتثالاً، دراسةً وتطبيقًا، تنظيرًا وتوجيهًا،....(5).

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، برقم: ٨٨٧، (٢/٤)، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، برقم: ٤٢، (١/ ٢٢٠).

(٥) ينظر: التربية بالقرآن لسليمان العيد، وخصائص التربية في القرآن الكريم لمحمد الغنيمي، شبكة الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

المبحث الثالث: الأساليب النبوية في التربية بالقرآن الكريم

نجد في الأساليب النبوية التربوية من خلال القرآن الكريم الكثير والكثير مما يراعي أحوال الفئات المستهدفة وإمكانياتهم، وقدراتهم العلمية، والاستيعابية، ومنها:

- **التربية بالترغيب**: قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، والتبشير وصية النبي ﷺ لأتباعه، لما ورد عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، قال: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا"[٢]، وهو منهج إلهي تربى عليه النبي ﷺ قبل أن يربي عليه أصحابه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٤]، وعن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟قال:"تلك عاجل بشرى المؤمن".[٥]

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، بابٌ في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، برقم: ١٧٣٢، (٣/ ١٣٥٨).

(٣) سورة مريم، آية: ٩٧.

(٤) سورة يونس، آية: ٦٢-٦٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، برقم: ٢٦٤٢، (٤/ ٢٠٣٤).

- **التربية بالترهيب:** عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صباحاه"، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: "يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب"، فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ؟" قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، قال: فقال أبو لهب: تبًّا لك أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، وقد تبّ[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[3]، وقد صح عنه ﷺ قوله عند كسوف الشمس: "إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ، ولا لحياته، ولكنهما من آيات الله، يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم كسوفًا، فاذكروا الله حتى ينجليا".[4]

- **التربية بالقصة:** قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[5]، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه مخبرًا ومربيًا، قال: "كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، ......، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو

---

(١) سورة الشعراء، آية: ١٤٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بابٌ في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء: ٢١٤]، برقم:٢٠٨، (١/ ١٩٣).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، برقم: ٩٠١، (٢/ ٢٦٠).

(٥) سورة البروج، آية: ٤.

قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق".[١]

- **التربية بضرب بالمثل**: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[٢]، وخرج الترمذي من حديث أنس بن مالكٍ قال: أتي رسول الله ﷺ بقناعٍ فيه رطبٌ، فقال: "مثل كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حينٍ بإذن ربها"- قال- هي النخلة" ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ"- قال- هي الحنظل".[٣]

- **التربية بالموعظة**: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[٤]، وعن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجلٌ: إن هذه موعظة مودعٍ فماذا تعهد إلينا يا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، برقم: ٣٠٠٥، (٤/ ٢٢٩٩).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٤-٢٦.

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ: ومن سورة إبراهيم عليه السلام، برقم: ٣١١٩، (٥/ ٢٩٥)، قال الألباني: صحيح موقوفًا، ضعيف مرفوعًا. ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٣٣٠).

(٤) سورة النساء، آية: ١٣١.

رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالةٌ فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"(١)، وعن ابن مسعودٍ ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا.(٢)

- **التربية بالقدوة:** أمر الله نبيه - ﷺ - بالاقتداء، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣)، وجعله الله لنا أسوة وقدوة، بل وأمرنا بذلك، فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾(٤)، وروى البخاري عن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**"(٥)، فلا يخلو عصر من عصور الأمة المحمدية من طائفة صالحة، تصلح لأن تكون في عصرها قدوة حسنة للأفراد والجماعات.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: ٢٦٧٦، (٥/ ٤٤)، قال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/٧٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم: ٦٨، (١/ ٢٥).

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنما قولنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل: ٤٠]، برقم: ٧٤٦٠، (٩/ ١٣٦).

- **التربية بالحوار والإقناع العقلي**: استعمل القرآن هذه الطريقة، قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا** ﴾[(١)]، وتمثله المصطفى عليه الصلاة والسلام، فعن أبي أمامة قال: إن فتًى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبًا". قال: فجلس قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيءٍ[(٢)].

هذه أمثلة مختصرة لبعض الأساليب النبوية التربوية من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته، وسيرته عليه الصلاة والسلام مليئة حافلة بالأساليب والوسائل التربوية المترجمة للتربية التي تلقاها من ربه سبحانه وتعالى.

(١) سورة الكهف، آية: ٣٧.

٢ - مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو، برقم: ٢٢٢١١، (٣٦/ ٥٤٥)، قال الألباني: سنده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (١/ ٧١٣).

الخاتمة

وتشمل النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ولله الحمد من قبل ومن بعد أن وَفَّقني – سبحانه وتعالى– على عجالةٍ من الأمر، وتزاحم الأعمال وتتابعها، لكتابة هذا البحث الذي يلوح آخره عند أوله، ويبدو منتهاه عند ابتدائه، عن: (**المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم**).

وهنا يلهج لساني بما دعا به أبو عمرو الداني –رحمه الله– عند ختم القرآن: اللّهم إنك اتّخذته "يعني: القرآن الكريم" علينا حجة قطعت به عذرنا، واصطنعت به نعمة عندنا قصَّر عنها شكرنا، اللهم إنّا نعوذ بك من الشقوة في حمله، والعمى في علمه، والتقصير دون حقه، اللهم ارزقنا حلاوة في تلاوته، ونشاطاً على قراءته، ووجلاً في ترديده، اللهمَّ إنّا نعوذ بك من تخلّفه في قلوبنا بترك تلاوته بألسنتنا، وتوسّده عند رقادنا، ونبذه وراء ظهورنا، ونعوذ بك من قساوة قلوبنا لما به قد وعظتنا [1].

والله المسؤول أن يصلح الأحوال –سائرها– بحوله وقوته.

ووقفتُ على بعض النتائج المتعلقة بالبحث، وكلها مبثوثة داخل البحث، وأوجز ذكرها فيما يلي:

– منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم رسم القرآن الكريم معالمه الكبرى، واستقل ببيانه وتفصيله السنة النبوية.

١ – جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (ص: ٧٧٨).

- **المفهوم العام للمنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم**: الطرق والأساليب المتبعة وفق الضوابط والقواعد من النبي ﷺ في تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئًا فشيئًا وتشكيل شخصيته في جميع جوانبها من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

- المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم **جمعٌ بين الأصلين الأصيلين، والركيزتين الأساسيتين**: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من خير من يمثل ويترجم معالم التربية بالقرآن الكريم، ويوصل للنجاة والفلاح في الدارين.

- **من معالم المنهج النبوي التربوي**: ترسيخ الارتباط بالقرآن، واعتباره المصدر الأول للمعرفة الشرعية، فهذا عمر ﷺ وصاحب له يرابطان في أحد ثغور المدينة، لكنه كان حريصًا على معرفة ما نزل من الوحي، فقال كما في صحيح مسلم: "كان لي جار من الأنصار، فكنا نتناوب النزول لرسول الله ﷺ ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك"(١).

- **من أهم خصائص المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم**: **تمام الهداية**؛ لأنه احتوى أرقى وأوفى ما عرَفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله ورسوله والناس، وانتظم كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق، والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمع بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظَم علاقة الإنسان بربه وبالكون الذين يعيش فيه، ووفَّق بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد.

---

١ - صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، برقم:١٤٧٩،(١١١١/٢).

- المنهج النبوي التربوي القرآني ينظر إلى الطبيعة الإنسانية من خلال كون البشر مختلفون فيما بينهم، متنوعون في صفاتهم، ويتعامل مع الفرد على أساس احتمال الخطأ والإصابة بعيدًا عن المثالية والكمال، فالكمال لا يكون إلا لله عز وجل، فهو لا يتعامل مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع.

وبعدها، أشيرُ لجملةٍ من التوصيات والمقترحات التي ظهرت لي، وأُجمِلُها فيما يلي:

- الاهتمام بامتثال المنهج النبوي في التربية من خلال تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

- ضرورة توجه التربويين والباحثين وطلاب الدراسات العليا لبيان صفة منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم من خلال ما رسمه القرآن الكريم من معالم كبرى، وما استقل ببيانه وتفصيله السنة النبوية.

- توضيح الوسائل والأساليب النبوية التربوية بصورة مشوقة مشرقة.

- يمكن إصدار موسوعة تجمع الأساليب النبوية التربوية من خلال تعاليم القرآن وتوجيهاته من كتب الحديث المشهورة.

ثم أسأل الله منتهيًا -كما ابتدأت- التوفيق والسداد، والقبول والإخلاص، راجيًا منه أن أجتني من عملي هذا ثمرتي: دعاء يُستجاب، وثناء يُستطاب، وصلى الله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، الناشر: منشورات الفرقان- مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الصيد الزنتاني، الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، الطبعة: الثانية، ١٩٩٣م.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عَبْد الحَيّ الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم — بيروت، الطبعة: الثانية.

- التربية الربانية القرآنية للنبي محمد ﷺ ، ملخص لرسالة ماجستير للباحث: رشيد منصور الصباحي، ٢٠٠٣م، موقع المركز الوطني للمعلومات برئاسة الجمهورية اليمنية على الشبكة العنكبوتية.

- التربية بالقرآن، سليمان قاسم العيد، مقالة بموقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف — الرياض.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي،

أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

– خصائص التربية في القرآن الكريم، محمد سلامة الغنيمي، شبكة الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

– سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

– سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

– سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥م.

– سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ–٢٠٠٠م.

– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

– صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- مقالة بعنوان: فضائل حفظ القرآن، محمود العشري، شبكة الألوكة الالكترونية.

التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية

(الآثار والنتائج)

إعداد

د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي

أستاذ مشارك: عقيدة ومذاهب معاصرة

١٤٣٥هـ /٢٠١٤م

ملخص البحث

اسم البحث : التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية (الآثار والنتائج).

اسم الباحث: د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي – عقيدة ومذاهب معاصرة – جامعة الملك عبد العزيز.

مكونات البحث: يتكون البحث الماثل من مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهرس.

في المقدمة وضح الباحث أن قضية التربية والتعليم من أهم وأبرز القضايا التي تحفظ للأمة أصالتها وتحدد هويتها، وترسم معالم مستقبلها، ثم أورد أسباب اختيار الموضوع والهدف منه، وخطة البحث وإجراءاته ومنهجه ، أما التمهيد فتناول تعريف التربية والقرآن، وركَّز على المنظور الإسلامي للتربية، وأما القرآن الكريم فأبرز تعريف أهل السنة والجماعة له، أما المبحث الأول فتعرض للتربية بأسلوب الحكمة وعرَّف الحكمة وهي الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، وذكر فيه نماذج من تربية الرسول ﷺ بأسلوب الحكمة ومنها: التدرج بالاهتمام بالأصول قبل الفروع، والتدرج بالانتقال من الأدنى إلى الأعلى، ومناسبة المنهج التربوي للأحوال والمستويات، وتناول أيضاً مظاهر الحكمة في جانب الأساليب التربوية ومنها: اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة، والبحث في الدوافع والأسباب لملاحظتها، مع ذكر الأثار والنتائج المترتبة من جراء ذلك، والمبحث الثاني: فتعرض للتربية بأسلوب الموعظة الحسنة وعُرف فيه الموعظة الحسنة وهي النصح والتذكير بالخير على وجه يرق له القلب ويحث على العمل والنماء والبركة، ووضح فيه أيضاً نماذج متعددة لتربية الرسول ﷺ بالموعظة الحسنة، ثم تناول الأثار والنتائج من هذا الأسلوب النبوي، والمبحث الثالث ففيه التربية بأسلوب المجادلة وتناول تعريف الجدال والمراد به: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة،

وتعرض لنماذج متعددة من تربية الرسول ﷺ بأسلوب الجدال بالحسنى مع بيان بعض الأثار والنتائج لتلك التربية، أما المبحث الرابع ففيه التربية بأسلوب القدوة الحسنة وتعريفها والمراد بها: الأسلوب العام الذي يشمل كل من عمل عملاً صالحاً حسناً، وتناول أيضاً نماذج متعددة من تربية الرسول ﷺ بأسلوب القدوة الحسنة، ثم تناول الأثار والنتائج لهذا الأسلوب، أما المبحث الخامس ففيه التربية بأسلوب الترغيب والترهيب، وبيَّن المراد من الترغيب: وهو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترهيب: وهو عبارة عن وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، ثم تعرض لذكر نماذج متعددة من تربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب، وعرض عدد من الأثار والنتائج لهذا الأسلوب، أما المبحث السادس ففيه التربية بأسلوب الرد على الشبهات وتناول تعريفها: وهو ما التبس أمره فلا يُدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل، وتعرض لذكر نماذج من تربية الرسول ﷺ بهذا الأسلوب مع تعداد بعض الأثار والنتائج المترتبة على ذلك، والمبحث السابع ففيه تربية الرسول ﷺ بأسلوب الامتثال لأوامر الله – تعالى – وعُرف فيه الامتثال: وهو عبارة عن قصد إيقاع المأمور به على وجه الطاعة، وذكر فيه نماذج لتربية الرسول ﷺ بهذا الأسلوب ثم بيَّن الأثار والنتائج لهذه التربية، ومن ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم ختم البحث بفهرس.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد ورسوله ﷺ.

أما بعد :

فمما لا شك فيه أن قضية التربية والتعليم من أهم وأبرز القضايا التي تحفظ للأمم أصالتها، وتحدد هويتها، وترسم معالم مستقبلها، لا سيما وأن لها دوراً فاعلاً في تربية وتعليم أبناء الأمة وتشكيل عقلياتهم وتوجيه فكرهم وثقافاتهم، ومن ثمَّ بناء حضارتهم والترقي بها إلى موقعها الريَّادي.

حيث إن هذه القضية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بواحد من أهم المجالات العلمية المتمثلة في مجال (العلوم التربوية) التي تندرج تحت مظلة العلوم الاجتماعية، والتابعة بدورها لفرع العلوم الإنسانية، فنحن في أمس الحاجة لتصحيح مسار هذه العلوم، وإعادة النظر في منهجيتها، والعمل على توجيهها توجيهاً إسلامياً يتناسب ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه، ويُساير معطيات الحياة المعاصرة دونما تعارض أو تصادم مع ثوابت الدين ومرتكزاته لما لذلك من أثر كبير في الحفاظ على شخصية الأمة المستقلة وتأكيد هويتها المتميزة.

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام والتأمل، وتتمثل في أنه إذا كانت قد جرت العادة بتصنيف العلوم التربوية بمختلف فروعها وميادينها ضمن العلوم الإنسانية، فإن ذلك لا ينطبق تماماً على العلوم التربوية في مجتمعنا المسلم، لأن تسمية العلوم الإنسانية بهذا الاسم جاءت ترجمة لكلمة Humanities المستخدمة في الغرب، ومعلوم أن

(العلوم الإنسانية) مصطلح علمي غربي يشير إلى مجموعة العلوم التي تستمد مصادرها، ومناهجها، ومفاهيمها، وأهدافها، ومبادئها، وقيمها، وأساليبها، ومضامينها، من فكر الإنسان، وتجاربه، وخبراته، ومجريات حياته في مكان وزمان معين، فهي بذلك علوم تنطلق من الفكر الإنساني البحت، ولذلك سمُيت العلوم الإنسانية التي تشتمل على عدد من الفروع كعلم التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم التاريخ... إلخ.

وبذلك يمكن القول: إن الدعوة إلى توجيه التربية توجيهاً إسلامياً، ليست إلا دعوة لتصحيح مسار المعرفة البشرية كلها في إطار الفكر التربوي الإسلامي الصحيح، الذي ينطلق من المنطلقات والمصادر الإسلامية الرئيسية، وهي المصادر الربانية الثابتة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ومن أولها القران الكريم، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد أنه قد اعتنى بالتربية عناية فائقة، وذلك لأهميتها في بناء المجتمعات، ولحاجة الدعاة إلى إبرازها في دعوتهم، ومن هنا كان من الأهمية بمكان أن ننظر نظرة تأمل وتدبر في الأساليب التي سلكها النبي ﷺ في التربية بالقرآن الكريم ليستفيد الدعاة والمربون، ولأجل ذلك جاءت هذه الدراسة بعنوان (التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية–الآثار والنتائج) وبالله التوفيق.

أسباب اختيار الموضوع :

١. لما كان لأهل الأهواء والمعاصي انتشار واسع تحتم على الباحثين دراسة أفضل الأساليب القرآنية لمناصحتهم تجلية للحق.

٢. بيان خطورة بعض الوسائل التي يستخدمها بعض التربويين.

٣. اختلاط المنهج الحق بالمناهج الباطلة لدى بعض الدعاة.

٤. بيان تعدد الوسائل والأساليب للتربية وفقاً للزمان والمكان والأفراد.

الهدف من البحث :

بيان أقوم المناهج وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل في عملية التربية في ضوء السيرة النبوية.

منهج البحث :

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث :

١. جمع المادة العلمية وصياغتها الصياغة الصحيحة.

٢. ترتيب عناصر الخطة ترتيباً موضوعياً.

٣. إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر.

٤. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٥. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه.

٦. شرح الألفاظ الغريبة.

٧. عند تغيير الطبعة المعتمدة أشير إلى ذلك في الحاشية.

٨. ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع (اسم الكتاب – اسم المحقق أو المصحح أو المعلق أو المقدم إن وجد – دار النشر- بلد النشر- رقم الطبعة- تاريخ الطبعة) وإذا لم توجد جميع هذه المعلومات فالاكتفاء بما وجد.

٩. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

خطة البحث :

يحتوي البحث على مقدمة وأسباب اختيار الموضوع وأهميته والهدف منه ومنهج البحث وإجراءاته وتمهيد وسبعة مباحث.

التمهيد ويشتمل على تعريف التربية وتعريف القرآن.
المبحث الأول: التربية بأسلوب الحكمة وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الحكمة.
المبحث الثاني: التربية بأسلوب الموعظة الحسنة وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الموعظة الحسنة.
المبحث الثالث: التربية بأسلوب المجادلة وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف المجادلة في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب المجادلة.
المبحث الرابع: التربية بأسلوب القدوة الحسنة وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف القدوة الحسنة في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بالقدوة الحسنة.
المبحث الخامس: التربية بأسلوب الترغيب والترهيب وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب.
المبحث السادس: التربية بأسلوب الرد على الشبهات وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الرد على الشبهات.
المبحث السابع: التربية بأسلوب الامتثال لأمر الله تعالى وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريف الامتثال في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الامتثال لأمر الله تعالى.
الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ومن ثمَّ الفهرس.

التمهيد ويشتمل على تعريف التربية وتعريف القرآن:

أولاً: تعريف التربية في اللغة والاصطلاح:

التربية في اللغة: الراء والباء يدل على عدة أصول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب هو المالك الخالق ومنه الرب: المصلح للشيء، والله — جل ثناؤه — الرب لأنه مصلح أحوال خلقه، وربيت الصبي أربه، وربيته وأربيه، والربيبة الحاضنة، وربيب الرجل: ابن امرأته، والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول، ومن المعاني: ضم الشيء للشيء وهو أيضاً مناسب لما قبله، ومنه العهد، يُقال: الرِّبابة لأنه يجمع ويؤلف[١].

التربية في الاصطلاح:تعددت التعريفات لمفهوم التربية وتنوعت، ولكن يُعد المنظور الإسلامي للتربية أكثر شمولية وتكاملية، فيعتبرونها أنها: (إعداد الفرد ليحيا حياة كاملة في كل جوانب حياته، وهي تربية تبدأ قبل الميلاد، أي مُنذ اختيار الزوجة ورعايتها في حملها، وتستمر مع الإنسان بعد مولده وعبر مراحل حياته المختلفة في كل جوانبها الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية في تربية شاملة متكاملة متوازنة)[٢]، فالتربية مهمة في حياة الشباب فهي: تنمي جوانب الشخصية الإنسانية تنمية متوازنة متكاملة[٣]، وهي عملية واعية موجهة توجيهاً قائماً على بصيرة من أجل إحداث تغيرات مرغوب فيها في سلوك الفرد وبالتالي في سلوك الجماعة التي ينتمي إليها[٤]، فالتربية عملية تخضع من جانب جماعة بشرية معينة، حيث إن هذه الجماعة إنما تربي

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٩٨- ٣٩٩)، لسان العرب (٥/ ٩٥- ١٠٢).

(٢) تربية الطفل في الإسلام النظرية والتطبيقية (٩).

(٣) أصول التربية لمطاوع (٦٣- ٦٥).

(٤) التربية والتغير الثقافي لعفيفي (١٦٣).

أبناءها لكي يصبحوا مواطنين عاملين فيها، ولا يمكن أن يتأتى هذا إذا لم تسر العملية التربوية وفقاً لأهداف الجماعة وفلسفتها[(١)] [(٢)].

ثانياً: تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح:

القرآن في اللغة: الجمع والضم، لجمعه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، ولكونه جامعاً لثمرة الكتب، وثمرة جميع العلوم كما قال الله – تعالى –: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩][(٣)].

القرآن في الاصطلاح: عَّرفه السيوطي – يرحمه الله – بقوله: "وأما في العُرف فهو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، فخرج بالمنزل على محمد ﷺ التوراة والإنجيل وسائر الكتب، وبالإعجاز الأحاديث الربانية القدسية كحديث الصحيحين: (أنا عند ظن عبدي بي)[(٤)]، وغيره، وقولنا بسورة منه: هو بيان تدخل ما وقع به الإعجاز، وهو قدر أقل سورة كالكوثر، أو ثلاث آيات من غيرها بخلاف ما دونها، ثم قال: وزاد بعض المتأخرين في الحد، المتعبد بتلاوته، ليُخرج المنسوخ من التلاوة"[(٥)].

وبعد أن ظهر الخوض في صفات الله – تعالى – من قبل المبتدعة احتاج أهل السنة والجماعة إلى تعريف القرآن تعريفاً يظهرون فيه معتقدهم مخالفين بذلك أهل

---

(١) الأصول السياسية للتربية (٢٢).

(٢) المراد بالتربية في هذا البحث: الكيفية التي سلكها الرسول ﷺ في التربية بقصد التأثير والإقناع بما يتناسب مع الأحوال، وأهم الأساليب الدعوية التي استخدمها ﷺ في التربية، وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع.

(٣) الصحاح (١/ ٦٥)، لسان العرب (١/ ١٢٨)، معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٦)، المفردات (٤٠١- ٤٠٢)، الكليات (٧٢٠)، التوقيف على مهمات التعاريف (٥٧٨)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦).

(٤) البخاري كتاب التوحيد – باب قول الله – تعالى –: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (١٣/ ٣٢٩)، ومسلم كتاب التوبة – باب فضل الذكر والدعاء وحسن الظن بالله تعالى (١٧/ ١١).

(٥) التحبير في علم التفسير (٣٩- ٤٠).

البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، فعرفوه بقولهم: (إن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله – تعالى – بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البريه، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[1].

المبحث الأول: التربية بأسلوب الحكمة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح:

الحكمة في اللغة: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكيم المتقن للأمور،ويقال: لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم[2]، وأحكمت الرجل وحكمته عن كذا وكذا، أي منعته عنه، وفي هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكم، لأنه يمنع الظلم عن الناس[3]وكل كلمة وعظتك وزجرتك ودعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، وهو تأويل قوله ﷺ[4]: (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً)[5] وتطلق على العدل والقضاء والعلم، والحلم، والنبوة، والقران، والإنجيل، والسنة، كما تطلق على العلة: يقال: حكمة التشريع وما الحكمة من ذلك؟ وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه، ويقال للرجل حكيم: إذا أحكمته التجارب وأحكم الأمر وأتقنه،[6]فالحكمة في اللغة تطلق على معان عديدة منها:الإحسان،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٧٩) ، ومختار الصحاح (١/٦٣)

(٣) جمهرة اللغة (١/٥٦٤) ، والصحاح (١/١٤١).

(٤) جمهرة اللغة (١/٥٦٤).

(٥) البخاري كتاب النكاح – باب الخطبة (١٢٠) رقم (٥١٤٦) ، ومسلم كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢٣٥ – ٢٣٦) رقم (٥١٤٦).

(٦) لسان العرب (١٢/ ١٤٠ -١٤٣) ، والمعجم الوسيط (١/١٨٩)

والإتقان، والمنع، والوعظ، والزجر، والعدل، والقضاء والعلم، والنبوة والقرآن، والإنجيل، والسنة، والعلة، وجليل الكلام وغير ذلك.

الحكمة في الاصطلاح :

إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله – تعالى –: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات[1].

فالحكمة إذاً فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وأكمل الخلق في هذا: الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – وأكملهم أولو العزم، ومن أكملهم محمد ﷺ[2] الذي أمره الله – عز وجل– بذلك فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] ومعنى أمره –سبحانه وتعالى – لرسوله الكريم ﷺ بالدعوة إليه بالحكمة، أي: دعوة كل أحد على حسب حاله، وفهمه، وقبوله، وانقياده، وبذلك يصبح المراد من الحكمة في التربية: هو الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، فيكون أسلوب الحكمة شاملاً لجميع الأساليب الدعوية التربوية من هذا الوجه.

---

(١) مفردات القران (١٢٧).

(٢) مدارج السالكين (١٨٨/٢)

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الحكمة:

إن من الحكمة الدعوة بالعلم والبدء بالأهم فالمهم، وبالأقرب إلى الأذهان، والفهم وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، والغلظة والشدة[١]، كل في موضعه بإحكام، وإتقان ومراعاة لأحوال المدعوين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان، ولقد كان الرسول ﷺ حكيماً في منهجه[٢] التربوي، وحكيماً في جانب أسلوبه التربوي، وحكيما في وسائله التربوية[٣]، فمن حكمته في جانب المنهج التربوي مراعاة التدرج في التربية والمراد بالتدرج هو الانتقال من مرحلة إلى أخرى متقدمة للبلوغ إلى الغاية المنشودة بطرق مشروعة مخصوصة[٤] فقد اعتمد ﷺ على محاور منها[٥]:

١. **التدرج بالاهتمام بالأصول قبل الفروع**: لقد بدأ الرسول ﷺ بدعوة قومه أولاً إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة التي أصلها التوحيد[٦] فاستفتح دعوته وتربيته بقوله:

---

(١) تيسير الكريم المنان (٤٠٤).

(٢) لفظة المنهج: مأخوذة من النهج وهو الوضوح والاستبانة، والاستقامة في الطريق، نقول: نهج الطريق: فعل لازم بمعنى استقام ووضح واستبان ، وهو عام في كل مسلك، وليس خاصاً بالطريق المادي، ولهذا ورد في القران الكريم: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة: ١٤٨] ، واستخدمت اللفظة في الخطة المرسومة، أو المسلوكة في الدراسة والعلم، فقيل: منهاج الدراسة، ومناهج التعليم، ومنهج البحث العلمي، وإذا كان منهج التعليم الذي هو : مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العلمية الموضوعة لتحقيق أهداف التربية ، فليس المقصود هنا في البحث، وإنما المراد بالمنهج: القواعد العلمية التي يؤخذ بها لمعرفة الحقيقة. انظر المعجم الوسيط(٩٦٦/٢) ، والمعجم الفلسفي (٤٣٥/٢)، ومناهج البحث العلمي.

(٣) كان الرسول ﷺ – يراعي هذه الأمور في جميع وسائله التربوية .

(٤) التدرج بين التشريع والدعوة (٧)، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة (٥٨٦)، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة (٢٣١)، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٢٩)، منهج التربية الإسلامية (١/ ١٩٤).

(٥) التدرج بين التشريع والدعوة (٧)، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة (٥٨٦).

(٦) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة (٢٣١)، منهج الدعوة إلى الله (٦٥)، الدعوة الإسلامية المعاصرة (٥٨٦)، تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤).

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وكانت قضية الدعوة إلى عقيدة التوحيد هي القضية الأولى، والأصل الأول الذي تصدى له في تربيته ﷺ فابتدأ بدعوة الناس إلى كلمة التوحيد[١]، ولم يتجاوز هذه القضية إلى شيء من الفروع المتعلقة بالشريعة ونظام الحياة إلا بعد ترسيخ العقيدة الإسلامية، ومما جاء في دعوته إلى التوحيد قول الله – تعالى –: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] كما رفض دعوة المشركين إلى الالتقاء في منتصف الطريق في العبودية، وذلك عندما طلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدون معبوده سنه، فلم يقبل شيئاً من عبادتهم إذ نزل الجواب من الله – سبحانه وتعالى – حاسماً فأمره أن يقول لهم[٢]: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾ [الكافرون: ١-٤]، فغرس العقيدة الصحيحة هي الأساس الأول الذي يجب على كل مرب أن يرسخه في النفوس، إنه منهج التربية الذي سلكه الرسول ﷺ، وبيَّن أنه طريق النجاح والنجاة والصلاح والإصلاح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله –: "واعلم أن فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به، ... فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بالإهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، وأما إلهه فلا بد منه في كل حال وكل وقت وأينما

(١) لباب النقول في أسباب النزول (١/ ٢٣٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦١)، التدرج في دعوة الرسول ﷺ (٤٨)، تيسير الكريم الرحمن (٤٤٤)، التدرج بين التشريع والدعوة (٢٥)، تأملات في سورة مريم (٩٢).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول (١/ ٢٣٦)، تفسير القرآن العظيم(٤/٥٦١)، التدرج بين التشريع والدعوة (٨-٩).

كان فهو معه"[1]، لذا لما بعث الرسول ﷺ معاذاً إلى اليمن كان أول ما أوصاه به غرس العقيدة في نفوسهم، والتي يكون بها المنطلق، وإعداد الأفراد، وتربية الأجيال، ليحدد المنطلق، وترسخ القاعدة، وتُبنى المجتمعات، وتُشيد الحضارات، حيث قال له ﷺ حين بعثه: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)[2]، وبعد أن اهتم بدعوة الناس إلى توحيد الله – تعالى – أخذ يدعوهم إلى فروع الشريعة الإسلامية من العبادات والمعاملات والأخلاق الفاضلة، فافترض عليهم أول شيء بعد التوحيد الصلاة وذلك لعظم أهميتها، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج إلى أن أكمل لهم دينهم بعد ذلك[3].

يقول الله –تعالى –: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ١١٠]، ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وكما اهتم الرسول ﷺ بالتدرج في التربية إلى أصول الإسلام، تدرج أيضاً في التربية إلى أخلاق الإسلام، فابتدأ بالدعوة إلى

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤).

(٢) البخاري كتاب الزكاة – باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا رقم (١٤٩٦).

(٣) جامع البيان (٢٦/ ٧٢)، الدر المنثور (٧/ ٥١٤)، ظلال القرآن (٤/ ١٩٤٨)، تيسير اللطيف المنان (١٧٠)، الكشاف (٣/ ١٢٥)، التفسير الكبير (١٦٠/٢٢).

الإحسان إلى الأقرباء والصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة[1]، كما تدرج بالتربية في تأصيل ركائز أخرى في الأخلاق مثل التآخي، والتراحم، والتعاون، وترك التباغض والتحاسد، يقول الله – تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[الحجرات: ١٢].

٢. **التدرج بالانتقال من الأدنى إلى الأعلى:** لقد اتبع الرسول ﷺ هذا الأسلوب الحكيم في تربيته لقومه في تغيير الكثير من العادات والمنكرات والأدناس التي كانت عند قومه وتطهيرهم منها وهم لا يشعرون بأدنى عنت أو حرج[2] ومنها عادة شرب الخمر التي كانت متأصلة في نفوسهم إذ كان تحريمها متدرجاً من الأدنى إلى الأعلى، فكان ابتداء ذلك بذكرها في مقام الامتنان بنعمة الله–تعالى–فقال–سبحانه وتعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]، ثم تدرج الأمر بعد ذلك إلى المقارنة بين منافع الخمر ومضارها، ثم نفَّر منها بترجيح المضار على المنافع، يقول الله – تعالى –: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾[البقرة: ٢١٩]، ثم انتقل الأمر بأن جاء النهي عن قرب الصلاة في حالة السكر حتى يزول منهم أثره ويعلموا ما يقولونه في صلاتهم، يقول الله – تعالى –:

---

(١) التدرج في دعوة النبي ﷺ (٤٨).

(٢) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة (٢٣٣).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم انتقل الأمر إلى أعلى بأن نزل بعد ذلك التحريم القاطع للخمر في جميع الأوقات(١)، ثم يقول الله – تعالى –: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، تقول عائشة – رضي الله عنها –: (وإنما نزل أول ما نزل فيه أي (القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)(٢) ولذلك عندما نزل التحريم سكب الصحابة – ﷺ – الخمر في شوارع المدينة(٣) فوراً حتى سالت في معظم طرقات المدينة .

٣. **مناسبة المنهج التربوي للأحوال والمستويات**: لا يُعد المنهج حكيماً إذا ساوى بين حالة الضعف وحالة القوة، أو بين حالة السلم أو الحرب، أو بين حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها، كما لا يُعد حكيماً إذا لم يفرق بين الكبير والصغير، والمرأة والرجل، ولا بين العالم والجاهل، والعدو والصديق، والحاكم والمحكوم، وما إلى ذلك من أحوال ومستويات تقتضي التفريق، وهذا ما فعله الرسول ﷺ فقد أرسله الله – تعالى – إلى قوم اختلفت عقائدهم ما بين إلحاد، وشرك، وإنكار للبعث، فلذلك خاطب أصحاب كل معتقد منهم على حسب اعتقاده وفكره الديني، لذا بيَّن للمشركين عجز

---

(١) مباحث في علوم القرآن (١٠٢).

(٢) البخاري كتاب العلم – باب في ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس (١/ ١٩٨)، ومسلم كتاب الحج – باب نقش الكعبة وبنائها رقم (١٣٣٣).

(٣) الكشاف (٤/ ١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٧٧)، روح المعاني (٥/ ٦٩)، من صفات الداعية اللين والرفق (٣٩ – ٤٠)، دعوة إبراهيم في القرآن (٧٤).

وضعف الآلهة التي عبدوها من دون الله، يقول الله – تعالى –: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾إلى قوله: وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١–١٩٨][(١)]، ومن مراعاة الرسول ﷺ لأحوال المدعوين في عقائدهم مخاطبته للنصارى الذين أدعوا ألوهية عيسى ﷺ وبيانه لهم حقيقته البشرية، ورده على الشبهات التي كانت عندهم بما يثبت عبوديته لله – سبحانه وتعالى– يقول الله – عزوجل–: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩–٦٠]، وقد كان الرسول ﷺ مربياً محاوراً فذاً حكيماً تقياً نقياً يحاول بكل جهده أن يربي ويقنع الآخرين ولعل موقفه مع حصين بن المنذر الخزاعي وهو أبو الصحابي الجليل عمران بن حصين – رضي الله عنهما – الذي انتدبته قريش لمناقشة الرسول ﷺ ورده عن دعوته فدخل على الرسول ﷺ وحوله أصحابه، فردد عليه ما تردده قريش دوماً: فرقت جماعتنا، وشتت شملنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، والرسول ﷺ ينصت بلطف حتى إذا انتهى قال له بكل أدب: أفرغت يا أبا عمران؟ قال: نعم، قال: فأجبني عما أسألك عنه، قال: قل أسمع، فقال ﷺ: (يا أبا عمران كم إلهاً تعبد اليوم؟) قال: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء!! فقال: (أيهم تُعد لرغبتك ورهبتك؟) قال: الذي في السماء، فقال ﷺ بكل لطف: (يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك)، فما كان من حصين إلا أن أسلم في مكانه فوراً، ثم قال: يا رسول الله

(١) تفسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١٢٣)، الدعوة قواعد وأصول (١٨٩).

علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال ﷺ : قل: (اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي)[1]، فما أروع هذا التعامل الراقي وشدة تأثيره في الناس عند مخاطبتهم وحوارهم وتربيتهم ففي هذا الحوار يأتي الأسلوب النبوي مزيجاً من الأسلوب العاطفي والعقلي ليكون أكثر فاعلية في الترغيب في الإسلام، فيأتي الأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم، ثم يتلوه الأسلوب العقلي في هيئة استفهامات استفسارية تستدرج المحاور الآخر إلى الاعتراف بضرورة الاعتقاد برب واحد، إليه يرغب ومنه يرهب، ثم يأتي بالأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم مرة أخرى، والترغيب في الإسلام بطريقة رقيقة تلميحاً، إذ يعده بتعليمه شيئاً ينفعه إذا أسلم، والتلميح أكثر فاعلية، لأن كثير من الناس يرفض الأسلوب المباشر الذي يشعره بأن المربي يجهله أو يخطئه، فقد كان النبي ﷺ يراعي جميع الأحوال والظروف والشخصيات، فلذا فإنه راعى قومه وظروفهم فقال لعائشة – رضي الله عنها–: (يا عائشة لولا قومك حديث عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باب يدخل الناس، وباب يخرجون)[2]، لذا تقول – رضي الله عنها –: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[3].

(١) الترمذي كتاب الدعوات (٥/ ٥١٩) حديث رقم (٣٤٨٣)، وابن ماجة من كتاب التوحيد (١/ ٢٧٧)، وأحمد في مسنده ح (١٩٩٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٩٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٧).

(٢) البخاري كتاب العلم – باب في ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس (١/ ١٩٨)، ومسلم كتاب الحج – باب نقش الكعبة وبنائها رقم (١٣٣٣).

(٣) مسلم في المقدمة – باب حال بعض الرواة (١/ ٥٥).

ومن مظاهر الحكمة في جانب الأساليب التربوية ما يأتي:

١. اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة: فقد يصلح لحالة من الأحوال أو لمعالجة موقف من المواقف منهج لا يصلح لغيره، فلا بد من اختيار المنهج العاطفي للمنهج العاطفي(١)، والمنهج العقلي(٢) للموقف الجدلي، والمنهج والمنهج الحسي(٣) للموقف التجريبي وهكذا، وهذا ما قام به الرسول ﷺ فقد استخدم اللين والعاطفة عند الحاجة، يقول الله -تعالى-: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، كما استخدم أسلوب الشدة والغلظة مع الكافرين والمنافقين، يقول الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ

---

(١) المنهج العاطفي: هو النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب ويحرك الشعور، والوجدان، أو هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان، ومن أبرز أساليبه: الموعظة الحسنة بأشكالها الكثيرة ومنها: الخطابة، التذكير بنعم الله، مدح الداعي للمدعو، الترغيب بالنصر والتمكين، والقصص وغير ذلك من الأساليب المؤثرة. انظر تفسير المراغي (١/ ٣٣٧)، التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٥٠١) ، والكليات (١٤٧)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٧١)، والمرأة في القصص القراني (١/ ٢٥).

(٢) المنهج العقلي: هو النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعو إلى الفكر والتدبر والاعتبار، ومن أبرز أساليبه: المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها والجدل، والمناظرة، والحوار، وضرب الأمثلة بأنواعها والقصص التي يغلب عليها الجانب العقلي. انظر المصادر السابقة.

(٣) المنهج الحسي أو التجريبي: هو النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب، أو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب، ومن أبرز أساليبه: لفت النظر إلى التعرف على المحسوسات، والتعليم التطبيقي، والندوة العلمية، وتغير المنكر باليد، والتمثيل المسرحي، انظر سيكلوجية القصة في القرآن (٤٦٠). وعيوب النفس (١/٢٧)، والتوقيف على أمهات التعاريف (١/٥٠١-٥٠٣) والكليات (١٤٧)

﴿ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣]، ومن أمثلة التربية بالعاطفة من السيرة النبوية الشريفة، أن الرسول ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي؟ ويجيبون ويقولون: الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال لهم: لو شئتم أن تقولوا: قد كان كذا وكذا ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآزرناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون أنتم بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم أرحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم وقالو: رضينا برسول الله ﷺ حظاً وقسماً ونصيباً)[١]، فهنا خاطب قلوب الأنصار ومشاعرهم قبل أن يخاطب آذانهم، إن هذا الأسلوب في التربية فيه موازنة فعلية التي ضاءلت في عيونهم ما رآه بعضهم كثيراً من عرض الدنيا، وقد استخدم ﷺ لفظ لعاعة ويقصد بها البقلة الخضراء الناعمة، شبه بها الدنيا ونعيمها ويُقصد بها التقليل من الأمر، وفي المقابل ذكرّهم بما بقي في أيديهم، لقد عادوا برسول الله ﷺ وبما يحمله لهم من إعزاز وبركات ودعوات،

(١) البخاري كتاب المغازي – باب قول الله – تعالى –: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ (٨/ ٢١).

ومن سيرته العطرة ﷺ موقفه مع الشاب الذي استأذنه بالزنا[1] فاستعمل معه عدد من الأساليب التربوية، فتقريبه للشاب منه، ووضع يده عليه، ودعائه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان، ويأسر القلوب، ومناقشته ﷺ للشاب باستخدام القياس المساوي، ومجادلته له بالحسنى من أساليب المنهج العقلي، فاستخدام هذين المنهجين معاً في هذا الموقف مظهر من مظاهر حكمته البالغة ﷺ ذلك لأن الشاب المسلم جاء مستئذناً بالزنا، مما يدل على أنه شاب ضعيف، اختل توازنه، واضطربت شخصيته، ودفعته غريزته إلى الزنا، فكان إيمانه حاجزاً له، ودافعاً له من الاستئذان بالزنا، والاستئذان بالزنا دليل ناطق بالحالة المرضية فيه من جهة، وبجانب الخير في الشاب من جهة أخرى، وإلا لذهب وزنى كما يزني غيره، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه كل الاستيعاب، واستخدام كلا المنهجين معه، حتى انقذه الله مما هو فيه، وأعاده إلى الصواب والتوازن، فليتَّ يتبع المربون هذه الأساليب النبوية الرائعة.

٢.اختيار الشكل المناسب من أشكال أساليب المنهج المختار: إن أشكال الأساليب التربوية للمنهج الواحد متعددة، والحكمة تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف، فما يقُال في الأفراح يختلف عما يُقال في الأتراح، وما يقُال في الشدة غير ما يقُال في الرخاء، وللترغيب موطن يغاير موطن الترهيب، فمن غلب عليه الخوف مثلاً لا يستخدم معه أسلوب التحذير[2] بل اسلوب الترغيب والرجاء، ومن غلب

---

(١) أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦) وإسناده صحيح.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة (٣٩٥).

عليه الرجاء والأمل، يستخدم معه أسلوب الترهيب، وهكذا، وقد استخدم الرسول ﷺ تلك الأساليب على حسب الموقف، كما أنه استخدم ﷺ أسلوب التعريض وهو خلاف التصريح من القول وهو التورية، فعندما فُرض الجهاد على المسلمين شق على البعض منهم، وقالوا: لماذا فرض الله القتال؟[(١)]، فعاتبهم الله – سبحانه وتعالى –: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، كما أن الرسول ﷺ كان من حكمته في التربية أن نوّع بين السر والعلانية، فابتدأ دعوته السرية في دار الأرقم، ثم بعد ذلك بدأ بالدعوة جهاراً، يقول الله – تعالى –: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وكذلك نجد أن الرسول ﷺ قد اختلف أسلوبه مع الأعرابي الذي جاء مسترخصاً سائلاً عن الواجبات والفرائض، ثم قال: (والله لا أزيد على هذا ولا أنقص)[(٢)] عن موقفه مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من الخير فقالوا: (ذهب أهل الدثور

---

(١) الذين قالوا هذا القول هم المنافقون أو الذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، ولم ينشرح صدورهم بالإسلام، ومن نسب هذا القول إلى الصحابة – رضي الله عنهم – فقد ابتعد عن الصواب، حيث إنهم يعلمون حق العلم بأن الأوامر من الله – تعالى – ولا يصح لأحد أن يعارضها. انظر جامع البيان (٥/ ١٧٠)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٦٥).
(٢) البخاري كتاب الإيمان – باب الزكاة من الإسلام (١/ ٨٧- ٨٨).

بالأجور)[1]، كما اختلف أسلوبه في الجهر بالتربية عن أسلوبه حال الاختفاء، وموقفه مع غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية، والذي يوضح قبوله للرأي المخالف عندما قال الرسول ﷺ : (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك، قال رسول الله ﷺ أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو)[2]، فلقد تفهم الرسول ﷺ الموقف وأدرك أن الجهل هو الذي دفعه إلى ذلك القول ولو علم لقالها وفعل بها، فتجاوز عما كان دافعه الجهل في حرص منه ﷺ على إيجاد محاور التقاء فحقق غاية ذلك الحوار في تربيته للآخرين، وقبول الرأي المخالف، بتنازله لرأي المخالف رغم ما أُثير حوله من الجدل والخلاف، وتم عقد الصلح بما حمل من فائدة مستقبلية للإسلام والمسلمين، فكان فتحاً عظيماً.

٣.**اعتماد مراتب الاحتساب**: وهي التعريف ثم الوعظ، ثم التعنيف ثم باستعمال اليد ثم التهديد بالضرب[3]، حيث إن من الأمور التي ينبغي أن يراعيها المربي عند ابتدائه، أن يكون على يقين بأن ما يقوم به سيأتي بنتيجة مثمرة وطيبة يتحقق فيها بإذن الله مع الآخرين ما يريده المربي، وهذا ما حدث مع الرسول ﷺ مع وفد ثقيف، إذ أنهم

---

(١) البخاري كتاب الصلاة – باب الذكر بعد الصلاة (٢/ ٢٧٠)، ومسلم كتاب المساجد – باب الذكر بعد الصلاة رقم (٥٩٥٩).

(٢) مسلم كتاب الجهاد والسير – باب صلح الحديبية (١٢/ ١٣٥- ١٣٦).

(٣) فقه الدعوة في إنكار المنكر (٦٧- ٧٤)، إحياء علوم الدين (٧/ ١٢٢٦- ١٢٣٣).

قدموا عليه في السنة التاسعة من الهجرة، ودعاهم أول ما دعاهم إلى التوحيد فأعلنوا إسلامهم، ثم اشترطوا عليه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين، فأبى عليهم أن يدعها، وأبى إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة ليهدماها، مطبقاً لقول الله – تعالى–:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وسألوه مع ذلك ألا يصلوا، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فقال: (أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه، فقالوا: سنؤتيكها)(١)، ثم قال ﷺ لأصحابه: (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا)(٢)، فاتباع الرسول ﷺ لهذا الأسلوب الحكيم معهم تحقق وعد الله الذي جاء على لسان رسوله ﷺ حين كان على يقين به وقال لأصحابه: (سيتصدقون ويجاهدون) فتكليف الأخرين بكل ما يريده الله – تعالى – دفعة واحدة قد يكون أمر فوق الطاقة، وهذا ما فعله مع هذا الوفد، فلابد للمربي أن يعدد الوسائل والأساليب وهذا ما وضحه الرسول ﷺ بقوله: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)(٣)، فقد صرح الحديث الشريف بدرجات تغيير المنكر تبدأ بأقوى الدرجات ثم بالأدنى، فلا تعارض بين ملاحظة درجات التغيير، وبين اعتماد مراتبه رتبة رتبة، فعلى المربي عند قيامه بدرجة من درجات التغيير أن

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣١٣- ٣١٤).

(٢) أبو داود كتاب الخراج والإمارة – باب ما جاء في خبر الطائف (٣٤٣) رقم (٣٠٢٥)، وقال الألباني صحيح في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢٥/٧).

(٣) مسلم كتاب الإيمان–باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان(٢/ ١٢).

يلاحظ ترتيب المراتب، وإن تجاوز هذه المراتب يُعد خروجاً عن الحكمة في التربية، ولذلك فإن استخدام الشدة في التربية في بعض الأحوال يكون بعد النظر والتدبر فيما يترتب عليه، فإن تأكد لدى المربي حدوث منكر أكبر وأعظم من المنكر الذي أراد إزالته، أو ترك معروف أهم منه بسبب التربية بالشدة فليس له أن يلجأ إليها[1]، وليس معنى ذلك تخلي المربي عن الشدة أن يكون مداهناً، حيث يلقى الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبه، أو يرى منكراً ويقدر على دفعه فلا يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلة مبالاة في الدين، أو نفاق ورياء منه، أو يترك بعض ما هو عليه من أمر الدين مما لا يرضاه مصانعة لهم، بل المقصود من الرفق واللين أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة، والقسوة، والشدة، والجفاء، وإذا اضطر إلى استخدام الغلظة والشدة فبحكمة وفي موضعها.

٤.البحث عن الدوافع والأسباب لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة: إن أسلوب معالجة الجاهل تختلف عن أسلوب معالجة العدو المتعصب، وهذا الاختلاف يقتضي تشخيص المربي لكل حالة على حده، وهذا ما فعله الرسول ﷺ فيعرف ماذا يُقدم وماذا يؤخر[2]، تقول عائشة — رضي الله عنها —: (إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، فلما جلس تطَّلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت

(١) من صفات الداعية اللين والرفق (٥٩)، منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله (١٣)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٤/ ٢١٩)، فتح القدير (٣/ ٢٠٣)، إرشاد العقل السليم (٥/ ١٥١)، وروح المعاني (١٤/ ٢٥٤)، تفسير المنار (٣/ ٧٧).

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله (٣٣٦– ٣٣٧).

الرجل قلت: كذا وكذا، ثم تطَّلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال: يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)[1]، فكان ﷺ يستخدم الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن،حتى ينَّوع طرق التربية بحسب طبائع الناس، وهذا ما كان يفعله الرسول ﷺ مطبقاً لقوله—تعالى—: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥] فعلى المربي أن يكون حكيماً في تربيته للآخرين، بأن يعرف طبيعة المتربي، حتى يمكنه استخدام الأسلوب الأمثل والطريقة المناسبة له، حتى تكون تربيته على بصيرة، يقول أنس بن مالك — رضي الله عنه —: (بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ مَهْ مَهْ[2]، فقال رسول الله ﷺ : لا تزرموه[3]، دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله — عزوجل — والصلاة وقراءة القرآن)[4] فكان الأثر أن الأعرابي دعا الله أن يرحمه ومحمداً ولا يرحم

---

(١) البخاري كتاب الأدب — باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (١٠/ ٣٧١)، ومسلم كتاب البر والصلة — باب مدارة من يتقي فحشه (١٦/ ١٤٤).

(٢) مَهْ: كلمة يراد بها الزجر المصروف إلى المستفاد منه. انظر النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣١٠).

(٣) لا تزرموه: بضم أوله، وسكون الزاي وكسر الراء من الإزرام، أي: لا تقطعوا عليه بوله، يقُال: زرم البول: إذا انقطع، وأزرمته: أي قطعته، وكذلك يُقال في الدمع. انظر فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

(٤) البخاري كتاب الأدب — باب الرفق في الأمر كله (١٠/ ٤٤٩)، ومسلم كتاب الطهارة — باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات في المسجد (٣/ ١٠١).

أحداً غيرهما، من شدة تأثره بموقف الرسول ﷺ الحليم الحكيم، فقد رأى الرسول ﷺ طبيعة ذلك الرجل بأنه من أهل البادية، وبأنه جاهل بالحكم الشرعي فيما فعله، فاتبع معه أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة التي أراد من خلالها تعليمه مالم يعلمه من دين الله وأحكامه، ولا يفهم من ذلك أن المربي يجب عليه المداهنة فهناك فرق بين المدارة(١) والمداهنة، فالمربي والناصح يداري ولا يداهن، يقول الرسول ﷺ : (مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين من أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فآتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)(٢)، فالرسول ﷺ يستخدم أسلوب المدارة لا أسلوب المداهنة متمثلاً بقول الله – تعالى –: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩]، ومن مظاهر الحكمة في جانب الوسائل التربوية استعمال الوسائل المعنوية

(١) المدارة: هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك، أما المداهنة: فهي من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه. انظر فتح الباري (١٠/ ٥٤٤).

(٢) البخاري كتاب الشهادات – باب القرعة في المشكلات (٥/ ٣٢٣).

وهي الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، فعلى المربي الاهتمام بها، وحرصه عليها، ومجاهدة نفسه بها، واختيار الخلق المناسب للموقف المناسب، وذلك بحسب الأحوال والمواقف، فمن رفق ولين إلى شدة وعنف، ومن عفو وصفح إلى قوة وبطش، فليس من الحكمة في شيء وضع الشدة موضع اللين أو العكس، وقد تحلى الرسول ﷺ بهذه الصفات الكريمة، فكم صبر وقاسى من أجل الدعوة والتربية الإسلامية، ومع ذلك لم يصدر منه خلق ينافي النبوة أو الرسالة، فلذلك كان لتربيته مصداقية وواقعية تحقق بها هدفه التربوي في يسر وسهولة، حيث كان يطبق الأمر على نفسه وأهله أولاً ثم الآخرين منفذاً لأمر الله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وكان ﷺ يستخدم الوسائل المادية في تربيته للقيام بتربيته ووظيفته، وكان يجتنب كل وسيلة محرمة أو مكروهة، لأن الوسائل لها حكم الغايات، والوسيلة لا تبرر الغاية في التربية الإسلامية، وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع وسيلة (النذير العريان) فقد كانت عادة العرب في الجاهلية، إذا أرادوا الدعوة إلى أمر هام، أو الإنذار بأمر خطير يفعلون هذه الأمور الآتية: يصعدون إلى مكان عال كجبل أو أي مكان مرتفع، وينادون بأعلى صوتهم: واصباحاه وما إلى ذلك من ألفاظ النداء، ويتعرون عن ثيابهم ليشعروا الناظر إليهم بخطر الأمر الذي ينادون من أجله، وكأن العدو قد عراهم عن ثيابهم فيسرع الناس إليهم، فلم يترك الرسول ﷺ هذه الوسيلة المشوبة بالتعري، وإنما عمل على تعريتها عما شابها واستخدمها فقال عن نفسه: (أنا النذير العريان) معبراً عن خطر الأمر الذي جاء به، وحصل ذلك عندما نزلت آية:

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فخرج حتى صعد الصفا فهتف واصباحاه)[1]، دون أن يقوم بمعصية تنافي النبوة والرسالة مطبقاً لقوله – تعالى –: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] ولذلك كان من آثار استخدام الرسول ﷺ للحكمة في التربية أنه أخرج شباباً تخرجوا من مدرسة النبوة، فكانوا طرازاً فريداً وأنموذجاً يحُتذى به، اتصفوا بقوة الإيمان، وحب الإسلام، فتأدبوا بآدابه، والتزموا بأخلاقه وبذلوا جهودهم في الدعوة إليه، فبإيمانهم الذي غرسه الرسول ﷺ في نفوسهم تبددت ظلمات الباطل، وتهدمت صروح الطغيان، وقُضي على عوامل الفساد، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها، فأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ولقد كان من أهم نتائج تربية الرسول ﷺ بالحكمة أن وصل إلى الأهداف من أقرب طريق، وبأكثر النتائج وأقل الخسائر، وقَّرب القلوب إليه، وأزال الشحناء والبغضاء، يقول الله –تعالى–: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾[فصلت:٣٤- ٣٥]، وأصاب في القول وسُدد في الفعل، ونفع الله به طلاب العلم ومريدي الخير.

(١) البخاري كتاب تفسير القرآن – باب ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ (٨/ ٤٠٦).

المبحث الثاني: التربية بأسلوب الموعظة الحسنة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة في اللغة والاصطلاح:

الموعظة في اللغة: الاسم من الوعظ، وقد وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة، ذكَّرَه بما يلين قلبه من الثواب والعقاب، وتأتي بمعنى النصح والتذكير بالعواقب[1] وأمره بالطاعة ووصاه بها[2]، وهي تذكيرك أياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه[3] وفي الحديث: (فلأجعلنك موعظة)[4][5] أي موعظة وعبرة لغيرك[6]، والاتعاظ قبول الموعظة، وقد وعظه فاتعظ، أي قبل الموعظة حين يُذكر الخير ونحوه، وكف نفسه كما جاء في الحديث :(الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وُعظ بغيره)[7][8]وتأتي بمعنى الحجة والبصيرة، فهي لا تخرج عن معنى التذكير والنصح بالقول والفعل بعواقب الأمور.

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة، وقد تكون سيئة وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، يقول الرسول ﷺ : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده ومن غير أن ينقص من أجورهم شي، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء)[9] ومن هنا جاء الأمر بها مقيداً في القران الكريم يقول الله

---

(١) تاج العروس (٢٠/ ٢٨٩)

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٦٦)، ومختار الصحاح (١/ ٣٠٣)، والمعجم الوسيط (١٠٥٥/٢)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٦٣)

(٤) تفسير المراغي (١/ ٣٣٧)

(٥) مسلم كتاب الآداب – باب الاستئذان رقم (٢١٥٣)

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٣٢)

(٧) معالم التزيل (٣/ ٩٠)

(٨) مسلم كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدامي في بطن أمه وكتابة رزقه (١٨٩/١٦)

(٩) مسلم كتاب الزكاة – باب الحث على الصدقة وأنواعها (٧/ ١٠٤)

– تعالى–: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥] فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسنة، يقول الله – تعالى–: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤]

الموعظة الحسنة في الاصطلاح:

النصح و التذكير بالخير على وجه يرق له القلب، ويحث على العمل والنماء والبركة[١].

وسميت الموعظة بالموعظة الحسنة لما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، أو لإكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، ولما يذكر من إعداد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل[٢].

ومن أشكال الموعظة الحسنة: القول الصريح اللطيف اللين، يقول الله – تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، والإشارة اللطيفة المفهومة، والتعريض، والكتابة المؤدبة، والتورية، والقصة، والخطابة المؤثرة، والفكاهة، والتذكير بالنعم المستوجبة للشكر، والمدح والذم، والترغيب والترهيب، والوعد بالنصر والتمكين، والتحمل والصبر، وما إلى ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعويين وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة[٣].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٣)

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤)

(٣) الدروس الدعوية (٣٣ – ٤١)

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الموعظة الحسنة

على المربي أن يستخدم أسلوب الموعظة الحسنة في التربية، متأسياً بالأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – حيث إنهم اتبعوا أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أقوامهم، ويدل على ذلك قول قوم هود ﷺ له بعد أن بين لهم الحق وحذرهم من الباطل كما أخبر الله – تعالى –: عنهم: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، وهذا المنهج هو الذي سار عليه خاتم الأنبياء محمد ﷺ ومن أمثلة تربيته ﷺ بالموعظة الحسنة ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: (بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: (مالك؟) قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ : (هل تجد رقبة تعتقها؟) قال: لا، قال: (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟) قال: لا، فقال: (فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟) قال: لا، فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أُتي النبي ﷺ بعرق فيها تُمر والعرق المكتل قال: (أين السائل؟) فقال: أنا، قال: (خذها فتصدق به) فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: (أطعمه أهلك))[(١)]، فالرجل جاء معترفاً بخطئه فلم يعنفه الرسول ﷺ ولكن أخبره بما يجب عليه برفق وموعظة حسنة، بل وساعده على أداء الكفارة التي عليه إذ كان عاجزاً، وربما مازحه النبي ﷺ وضحك من حالته التي أدت به إلى المخالفة مع عجزه عن التكفير عنها، مما يدل على مدى موعظته بالحسنى ﷺ ، لذا كان دائماً يميل إلى تيسير الطاعات

---

(١) البخاري كتاب الصوم – باب إذا جامع في رمضان (٤/ ١٣١).

فيقول : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)(١) ، ويشجع الآخرين على اتخاذ الرحمة والموعظة الحسنة منهجاً وسبيلاً مع غيرهم لأن رحمتهم والشفقة عليهم لها أثر بالغ، ولهذا تتابعت وصايا الرسول ﷺ للمسلمين بالرحمة المطلقة التي تشمل المسلمين وغيرهم يقول الرسول ﷺ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل)(٢)، وعندما قيل له ادع على المشركين قال: (إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة)(٣)، يقول ابن حجر – يرحمه الله –: "فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل فيه المؤمن والكافر"(٤)، ومن أمثلته في التربية بالموعظة الحسنة ما روته عائشة – رضي الله عنها – (إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السأم عليكم أي (عليكم الموت) قال: (وعليكم) فقالت: السأم عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: (مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش) قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: (أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ))(٥) فانظر إلى مدى احترام الآخر إلى درجة العفو عن الإساءة مالم تدع الضرورة إلى الحزم والشدة لإحقاق الحق، فالأصل كما يعلمنا الرسول ﷺ هو السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب، ولذا يستنكر الرد من أم المؤمنين مع وقاحة أولئك اليهود، ويرفق استنكاره عليها بمناداتها باسمها ثم بالكشف لها عن الحقيقة التي غابت عنها

---

(١) البخاري كتاب الجهاد – باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب – ح (٣٠٣٨)، ومسلم كتاب الجهاد – باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير – ح (١٧٣٣).

(٢) البخاري كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم – ح (٦٠١٣)، ومسلم كتاب الفضائل – باب رحمته ﷺ على الصبيان والعيال – ح (١٩٢٣).

(٣) مسلم كتاب البر والصلة والأدب – باب النهي عن لعن الدواب وغيرها – ح (٢٥٩٩).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٤٤٠).

(٥) البخاري كتاب الدعوات – باب قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم (١١/ ٦٦).

بسبب غضبها، فالمطلوب يمكن الوصول إليه بلطف وموعظة حسنة، ولا يحتاج إلى مبارزة بالعبارات العنيفة، ليت شعري يتخذ الدعاة والمربون والمصلحون من هذا المنهج النبوي الكريم في دعوتهم، وليت يعرف المتشدقون بالحضارة الغربية مدى خلق الرسول ﷺ حتى مع الأعداء الحاقدين.

ومن أجمل موافقه التربوية بالموعظة الحسنة ما حصل مع معاوية بن الحكم-رضي الله عنه- كان من عامة الصحابة، ولم يكن يسكن المدينة ولم يكن مجالساً للنبي ﷺ وإنما كان له غنم في الصحراء يتبع بها العشب، أقبل معاوية يوماً إلى المدينة فدخل إلى المسجد، وجلس إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فسمعه يتكلم عن العطاس، وكان مما علم أصحابه إنه إذا سمع المسلم أخاه عطس فحمد الله فإنه يقول له: يرحمك الله، حفظها معاوية، وبعد أيام جاء إلى المدينة فدخل المسجد فإذا بالنبي ﷺ يصلي بأصحابه، فدخل معهم الصلاة فبينما هم على ذلك إذ عطس رجل من المصلين، فما كاد يحمد الله حتى تذكر معاوية أنه تعلم أن المسلم إذا عطس فقال: الحمد لله، فإن أخاه يقول له: يرحمك الله، فبادر معاوية العاطس قائلاً بصوت عالي: يرحمك الله، فاضطرب المصلون، وجعلوا يتلفتون إليه منكرين، فلما رأى دهشتهم اضطرب وقال: وآثكل أمياه!! ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون على أفخاذهم ليسكت، فلما رآهم يصمتونه صمت، فلما انتهت الصلاة التفت ﷺ إلى الناس وقد سمع جلبتهم وأصواتهم فسألهم من المتكلم؟ فأشاروا إلى معاوية فدعاه النبي ﷺ إليه فأقبل عليه فزعاً لا يدري بماذا سيستقبله وهو الذي أشغلهم في صلاتهم وقطع عليهم خشوعهم، يقول معاوية - رضي الله عنه -: (فبأبي هو وأمي والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه والله ما

كهرني[١] ولا ضربني ولا شتمني، وإنما قال: يا معاوية (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، وإنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن)[٢]، فارتاحت نفسه وأطمأن قلبه وذلك لطريقة الرسول ﷺ وتربيته بالموعظة الحسنة مع أنه فعل أمراً شوش فيه على المصلين وقطع عليهم خشوعهم، ومع ذلك يسر له ﷺ الطاعة ووضح له أن الصلاة لا يصح فيها أبداً شيء من ذلك، ولو استخدم ﷺ أسلوباً آخر فيه الشدة والغلظة – وحاشاه أن يفعل ذلك – لأدى ذلك إلى كره الطاعة والعبادة، ومن الأمثلة التي تدل على حلم النبي ﷺ واستعمال التربية بالموعظة الحسنة مع المحاور الخشن في أسلوبه، يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: (صدق)، قال: فمن خلق السماء؟ قال: (الله)، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: (الله)، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: (الله)، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: (اللهم نعم)، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم)، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا: قال: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم)، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم)، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: (صدق)، ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ : (لئن

(١) كهرني: الكهر: الزجر والنهر، وكهره يكهره، إذا زجره ونهره. انظر جامع الأصول لابن الأثير (٥/ ٨٨).
(٢) مسلم كتاب المساجد – باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته رقم (٥٣٧).

صدق ليدخلن الجنة))[١]، فلقد استوعب الرسول ﷺ بدائية البدوي التي ظهرت في أسلوب طرحه للأسئلة، فتلطف معه وخاطبه على قدر تفكيره وجفائه ولم يعنفه، وكانت إجابته ﷺ وجيزة لا تحمل مؤكدات وتتجلى البلاغة النبوية في الإجابة المتنقلة بين نعم واللهم نعم، إنها الدقة المنشودة والموعظة الحسنة في إدارة الحوار فلا ثرثرة غير مجدية، ولا اختصارا مخلاً، وكانت محصلة الموعظة الحسنة أن انصرف الرجل إلى قومه، وما أمسى من الحي من ذلك اليوم رجل أو امرأة إلا مسلماً[٢].

وفي النص الآتي نجد أن بعض الناس تأبى قلوبهم ونفوسهم قبول الحق والخير إن كان مرغماً عليه، ولكن يأسرهم المعروف والموعظة الحسنة ويقدرونها حق تقديرها، وهنا تظهر مراعاة النبي ﷺ لتلك الشخصيات فيراعي حرية الطرف الآخر مع حرصه على إسلامها جلياً، فيختار ﷺ الإسلام المحتمل للطرف الآخر، بدلاً من أن يختار العوض المالي المضمون، أما قتل الكافر فلم يكن يوماً من الأيام هدفاً للإسلام، وإنما هو إجراء اضطراري، وهذا ما يوضحه الحوار الآتي،يقول أبو هريرة–رضي الله عنه–: (بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بن حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسئل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد ثم قال له: (ما عندك يا ثمامة؟) قال: قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي ما قلت لك، فقال: اطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد

(١) البخاري كتاب العلم – باب ما جاء في العلم ح رقم (٦٣)، ومسلم كتاب الإيمان – باب أركان الإسلام (١/ ١٧٠- ١٧١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٢٩).

فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين ابغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكني أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ)[1] فلقد طرح الرسول ﷺ الأمر على ثمامة وعاوده مرات متعاقبة مع أيام ثلاثة مكرراً السؤال نفسه ما عندك يا ثمامة؟ فأمهله فرصة التفكير، حيث يسمح الزمن، ولكنه ليس الطرح الممتد، فلا مجال عند رسول الله ﷺ لترك الفكرة مطروحة لوقت طويل ولا لزمن مفتوح حتى لا تفقد قيمتها أو تُستغل فيتلاعب بها، فقد أكرم الأسير وأمر بالإحسان إليه بقوله: أحسنوا إساره، ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته أن يُغدى عليه بها ويُراح، فكان لإكرام رسول الله ﷺ له بما في بيته وتلطفه معه في الطرح وعدم التنكيل به في أسره ثم إطلاق سراحه بلا قيد أو شرط موقع طيب في نفسه دفعه لأن يكون توجهه بعد الإطلاق إلى حيث التطهر لإعلان الإسلام.

ويتضح من هذه الحوارات التي تتميز بالموعظة الحسنة الآثار الحميدة التي يجدها المربي، ومن أمثلة ذلك حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فعندما وعظه الرسول

---

(١) البخاري كتاب الخصومات والمغازي – باب وفد بني حنيفة – ح (٤٣٧٢)، ومسلم كتاب الجهاد – باب ربط الأسير وحبسه – ح (١٧٦٤)

ﷺ بالموعظة الحسنة رق قلبه وقال: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً)[١]، ومن أثارها أنها طريق موصل إلى الجنة، وتُنير العقول، وتُصلح القلوب، وتحفظ الإنسان من كيد الشيطان، وتوصل إلى الحقيقة وتُنمي المعلومات، وتُصلح الأخطاء والناس، وتُظهر الحق وتنشر الأفكار والقيم والتوجيهات، وتُحسِّن العلاقات الإنسانية والأخوية بين الناس، وتبطل الباطل وتزيل الأفكار الخاطئة، وتحقق المصالح العامة على مستوى الأفراد والجماعات، وتزيل المنازعات والصراعات والظلم، وتدرب الأجيال على الالتزام بآداب المناقشة والمحاورة والنصح والتربية في كافة المجالات[٢].

أما نتائج التربية بالموعظة الحسنة فهي كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. أنها تكوِّن الشخصية الثابتة القوية على الحق لا تؤثر فيها النزوات والفتن والمشكلات، ولا تتأثر بالأفكار الضالة والسلوكيات المنحرفة، ولعل من أهم الشخصيات التي برزت فيها هذه الجوانب مصعب بن عمير – رضي الله عنه– حيث كان قبل دخوله الإسلام مترفاً مدللاً، وبعد ظهور الحق لم يلتفت إلى الدنيا وما فيها.

٢. إنها تربي الأجيال على الحوار والمناقشة وتبادل الآراء، والتعبير عن وجهات نظرهم، وتشجيعهم على المشاركة الاجتماعية التي تربيهم على تحمل المسئولية الفردية والاجتماعية، ولعل موقفه مع أمة من إماء المسلمين يوضح هذا الأمر فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ثقافة الحوار لريم الباني (٤٧).

(٣) البخاري كتاب الأنبياء – باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٤٥٠– ٤٥١).

٣. إنها ترعى المشاعر والانفعال والعواطف، والاهتمام بالآخرين ولعل من أكبر الأدلة على ذلك موقف الرسول ﷺ مع ثمامة بن أثال[١].

٤. إنها تساعد الآخرين على المحاورة وتوفير الأمور المناسبة لميولهم وقدراتهم واستعداداتهم، والعمل المناسب لهم، ولعل من أفضل الأمثلة على ذلك موقفه ﷺ مع معاذ عندما أرسله لليمن[٢].

٥. إنها تساعد على الاحترام والتقدير للآخرين مما يجعلهم يشعرون بمكانتهم والاهتمام بهم وتشجيعهم على المشاركة والتفاعل، ولعل موقفه مع الحسن – رضي الله عنه – يوضح هذا الأمر، فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم يخطب إذ جاء الحسن بن علي فصعد إليه المنبر فضمَّه إليه ومسح على رأسه وقال: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أحمد في المسند (٥/ ٤٩) رقم (٢٠٥١٧) وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

المبحث الثالث: التربية بأسلوب المجادلة وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف المجادلة في اللغة والاصطلاح:

الجدال في اللغة: مصدر قولهم: جادله يجادله جدالاً ومجادلة وهو مأخوذ من مادة (ج-د-ل)التي تدل على استخدام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام(١) يقال: جادله أي: ناظره وخاصمه، والاسم من ذلك الجدل، وهو شدة الخصومة، وجدل الحبل: إحكام فتله، يقول الراغب: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال: الصرع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها(٢)، كما يأتي منه المصدر على جدال ومجادلة ومعناه: المناظرة والمخاصمة، والجدال أيضاً المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، يقول الفيومي: هذا هو الأصل ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، فالجدال في اللغة يدور حول: المفاوضة، والمطالبة، والمغالبة، والإحكام، والصرع، والإسقاط، واللدد في الخصومة والقدرة على الخصومة، والمناظرة، والمخاصمة. والاسترسال، والاستحكام، ومقابلة الحجة بالحجة(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)، والمفردات (٨٧)، ولسان العرب (١/ ٥٧١)، والصحاح (١٦٥٣/٤)، والمصباح المنير (٩٣/١)

(٣) انظر المصادر السابقة.

الجدل في الاصطلاح:

هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة(١).

فالذي يظهر من المعاني السابقة أن الجدل هو: الخصومة والمنازعة في البيان والكلام، لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم(٢).

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب المجادلة

قد يكون الجدال محموداً إذا تعلق بإظهار الحق واليقين، وقد أُمر بذلك الرسول ﷺ في قوله– سبحانه وتعالى –: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومن هنا قسم العلماء الجدال إلى ممدوح ومذموم وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلى خير فهو الجدل الممدوح، يقول الله –تعالى– :﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه من خلل، ولا يؤدي إلى خير فهو (الجدل المذموم)، ولذا جاء الأمر به في القرآن مقيداً(٣) بالتي هي أحسن، يقول الرسول ﷺ : (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)(٤) أي شديد الخصومة، يقول الإمام الذهبي – يرحمه الله –: "إن كان الجدال للوقوف على الحق

(١) التعريفات (٧٤-٧٥)

(٢) مناهج الجدل في القرآن (٢٠)

(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٣- ٢٣٥)، الرد على المنطقيين (٦٤٧- ٦٤٨)، مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥).

(٤) البخاري كتاب التفسير – باب قول الله – تعالى –: ﴿وهو ألدُ الخصام﴾ (٨/ ٨٠).

وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تُنزَّل النصوص الواردة في إباحته وذمه"(١)، لذا فإن الرسول ﷺ قد اتبع أسلوب المجادلة في التربية بالتي هي أحسن كما امر الله – تعالى – بذلك، فكانت طريقته أحسن الطرق في المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف(٢)، وكان يستخدم الجدال الحسن في تقرير الحق والوصول إلى فهم الحقائق، الذي هو أعظم ما يتقرب به المتقربون في الدعوة إلى الله – تعالى – لبيان الحق(٣)، ومن أمثلة جداله بالحسنى ﷺ ما يرويه جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – بقوله: (أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ فقال النبي ﷺ قد قال الله – عزوجل –: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢])(٤)، فهنا حفصة – رضي الله عنها – تجادله وتراجعه فوضح لها أن فهمها للآيه فيه خلل حيث إن المراد من الآية المرور على الصراط يوم القيامة، أما النار فلا يدخلها أحد بايع بيعة الرضوان، ولكن مع ذلك يمرون على الصراط، فالرسول ﷺ يعلم حق اليقين كيفية مجادلة الآخرين فيستخدم لكل واحد منهم المنهج الصحيح الذي يلائمه، فانظر إلى مدى حكمته وعفوه ورده بالحسنى، مع أنه نزل القرآن الكريم عليه، وهو أعلم الناس به وبمعناه ومع

(١) الكبائر (٢٢١).
(٢) الكشاف (٢/ ٦٠١)، تفسير القرآن العظيم (٥٩٢/٢)، إرشاد العقل السليم (٥/ ١٥١).
(٣) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).
(٤) مسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان – رضي الله عنهم – حديث رقم (٤٦٧٥).

ذلك لم يغضب ولم يسخر من زوجته بل وضح لها الصواب والحق، ومن أمثلة جداله بالحسنى ﷺ يقول ابن عباس – رضي الله عنهما –: (إن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يُرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي فلقيهُ فقال: يا محمد إني أُرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد، فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: قد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر[1] هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه فقال رسول الله ﷺ وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي)[2]، ويتضح من الجدال الذي استخدمه الرسول ﷺ مع الكافر أنه تميز بالصبر والحلم على تهمة يوجهها إليه، وهو يعبر عنها بصيغة المتأكد منها، ويبدو أن الأسلوب الذي اختاره الرسول ﷺ كان نابعاً من معرفته لشخصية محاوره، ومعرفته باهتمام أمثاله بالعبارات والألفاظ الجذابة، ولهذا بادره بعبارات قوية لفظاً ومعنى، وتؤكد أن الحمد وأن الهداية بيده – سبحانه وتعالى – وأنه لا إله إلا هو وأن محمداً رسوله، فلم يملك الطرف الآخر إلا أن يعلن إسلامه، وإسلام قومه معه، فانظر إلى أثر جداله بالحسنى ﷺ واختياره الجمل والعبارات الموافقة والمناسبة[3] للمحاور الآخر فلا يستطيع إلا الإذعان والخضوع لما كان يتجمل به النبي

(١) ناعوس البحر: أي وسطه ولجته. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٠).

(٢) مسلم كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (١٤٩١).

(٣) دور الحوار في وقاية الشباب (٢/ ٦٢).

ﷺ من الأوصاف، وكان ﷺ بموقفه هذا يترجم القرآن الكريم إلى واقع ملموس فلقد صبر وتحمل الرجل كما أمره الله – تعالى – بقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ومن الأمثلة الرائعة ما رواه حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعد، فقالا إنا نعطيك ما سألتنا، وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحابه ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله ﷺ هذا أمين هذه الأمة)(١)، فالرسول ﷺ صالحهم على: (ألف حلة النصف في صفر والبقية في رجب يؤدونها إلى المسلمين...، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم إن كان باليمين كيدٌ أو غدر، على أن لا تُهدم لهم بيعة ولا يُخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم، مالم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الربا)(٢)، فالجدال يوضح لنا مدى حرص الرسول ﷺ على إسلام وفد نجران فلذا عرض عليهم الإسلام ودار بينهم جدال تربوي حول خلق عيسى ﷺ فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله – تعالى – عنه، والفصل في القضاء بينهم وبينه، وأمُر بما أمُر من ملاعنتهم عن طريق قول الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ

---

(١) البخاري كتاب المغازي – باب قصة أهل نجران ح (٤٣٨٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أبي عبيدة ح (٣٤٢٠).

(٢) فتح الباري (٨/ ٧٦).

﴿حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١] فردوا ذلك عليه عندما دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفوا، ثم خلوا إلى كبيرهم فاستقروا على صدق نبوته وخطورة الملاعنة عليهم وأرادوا أن يبقوا على دينهم فعادوا إليه وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى، فقال رسول الله ﷺ أئتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين، فلم سلم الرسول ﷺ من صلاة الظهر نظر عن يمينه وعن يساره فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: أخرج معهم فاقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه، ويتضح من خلال هذا الجدال التربوي أمور منها: أن وفد نصارى نجران وفدوا على الرسول ﷺ ودخلوا عليه في مسجده فلم يمنعهم من الجلوس فيه بل استقبلهم وتناقش معهم[1]، وعندما حانت صلاتهم صلوا به، ثم دعاهم

---

(١) اختلف العلماء على قولين في حكم دخول الكافر المسجد النبوي وغيره من المساجد:

القول الأول: يجوز للكافر الذمي أو المستأمن أو غيرهما دخول المسجد النبوي وغيره من المساجد وهو قول فقهاء الحنفية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية، إلا أن الشافعية والحنابلة قيدوا الدخول بالإذن من الإمام أو من يقوم مقامه، واستدل الجمهور القائلون بجواز دخول الكفار المسجد النبوي الشريف وغيره من المساجد بقوله – تعالى-:(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) [التوبة: ٢٨] فقالوا: إن الآية خاصة بالمسجد الحرام، فدلت على أنهم لا يمنعون من دخول غيره، وبحديث ثمامة بن أثال الذي أسره الرسول ﷺ واذن له بالدخول إلى مسجده ﷺ.

القول الثاني: لا يجوز للكافر دخول المسجد النبوي ولا غيره من المساجد وهو قول المالكية ورواية أخرى للحنابلة. انظر أحكام القران للجصاص (٣/ ٨٨) ، ومغني المحتاج (٤/ ٢٤٧) ، وروضة الطالبين (١/ ٣١٠)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٥٣٢) ، والمبدع (٣/ ٣٢٥) ، وكشاف القناع (٣/ ١٣٧) ، وأحكام أهل الذمة (١/ ١٩٠) ، والمحلى (٤/ ٢٤٣) ،

إلى الإسلام فأبوا وأصروا على ضلالتهم وعاندوا وقد استبان لهم الحق وانجلى لهم الموقف من صورة النبي ﷺ التي يجدونها في التوراة والإنجيل، ولذلك لما دعاهم إلى المباهلة أبوا وهابوا أن تصيبهم لعنة الله، وتشاور بعضهم في شأن الملاعنة، فقالوا: إذن والله لا نفلح فرضوا بالجزية وقبلوا التسليم، وطلبوا منه أن يرسل معهم أميناً يحكم بينهم، فكل هذه الاختلافات في الرأي لم يفسد للود قضية واختلاف العقيدة لم تنشب بينهم العداوة، فلقد اعترف الوفد بعد جدالهم للرسول ﷺ بمدى صبره وحلمه وقوة حجته، مع محاولتهم إحراجه في قضية خلق عيسى ﷺ وقولهم أيضاً له: (إنكم تقرؤون: يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فقال لهم: إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[1]، وأصروا أن يعودوا بدينهم إلا أنهم لما رأوا في جداله ﷺ من الحق والصدق أرادوا رجلاً من أصحابه ﷺيحكم في عصب حياتهم المال، فلم ينكر عليهم طلبهم ولم يمنعهم إياه، لكونهم لم يدخلوا في الإسلام، وتمسكوا بدينهم، بل قرر اختيار من يقوم بالمهمة بأمانة وعزم من خيرة رجاله، فيختار لهم أبا عبيدة أحد المبشرين بالجنة، فضرب الرسول ﷺ بجداله الحسن وفعله أروع أصول تبادل المنافع بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية الأخرى فلا تصلت ولا انعزالية في الدين الإسلامي، فما أجمله وأروعه من جدال، وكان بعمله ﷺ مطبقا لكلام الله – عزوجل – في كل قول وفعل ومن الأمثلة الرائعة موقفه ﷺ جداله الحسن مع عدي بن حاتم – رضي الله عنه– يقول عدي بن حاتم: (ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ مني وكنت على دين النصرانية وكنت ملكاً في قومي لما كان يصُنع بي، فقلت: والله لو أتيت هذا

والأحكام السلطانية لابي يعلى (١٩٥)، أما حديث ثمامة بن أثال فقد رواه البخاري في كتاب العلم – باب ما جاء في العلم (٤/ ٦٣)

(١) مسلم كتاب الأدب – باب بيان ما يستحب من الأسماء (١٤/ ١١٤– ١١٥) .

الرجل فإن كان كاذباً لم يضرني، وإن كان صادقاً علمت فقدمت فآتيته، فلما دخلت المدينة جعل الناس يقولون: هذا عدي بن حاتم، هذا عدي بن حاتم، فمشيت حتى أتيت رسول الله ﷺ في المسجد فقال لي: (عدي بن حاتم) قلت: عدي بن حاتم، ففرح النبي ﷺ بمقدمه واحتفى به، مع أن عدياً محارب للمسلمين، وفار من الحرب، ومبغض للإسلام، ولأجي إلى النصارى، ومع ذلك لقيه ﷺ بالبشاشة والبشر، وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته وفي الطريق استوقفته امرأة ضعيفة كبيرة فوقف لها، حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إليَّ فقال ﷺ : أجلس على هذا، فقلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، وبعد أن أجلسه قال له: (أيه يا عدي بن حاتم أسلم تسلم أسلم تسلم، قال عدي: إني على دين، فقال ﷺ : (أنا أعلم بدينك منك) قال: أنت أعلم بديني مني؟ قال: (نعم ألست من الركوسية؟) وهي ديانة نصرانية مشربة بشيء من المجوسية قال: قلت بلى، قال: (ألم تسير في قومك بالمرباع؟) قال: قلت بلى، قال: (فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك !!) والمراد به أنه إذا غزت القبيلة قسم حاكمها الغنيمة أربعة أقسام فأخذ الربع له وهذا الأمر لا يجوز في النصرانية — فتضعضع لها عدي وقال: نعم، فقال ﷺ (أما أني أعلم الذي يمنعك من الإسلام إنك تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، يا عدي أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت عنها، قال: (فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظُّعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز) قال: كنوز كسرى بن هرمز؟ قال: (كنوز كسرى بن هرمز ولتنفقن أمواله في سبيل الله، ولئن طالت بك الحياة لترين الرجل يخرج بملءُ كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً

يقبل منه) ثم بدأ ﷺ يذكره بالآخرة فقال: (وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلآ جهنم)[1] فسكت عدي متفكراً ففاجأه ﷺ قائلاً: (يا عدي فما يضرك أن تقول لا إله إلا الله؟ أو تعلم من إله أعظم من الله؟) قال عدي: فإني حنيف مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ومن أثار الجدال الحسن :

إن أسلوب الرسول ﷺ في الجدال الحسن أخرج جيلاً من الشباب كانوا أعلم أهل الأرض وأعبدها لله، وخير خلق على وجه الأرض يومها، فكانوا أعلم الناس بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ فكان عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– حبر الأمة وترجمان القرآن، ومعاذ – رضي الله عنه – أعلم الناس بالحلال والحرام، وأقرأ الناس لكتاب الله أبي بن كعب – رضي الله عنه –، وأعلم الناس بالفرائض زيد بن ثابت– رضي الله عنه –، وأقضاهم علي – رضي الله عنه –، وغيرهم من الصحابة كثير، فقد اكتسبوا هذه العلوم النافعة من خلال الجدال الحسن والمحاورة معه ﷺ.

ومن نتائج جدال الرسول ﷺ الحسن نجد أنه :

١. نفع مع منكري العقيدة الإسلامية، وذلك لإقامة الحجة عليهم وهدايتهم للحق، لأن الجدال الحسن في الدين لا يظهر فيه الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل وظهر ذلك واضحاً في موقفه ﷺ مع ضماد وعدي بن حاتم.

---

(١) البخاري في الأنبياء – باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٤٥٠ – ٤٥١)

٢. إنه نافع مع الأشخاص الذين لا ينقادون بمجرد الموعظة الحسنة والدعوة الحكيمة، بل يحتاجون إلى جدال لنزع ما في نفوسهم من الإعجاب بالقديم وتقليد الآباء، والسيرة تنبض بمواقف متعددة توضح مدى نفع الجدال بالحسنى مع الآخرين.

٣. مدى حكمة الرسول ﷺ في استخدام الجدال بالحسنى حيث إن الجدل أمر فطري جُبل عليه الإنسان يصدر من أهل الحق وأهل الباطل، والكبار والصغار، يقول الله — تعالى —: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦٠] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] وتظهر هذه النتيجة جلية في موقفه ﷺ مع وفد نجران وانتصاره عليهم بالحجة والبرهان وغيرها كثير من مواقفه ﷺ.

٤. جداله ﷺ مع الآخرين وضح مدى علمه ومعرفته، حيث إن الله — تعالى — أنكر على الذين يجادلون بغير علم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٥- ٦٦] فجداله ﷺ بالعلم كان نتيجته إقناع الآخرين، وإقامة الحجة على الخصم وإفحامه، فالأصل في أسلوب الجدل أن تكون الحجة واضحة، ولا يترك للمجادل حجة يتمسك بها، أو شبهة باطلة يستدل بها على باطله.

المبحث الرابع: التربية بأسلوب القدوة الحسنة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القدوة الحسنة في اللغة والاصطلاح

القدوة في اللغة: الأسوة، يقال: فلان قدوة يقتدى به، والقدوة المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل مثل ما يعمل[١] والقدوة: بالكسر والضم : والاقتداء بالغير متابعته والتأسي به[٢].

وقيدت القدوة بالحسنة[٣] لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، والقدوة الحسنة تنقسم إلى قسمين:

أ. **قدوة حسنة مطلقة**: أي معصومة عن الخطأ والزلل، كما في الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١]، ويقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ إلى أن قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾[الممتحنة: ٤-٦] ويقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي اقتد واتَّبع والاقتداء طلب موافقة الغير، والمراد بهداهم: طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة، وكذلك الاقتداء بهم في جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة الكاملة من الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم[٤].

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٧)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٢٧)، والمصباح المنير (٥٩٥)

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٧٧).

(٣) انظر المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة في اللغة والاصطلاح من المبحث الثاني.

(٤) التفسير الكبير (١٣/ ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ١٥٦)، وتفسير النسفي (١/ ٣٣٤)

ب. قدوة حسنة (مقيدة) أي بما شرعه الله – عز وجل- لأنها غير معصومة، كما في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- فيقتدى بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ اجتهادي، لذا كان الاقتداء بهم مقيدا بموافقة شرع الله تعالى.

القدوة الحسنة في الاصطلاح :

أسلوب عام يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً حسناً سواءً كان نبياً رسولاً أو كان تابعاً للرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام–ناهجاً نهجهم في عمله(١).

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب القدوة الحسنة

من أنجح العوامل في التربية للأجيال أن يكون المربي قدوة ومثلاً أعلى وأسوة صالحة، وهذه هي الطريقة التي سلكها الرسول ﷺ في التربية، فقد كان القدوة الدائمة والصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، يطبقه في واقع الحياة، تراه عيونهم وتدركه عقولهم، وتشاهده حواسهم، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلقه وشمول عظمته(٢)، ولهذا شهد الله – تعالى – له بأنه أسوة حسنة في قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكان ﷺ متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية، فإذا دعا أحداً إلى أعظم قمم السمو، فإنه مثل بسلوكه العملي هذه الذروة بشكل رائع عجيب، وهذا من أدلة صدقه، إذ الالتزام بالسمو لا تطيقه النفس البشرية عادة مالم تتهذب هذه النفس بدافع الخضوع لأمر الله – تعالى – بعد الإيمان به ومعرفة أمره،

(١) الجامع لإحكام القرآن (٧/ ٣٥)، وفتح القدير (٢/ ١٣٧)

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٤٧٧).

وقد التزم الرسول ﷺ بتطبيق تعاليم الإسلام في حياته العملية على أعلى ما يخطر بعقل بشري حتى يكون قدوة للأجيال، ومن الأمثلة على ذلك أن الرسول ﷺ رغَّب الشباب في قيام الليل فكان قدوة لهم، حيث يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: (إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)(١) وعن عبد الله بن مسعود— رضي الله عنه — قال: (صليت مع النبي ﷺ ليلة فلم يزل قائماً حتى همَّت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ)(٢)، وعن حذيفة — رضي الله عنه— قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يُصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه)(٣)، فكان بفعله ﷺ مطبقاً لقول الله —تعالى—: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾[المزمل: ٢- ٤]، وتظهر أهمية القدوة الحسنة في التربية والسلوك من قصة ابن عباس — رضي الله عنهما

(١) البخاري كتاب تفسير القرآن — باب ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ رقم (٤٨٢٧).

(٢) البخاري كتاب التهجد — باب طول القيام في صلاة الليل رقم (١١٣٥)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها — باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل رقم (٧٧٣).

(٣) مسلم كتاب صلاة المسافرين — باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل رقم (٧٧٢).

– لما قام الليل مع الرسول ﷺ فبمجرد أن رأى ابن عباس الرسول ﷺ توضأ وقام للصلاة صلى معه، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (بتَّ عند خالتي ميمونة ليلة فقام النبي ﷺ فلما كان في بعض الليل قام رسول الله ﷺ فتوضأ.. وضوءًا خفيفاً، ثم قام يصلي، فقمت فتوضأت نحواً من مما توضأ فقمت عن يساره، فحولني فجعلني عن يمينه ثم صلى ما شاء الله)[1]، إنها القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، يرى شباب الصحابة – رضي الله عنهم – كابن مسعود وحذيفة وابن عباس وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنهم – مربيهم ومعلمهم قدوة صالحة يفعل ما يحثهم عليه ويرغبهم فيه فاقتدوا به فكان جُلهم من العباد والعلماء وقد رغب ﷺ الشباب في الصيام فقال لهم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[2]، فإذا رغب ﷺ الشباب في الصوم فقد كان قدوة لهم ذا همة عالية في الصيام حتى في أيام الحر والسفر، فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرَّ شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة)[3] فرغم أن الرسول ﷺ كان مسافراً، ويجوز للمسافر إذا كان سفره في رمضان أن يفطر ويقضي، والجو حار حرارة شديدة، ولم يحتمل الصحابة – رضي الله عنهم – حره مع إفطارهم، إلا أن الرسول ﷺ كان صائماً ليطبق قول الله – تعالى –: ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ**

(١) البخاري كتاب صفة الصلاة – باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين وصفوفهم رقم (٨٥٩).

(٢) مسلم كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد قوته واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم رقم (١٤٠٠).

(٣) مسلم كتاب الصيام – باب التخيير في الصوم والفطر في السفر – رقم (١١٢٢).

﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٨٤] مع أن صوم الرسول ﷺ لهذا اليوم كان فيه مشقة بالغة، ومما يؤكد ذلك أن الصحابة – ﷺ – ما استطاعوا أن يصوموه مع حبهم الشديد لموافقه الرسول ﷺ في كل أسفاره، وكراهيتهم لمخالفته في أمر كالصيام[١]، وإن كان ﷺ حث على التحلي بخلق الرحمة والعطف على الأبناء، فإنه ضرب في ذلك أروع الأمثلة، والقدوة الحسنة في الرحمة بالأبناء، فلقد كانت سيرة الرسول ﷺ مع أبنائه تفيض حناناً ورحمة، والمواقف في ذلك كثيرة، فعن أنس بن مالك– رضي الله عنه – قال: (ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت... فيأخذه ويقبله ثم يرجع... فلما تُوفِّي إيراهيم قال رسول الله ﷺ إنه إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين[٢] تكملان رضاعه في الجنة)[٣]، ومن الأمثلة على تربية الرسول ﷺ بالقدوة الحسنة أن الأقرع بن حابس – رضي الله عنه – رأى النبي ﷺ يُقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال الرسول ﷺ : (إنه من لا يرحم لا يُرحم)[٤] وعن أبي قتادة الأنصاري – رضي الله عنه – قال: (رأيت النبي ﷺ يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ على عاتقه، فإذا ركع وضعها وإذا رفع من السجود أعادها)[٥] فمن شفقته ﷺ ورحمته بإمامة فعل ذلك، وفي ذلك دليل على عظم قدر رحمة الولد،

---

(١) شمائل الرسول (١/ ٤٧٣).

(٢) الظئر: المرضعة غير ولدها ويقع على الذكر والأنثى. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١).

(٣) مسلم كتاب الفضائل – باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه (٢٣١٦).

(٤) البخاري كتاب الأدب – باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، ومسلم كتاب الفضائل – باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه (٢٣١٨).

(٥) البخاري كتاب الأدب – باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥١٦١)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (٥٤٣).

لأنه لا تعارض بين المحافظة على الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الطفل[١]، ولقد كان الرسول ﷺ القدوة الحسنة لكل مسلم في التخلق بخلق الصدق وتحريه المداومة عليه، حتى عرفه قومه بالصادق الأمين، فلم يؤثر عنه أنه كذب كذبة واحدة، بل قالوا له لما دعاهم إلى الإسلام ما جربنا عليك إلا صدقاً، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش، فقال الرسول ﷺ : (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقاً)[٢] ولما سُئل أبو سفيان – رضي الله عنه – قبل إسلامه أمام هرقل ملك الروم بواسطة ترجمانه: (فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا، فقال هرقل معلقاً على هذا الكلام... فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله)[٣]، وهكذا يتضح أن النبي ﷺ كان القدوة الحسنة في تحليه بالصدق وهذا ما أثبته القرآن الكريم عنه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] وكان ﷺ يدعو أصحابه إلى التحلي بخلق التواضع، وكان القدوة الحسنة في ذلك، فكان ﷺ سيد المتواضعين على الرغم من علو مكانته ومنصبه، ورفعة منزلته، فقد بلغ من تواضعه كما يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)[٤]،

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٩).

(٢) البخاري كتاب التفسير – باب ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ رقم (٤٧٧٠).

(٣) البخاري كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ - ح (٧) .

(٤) البخاري كتاب الأدب – باب الكبر (١٠/ ٤٠٢).

وأُتي ﷺ برجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه، فقال له: (هون عليك فإني لست بملك، وإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد)[١]، ولقد رغب ﷺ في التحلي بخلق العفو مع القدرة على العقوبة، فكان أول العافين عن الناس، فعلى الرغم مما فعله إعرابي كان يريد قتله، لم يؤاخذه بما صنع مع قدرته عليه، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –: (إنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ فقفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة[٢]، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط[٣]، عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً[٤] فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثاً فسقط السيف منه، ثم أمسك الرسول ﷺ السيف وقال: من يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن خير آخذ)[٥] فلم يعاقبه وتركه فعاد إلى قومه وكان ملكاً فأخبرهم بما فعله فآمنوا جميعاً، فقد كان يقوم بهذه الأمور مطبقاً لقول الله – تعالى –: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] وقد حث الرسول ﷺ أصحابه على التحلي بخلق الشجاعة، وكان هو القدوة

(١) أبو داود في سننه –كتاب الأطعمة – باب القديد رقم (٣٣١٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي – رقم الحديث (٤٣٦٦) وصححه الألباني.

(٢) القائلة: وسط النهار وشدة الحر، والعضاة الشجر الذي يعظم وله شوك، وقيل هو العظيم من الشجر مطلقاً. انظر فتح الباري (٨/ ١٩٢).

(٣) اخترط: أي سله من غمده. انظر النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٣).

(٤) صلتاً: أي مجرداً من غمده. انظر النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥).

(٥) البخاري كتاب الجهاد والسير– باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (٨/ ١٩٢).

الحسنة للمسلمين في التخلق بهذا الخلق، يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس)[1] فكان يؤثر الآخرين على نفسه متمثلا بقوله –تعالى–: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فقد كان لتربية الرسول ﷺ أثر بالغ في النفوس وتأسي الصحابة – رضي الله عنهم – بالعفو عمن ظلمهم، فهذا صدَّيق هذه الأمة يضرب المثل في عفوه عمن أحسن إليه، حيث يقع من مد له يد العطاء في عرض الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سماوات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فتحدث مع من تحدث في حادثة الإفك ومع ذلك يعفو عنه واستمر في النفقة عليه، لأن الرسول ﷺ قد علمهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وممن تأسى بالرسول ﷺ بشجاعته أنس بن النضر – رضي الله عنه – وكان قد غاب عن قتال بدر فقال: (لئن أشهدني الله قتال المشركين ليَّرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد فأبلى بلاءاً حسناً حيث وجد الصحابة بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم في جسده، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه)[2]، فكانت النتيجة بالتربية بالقدوة الحسنة أن الرسول ﷺ أنار العقول، وأصلح القلوب، وأثمرت السعادة للمتربين في الدارين، وحفظت الإنسان من كيد الشيطان، وعظُم آثارها في نفوس المدعوين، مع سرعة الاستجابة لها غالباً، وغرس المحبة والمودة في نفوس المدعوين، ومحاصرة المنكرات والقضاء عليها، حيث يخجل الإنسان إذا لم يستجب لمن يعظه موعظة حسنة فلا يجاهر بمنكر على الأقل.

---

(١) البخاري كتاب الجهاد والسير – باب إذا فزعوا بالليل رقم (٣٠٤٠).

(٢) البخاري كتاب الجهاد والسير – باب قول الله – عزوجل –: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ رقم الحديث (٢٨٠٥).

المبحث الخامس: التربية بأسلوب الترغيب والترهيب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب في اللغة والاصطلاح

الترغيب في اللغة: من رغِب يرغب رغبة، إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرَّغبة السؤال والطمع، وأرغبني في الشيء ورغَّبني بمعنى، ورغبَّه أعطاه ما رغب(١).

الترغيب في الاصطلاح: وعُد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله(٢).

الترهيب في اللغة: من رهِبَ بالكسر يرهب رهبةً ورُهباً بالضم، ورهبًا بالتحريك، أي خاف ورهب الشيء رهْباً ورَهباً ورهبة خافه(٣).

الترهيب في الاصطلاح: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به(٤).

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب

إن من أهم الأساليب التي استعملها الرسول ﷺ في التربية وكان لها الأثر الأقوى في النفوس، أسلوب التربية بالترغيب فما أن يعلم المرء بالأجر العظيم والمكانة المرموقة، بالقرب من الله، والدخول في رحمته، ونيل ما عنده من ثواب، إلا ويحرص كل الحرص على نيل هذا الثواب العظيم، فلذا كان ﷺ يستخدم هذا الأسلوب، ويقصد بالترغيب

---

(١) لسان العرب (١/ ٤٢٢)، تاج العروس (٢/ ٥٠٨- ٥٠٩).
(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها (٢٣٠)، أصول الدعوة (٤٣٧).
(٣) لسان العرب (١/ ٤٣٦)، تاج العروس (٢/ ٥٣٧).
(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها (٢٣١).

كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1]، وتشويق الناس إلى ثواب الله والجنة، وتخويفهم من عذاب الله والنار[2]، فإنه أسلوب من الأساليب النبوية راعى فيها ﷺ طبيعة النفس البشرية المجبولة على محبة ما فيه نفعها ومصلحتها فتقبل عليه، فنجد الرسول ﷺ يرغب الأخرين من خلال الوعد بالخير المترتب على ذلك، ومن أمثلة ذلك من خلال سيرته العطرة ﷺ: (يقول لمعاذ يوم أن كان رديفاً له على حمار: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم)[3]، وفي لفظ قال معاذ: (كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يُقال له عُفير، قال: فقال: (يا معاذ تدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله – عزوجل – أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس، قال: لا تبشرهم فيتكلوا)[4]، ومن الأمثلة في ترغيب الرسول ﷺ للآخرين أنه بين لهم أن التوحيد سبب لمغفرة جميع الذنوب، وأن صاحب العقيدة الصحيحة هو أسعد الناس بشفاعته ﷺ يقول أبو هريرة – رضي الله عنه –: (قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدُ أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل

---

(١) أصول الدعوة لزيدان (٤٢١).

(٢) الدعوة إلى الله للواعي (١٩٩).

(٣) البخاري كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى رقم الحديث (٧٢٧٣)، ومسلم كتاب الإيمان – باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحُرم على النار رقم الحديث (٣٠)

(٤) مسلم كتاب الإيمان – باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحُرم على النار رقم الحديث (٣٠).

نفسه)[1]، ومن الأمثلة على استعماله لهذا الأسلوب المحبب إلى النفس يقول علي بن أبي طالب– رضي الله عنه –: (كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكث بمخصرته ثم قال: ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة، قال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: أما أهل السعادة فيُيسَّرُون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيسَّرُون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥-٦])[2]، ومن الأمثلة: يقول الرسول ﷺ : (إن الصدق يهدي إلى البرَّ وإن البرَّ يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدقُ حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[3]، فكان مطبقاً بدعوته هذه ﷺ قول الله – تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ومن الأمثلة: فعن ربيعة بن كعب الأسلمي – رضي الله عنه– قال: (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت: أسالك مرافقتك في الجنة، قال: (أوغير

(١) البخاري كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار رقم الحديث (٦٥٧٠).

(٢) البخاري كتاب التفسير – باب فسنيسره لليسرى رقم الحديث (٤٩٤٦)، ومسلم كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه رقم الحديث (٢٦٤٧).

(٣) البخاري كتاب الأدب – باب قول الله – تعالى –: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وما يُنهى عن الكذب رقم الحديث (٦٠٩٤)، ومسلم كتاب البر والصلة والأدب – باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله رقم الحديث (٢٦٠٧).

ذلك) قلت: هو ذاك قال: (فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود)[1] ومن أمثلة الترغيب تشويق الشباب لطاعة الله والتقرب منه، فيرغب الرسول ﷺ الجيل على طاعة الله وملازمة العبادة، ومراقبة الله– تعالى – والخوف منه، ومداومة ذكره، والحب فيه، وبيان ما أعده الله لمن التزم بهذه الأشياء يوم يجمع الله الأولين والأخرين فيقف الناس على أقدامهم خمسين ألف سنة لا يأكلون أكله ولا يشربون شربة، ولا يجلسون فيستريحون ولو دقيقة، تدنوا الشمس من رؤوس الخلائق ويتمنى الناس أن يُصرفوا ولو إلى النار لشدة الهول والكرب، يومها يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه والسبب: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، ومن الناس من يكون العرق إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقوه، ومن الناس من يلجمه العرق إلجاماً، ومن الناس من يُظل في ظل الرحيم الرحمن يوم لا ظل إلا ظله فيرغب الرسول ﷺ الجيل بعد أن علموا هول الموقف فيقول: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظلَّ إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[2]، ويربيهم على حب الجهاد والمرابطة في سبيل الله ويرغبهم بقوله: (لروحُة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسٍ أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطَّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً،

---

(١) مسلم كتاب الصلاة – باب فضل السجود والحث عليه رقم الحديث (٤٨٩).

(٢) البخاري كتاب الأذان – باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم الحديث (٦٦٠)، ومسلم كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة ، رقم الحديث (١٠٣١).

ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)[1]، ورغّبهم ﷺ في اغتنام الصحة والفراغ والتي تتوفر في فترة الشباب مالم تتوفر في غيرها من فترات عمر الإنسان فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي ﷺ : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)[2] ولم يكتف الرسول ﷺ بهذه الأمور ولكن تعددت الوسائل ومنها حث الجيل على الاهتمام بالعلم تعلماً وتعليماً، وبيان فضل العمل بالعلم، ورفع الروح المعنوية عندهم حتى يكونوا أصحاب مواهب عالية وإمكانيات مميزة، والثناء عليهم تشجيعاً لهم وحثاً لغيرهم على سلوك نهجهم، والدعاء للجيل بالعلم لما في ذلك من الأثر في رفع معنوياتهم، وتشجيعه على السؤال عما جهلوا من العلم، والحث على الاستماع والإنصات، ورفع الصوت وتغير النبرات، وتسهيل العبارات وعدم التشدق في الكلام، وأما استعماله ﷺ لأسلوب الترهيب، فقد حرص في تربيته على تصحيح الخطأ وسد الخلل، وإكمال النقص، فلم يقف عند التوجيه السديد، والحديث المؤثر، والكلمات العابرة، بل قام ﷺ بتقويم الأخطاء وإصلاحها بشتى الأساليب، والمتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد أنه حرص على تقويم الأخطاء وسلك عدة أساليب في ذلك منها:

إشعارهم بعظم ما ارتكبوه فلما بعث سرية وقتل أسامة بن زيد – رضي الله عنه – رجلاً أظهر الإسلام ونطق بالشهادتين، فلما أُخبر الرسول ﷺ بما فعل أسامة على الرغم أنه حبه وابن حبه أغلظ عليه وأنكر عليه فعلته وبيَّن له خطر ما ارتكبه، فعلم أسامة خطر ما وقع فيه حتى قال: والله لا أقاتل أحداً، قال: لا إله إلا الله، بعد ما سمعت رسول

---

(١) البخاري كتاب الجهاد والسير – باب الحور العين وصفتهن رقم الحديث (٢٧٩٦)، ومسلم كتاب الإمارة – باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله رقم الحديث (١٤٤).

(٢) البخاري كتاب الرقاق – باب لا عيش إلا عيش الآخرة – رقم الحديث (٦٤١٢).

الله ﷺ[1]، يقول أسامة بن زيد – رضي الله عنه –: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جهينة قال: فاصبحنا القوم فهزمناهم، وقال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: (يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال فما زال يكررها عليَّ، حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك)[2]، مع بيان السبب الذي دفع أسامة لقتله بعد أن نطق بالشهادتين يُعرف من رواية أخرى حيث تذكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه الخبر، دعا أسامة فسأله فقال: (لم قتلته؟ قال: أوجع في المسلمين؟ وقتل فلاناً وفلاناً، وسمى له نفراً وإني حملتُ عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ : (أقتلته؟) قال: نعم، قال: (فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟) قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: (وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟) قال: (فجعل لا يزيده على أن يقول: (كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟)[3]، ومن أمثلة الترهيب عند الرسول ﷺ النصح بدون تعين للخطأ والتلميح دون التصريح، وهذا أسلوب من الأساليب التي سلكها النبي ﷺ في تقويم أخطاء الجيل، فربما يخطئ أحدهم فكان تقديم النصح للجميع بدون أن يُعين المخطئ، ومن المعلوم أن لذلك الأثر الأكبر في قبول النصيحة، وأستر للمذنب، وأسلم في ردة الفعل، يقول أبو هريرة – رضي الله عنه –:

---

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٩٦).

(٢) البخاري كتاب الديات – باب قول الله – تعالى –: ﴿ومن أحياها﴾ رقم الحديث (٦٨٧٢)، ومسلم كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله – رقم الحديث (٩٦).

(٣) مسلم كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله – رقم الحديث (٧٩).

(رأى رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس، فقال: (ما بال أحدكم يقوم مستقبلاً ربَّه فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يُستقبل فينخع في وجهه؟ فإذا تنخَّع أحدكم فليتنخَّع عن يساره، تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض)[١]، ومن الأمثلة أيضاً: عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخْبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ ولم يعين القائل أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي[٢] فليس مني)[٣] وزاد الإمام مسلم – يرحمه الله – أنه ﷺ حمد الله وأثنى عليه، فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٤] ومن أمثلة الترهيب عند الرسول ﷺ بيان تعليل ما ارتكبوه من أخطاء، ففي بعض الأحيان في تقويم الرسول ﷺ للخطأ ومعالجته للجيل كان يعلل لهم سبب إنكاره عليهم، خاصة إذا كانت الحاجة داعية لذلك، ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو موسى – رضي الله عنه – قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبَّرنا، فقال النبي ﷺ : (أيها

---

(١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها – رقم الحديث (٥٥٠).

(٢) رغب عن سنتي: مال عن طريقتي وأعرض عنها، قال النووي – يرحمه الله –: (أي إعراضاً عنها غير معتقد لها على ما هي عليه). انظر الديباج على مسلم (٤/ ٩).

(٣) البخاري كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣).

(٤) مسلم كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم (١٤٠١).

الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً)[١]، وعن عبد الله بن مسعود – ﷺ – قال: (كنا نصلي خلف رسول الله ﷺ فنقول: السلام على الله، فقال النبي ﷺ : (إن الله هو السلام، ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله)[٢]، ومن أساليب الترهيب عنده ﷺ معالجة الخطأ بالإشارة ومن أمثلة ذلك ما رواه عبد الله بن العباس – رضي الله عنهما – يقول: (كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خشعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله ﷺ إن فريضة الله على عباده الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يثبت على الراحلة، أفاحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع)[٣] فقد عالج الرسول ﷺ خطأ الشاب بالنظر إلى المرأة الأجنبية بتحويل الوجه إلى الشق الآخر، ومن أمثلة ذلك معالجته ﷺ الخطأ بالتوبيخ والعقوبة وقد سلك ذلك في خطأ أبي ذر – ﷺ – فعنه – ﷺ– قال: (سابيت رجلاً فعَّيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)[٤]، وقال لمعاذ بن جبل – ﷺ – عندما أطال بقومه في الصلاة أفتان أنت، أفتان أنت، أفتان أنت،

---

(١) البخاري كتاب الدعوات – باب الدعاء إذا علا عقبة – رقم الحديث (٦٢٨٤).

(٢) البخاري كتاب التوحيد – باب قول الله – تعالى –: ﴿السلام المؤمن﴾ - رقم الحديث (٧٢٨١).

(٣) البخاري كتاب الحج – باب وجوب الحج وفضله رقم الحديث (١٥١٣).

(٤) البخاري كتاب الإيمان – باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك – رقم الحديث (٣٠).

فعن جابر بن عبد الله أن معاذ بن جبل – رضي الله عنهما –كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجَّوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذاً صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أنيِّ منافق، فقال النبي ﷺ يا معاذ، أفتان أنت؟ – ثلاثاً – اقرأوا الشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها)[١]، وقد يحتاج تقويم الخطأ في بعض الأحيان إلى أن يلجأ المربي إلى اتخاذ عقوبة للمخطئ لانصلاح أحواله واستقامة أخلاقه، وتحذير غيره للمخطئ، لانصلاح أحواله واستقامة أخلاقه، وتحذير غيره أن يقعوا فيما وقع فيه هذا الصنف، ومن أمثلة ذلك لما تخلف كعب بن مالك الشاب وأصحابه الثلاثة عن غزوة تبوك من غير عذر أمر النبي ﷺ بمقاطعتهم خمسين يوماً، فلا يجالسهم أحد ولا يكلمهم أحد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، يقول كعب بن مالك – رضي الله عنه – في قصتهم الطويلة: (ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، وآذن رسول الله ﷺ توبة الله علينا)[٢] وكانت النتيجة أن يُصدق كعب في الحديث طوال ما بقي من حياته، لعلمه بأن الصدق هو الذي أنجاه من أن يلحق بالمنافقين الكاذبين.

ولقد كان من أثار تربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب أن استطاع بفضل الله وبحسن منهجه وبراعة أسلوبه أن يخُرِّج جيلاً من الشباب رسخ الإيمان في قلوبهم، وتمسكوا بدينه، وعضوا عليه بالنواجذ، مع ما لقي هذا الجيل من أنواع شتى من

---

(١) البخاري كتاب الأدب – باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً – رقم الحديث (٦١٠٦).

(٢) البخاري كتاب الأحكام – باب هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه – رقم الحديث (٧٢٢٥).

أصناف العذاب، فبعضهم حُبس، والآخر عُذب بالضرب تارة، وبرمضاء مكة عند شدة الحر وقت الظهيرة، تارة أخرى، وبالجوع والعطش، وبالهجر، والإخراج من وطنه وترك ماله وأهله وعلى الرغم من كل ما أصابهم من الابتلاء إذا بهذا الجيل ثابت الإيمان ثبوت الجبال الراسيات، راسخ اليقين، فهذا ابن مسعود - ﷺ - أوذي في تبليغ دين الله أشد البلاء فلم يزده ذلك إلا ثباتاً على دينه وتفانيا فيه، أوذي فصبر حتى كاد أن يُقتل، ثم يقول لأصحابه: ولو شئتم أن أعود إليهم مرة أخرى فأبلغ دين الله لعدت حتى وإن قُتلت في ذلك، فعن عروة بن الزبير - ﷺ- قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود - ﷺ - قال: (اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجُهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوا، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ قال: ثم استقبلها يقرأ فيها، قال: وتأملوا وجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، لئن شئتم لاغادينهم غداً بمثلها؟ قالوا: لا حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون)[1]، وأما خباب وبلال وصهيب وعمار وياسر وسمية وزنيرة فحدث ولا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ٥٤٩).

حرج من شدة ما ذاقوه من العذاب وصبروا، ألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس حتى بلغ منهم الجهد ما شاء أن يبلغ من حر الحديد والشمس فما زادهم ذلك إلا إيماناً وتثبيتاً، فكانت النتيجة لتربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب أن أخرج جيلاً يُضحي بالنفس والمال، أما عن تضحية الشباب بأنفسهم فحدث ولا حرج، فعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يُفدي رسول الله ﷺ بنفسه ويبيت في فراشه وهو ابن ثلاث وعشرين عاماً، على الرغم من علمه أن قريشاً جمعت من كل قبيلة شاباً جلداً نسيباً وسيطاً وأعطوا كل واحدٍ سيفاً صارماً ليضربوا رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد، ومع ذلك ينام – رضي الله عنه – وكأنه يقول بحاله قبل مقاله روحي فداك يا رسول الله ﷺ أفديك بنفسي وأهلي بل وكل ما أملك[1]، وصهيب الرومي – رضي الله عنه – يُضحي بماله كله على الرغم من كثرته، حيث خرج مهاجراً نحو المدينة واتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وأخذ كنانته، ثم قال: (يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي، قالوا: نعم، ففعل، فلم قدم على النبي ﷺ قال: ربح البيع أبا يحيى ربح البيع)[2]، وطلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – يُفدي النبي ﷺ يوم أحد بنفسه، ويقيه ويتَّرس عليه ليرد عنه السهام ، فقاتل حتى ضُربت يده فقُطِّعت أصابعه... فقال رسول الله ﷺ : (لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون)[3] وغيرهم كثير وكثير، كل هذه التضحيات بسبب تربية الرسول ﷺ بأسلوب الترغيب والترهيب.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٨٢- ٤٨٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٢٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٧٣).

(٣) النسائي كتاب الجهاد – باب من يطعنه العدو رقم (٤٣٥٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٣١٤٩) وقال حسن من قوله فقُطِّعت أصابعه وهو على شرط مسلم.

المبحث السادس: التربية بأسلوب الرد على الشبهات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح:

الشبهة لغة: الالتباس، وجمع الشبهة شُبه، وهو اسم من الاشتباه، وأمور مشتبهة ومشبهة مشكلة يشبه بعضها بعضاً، ومنه ما روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: (اللبن يُشَبِّه عليه)[1]، ومعناه: أن المرضعة إذا رضعت غلاماً فإنه ينزع إلى أخلاقها فيشبهها[2]، وشبَّه عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، واشتبه الشيء بالشيء: مثَّله وأقامه مقامه بصفة مشتركة بينهما[3].

الشبهة في الاصطلاح: ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل[4]، وقيل: هي الأمور المزخرفة ظاهراً، والفاسدة باطناً[5].

وسميت الشبهة بذلك لمشابهتها للحق في الظاهر، وهي في الواقع من الضلالات، أو لأنها توقع السامع في اشتباه، أي: في التباس[6]، فلا يدري أحلال هو أم حرام وحق هو أم باطل[7].

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٩٨).

(٢) البيهقي في السنن الكبرى - باب ما ورد في اللبن تُشبَّه عليه (٧/ ٤٦٤) رقم (١٥٤٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٤٧٦) رقم (١٣٩٥٣).

(٣) لسان العرب (١٣/ ٥٠٤- ٥٠٥)، مختار الصحاح (١/ ١٣٨).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٤٧١)، التعريفات (١/ ١٥٦).

(٥) معالم الدعوة في قصص القرآن (١/ ٣٢٣).

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) المعجم الوسيط (٢/ ٤٧١).

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الرد على الشبهات

إن من الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول ﷺ أسلوب التربية بالرد على الشبهات، متمسكاً بقوله – تعالى –: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذريات: ٥٤- ٥٥] فإذا كان الله – تعالى – أرشده إلى كيفية التعامل مع مشركي وكفار قريش الذين أثاروا العديد من الشبه لصد الناس عن الإيمان به، فما بالك مع المسلمين المؤمنين؟ فقد فرَّع الله – تعالى – على أمره بالتولي عنهم، إخباره بأنه لا لوم عليه في إعراضهم عنه، وعطف (ذكَّر) على (فتولى عنهم) احتراساً كي لا يتوهم أحد أن الإعراض إبطال للتذكير بل التذكير باق، فإن النبي ﷺ ذكَّر الناس، فآمن بعض من لم يكن آمن من قبل، وأتى بالكلام على صيغة الجملة الإسمية: (فما أنت بملوم) ليكون الاستمرار على التذكير، وزيادة في إقامة الحجة على المعرضين، ولئلا يزدادوا طغياناً فيقولون: ها نحن أولاء قد أقحمناه فكف عما يقول، والأمر في (وذكَّر) مراد به الدوام على التذكير وتجديده[1] والاعتبار بذلك للمسلمين عامة والدعاة بخاصة بأنه لابد من دعوة الناس إلى الدين وإلى الحق والاستمرار على ذلك، حتى وإن وقع منهم صدُ أو إعراض أو إثارة الشبه على الإسلام ونبيه ﷺ فمن ردَّ عليهم غبر ملوم، طالما أنه لم يحدث منهم تقصير في الدعوة، ولكن اللوم يأتي عند التقاعس عن دعوة الناس إلى الهدى والتعريف بالحق، ومن الأمثلة على ذلك عن عائشة – رضي الله عنها– أنها قالت: في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] (يارسول الله: أهو الذي يسرق

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢١- ٢٤).

ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: لا يا بنت أبي بكر، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عزوجل)[١]، فعائشة اشتبه عليها الأمر فظنت أن المراد من الآية أصحاب المعاصي، فرد عليها ﷺ وبيّن لها المراد منها، ومن الأمثلة موقفه من حفصة – رضي الله عنها – عندما ردت على الرسول ﷺ قوله: بأنه لا يدخل النار أحد ممن بايع بيعة الرضوان وفهمت المعنى المراد من الآية بمعنى مخالف فرد عليها الشبهة[٢]، ومن الأمثلة: عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: (دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة! لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال: أوغير ذلك يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم الله لها وهم في أصلاب آبائهم)[٣]، ومن الأمثلة: عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله وُلد لي غلام أسود، فقال: (هل لك من إبل؟) قال: نعم، قال: (ما ألوانها؟)، قال: حُمر، قال: (هل فيها من أورق؟) الذي في لونه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة، قال: نعم، قال: (فأنى ذلك؟) قال: لعله نزعه عرق، قال: (فلعل ابنك هذا نزعه)[٤]، فهنا لقد اشتبه الأمر على الرجل فظن أن الغلام ليس منه ومن صلبه فجاء يسأل الرسول ﷺ فوضّح له أن ما به سوى ظن وشبهة لا دليل عليها، ومن الأمثلة أيضاً: عن عطاء بن يسار – رضي الله عنه –: (أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله استأذن على أمي فقال: (نعم)، قال الرجل: إني معها في البيت،

---

(١) أحمد في مسنده في مسند الأنصار رقم (٢٤٦٦٣)، والترمذي في سننه كتاب الذبائح وأبواب تفسير القرآن – باب ومن سورة المؤمنون برقم (٢٢١٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم كتاب القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت الأطفال من الكفار – رقم (٤٩٣٨).

(٤) البخاري كتاب الطلاق – باب إذا عَرَّض بنفي الولد – رقم (٥٠١٤).

فقال رسول الله ﷺ (استأذن عليها)، فقال الرجل: إني خادمها فقال له: (استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة) قال: لا، قال: (فاستأذن عليها)[1] فالرجل هنا اشتبه عليه الأمر في مسألة الاستئذان فظن أنه لا يجب عليه ذلك فوضح له ﷺ العلة من الاستئذان، ومن الأمثلة: عن أبي هريرة– رضي الله عنه –: (أن رسول الله ﷺ قال: (لا عدوى)، فقام رجل أعرابي فقال: أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء، فيأتها البعير الأجرب فتجرب؟ فقال النبي ﷺ : (فمن أعدى الأول))[2] فالرجل اشتبه الأمر عليه فظن بأن هناك عدوى، فوضَّح له الرسول ﷺ الأمر وأزال الشبهة، ومن الأمثلة: عن المقداد بن الأسود –رضي الله عنه –: (أنه قال لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ (لا تقتله) فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا تقتله) فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)[3] فالمقداد بن الأسود اشتبه الأمر عليه فوضح له الصحيح من المسألة، ومن الأمثلة: يقول أبو هريرة – رضي الله عنه –: (بينما يهودي يعرض سلعته أعُطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لمَ لطمت وجهه؟ فذكره (بيَّن سبب لطمه لليهودي) فغضب النبي ﷺ حتى رُئي في

(١) مالك في الموطأ كتاب الاستئذان – باب الاستئذان رقم (١٧٥٠) .

(٢) البخاري كتاب الطب – باب لا عدوى رقم (٥٤٥٩).

(٣) البخاري كتاب المغازي – باب شهود الملائكة بدراً – رقم (٣٨٢٠).

وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه يُنفخ في الصور، فيُصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يُنفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعث، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بُعث قبلي، ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى)(١)، فالرجل قد لطم اليهودي لاعتقاده، فوضّح له الرسول ﷺ بعدم جواز التفضيل بين الأنبياء تعصباً، مع أنه ﷺ أفضلهم، ومن الأمثلة: عن عبد الله – رضي الله عنه –قال:لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [لقمان: ١٣] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ : (ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه، يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)(٢)، ومن الأمثلة: موقفه مع الشباب الذين اشتبه عليهم الأمر فظنوا أن النكاح والفطر والنوم سبب في عدم التقرب إلى الله – تعالى – فوضح لهم ﷺ أنه اتقى الناس ومع ذلك يفعل هذه الأمور، بل وأقسم بالله حتى يوضح لهم الأمر فقال: (أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٣)، ومن الأمثلة: موقف عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – كان يظن أن الصيام والقيام في كل الأوقات أفضل العبادات، فيقول: (بلغ النبي ﷺ أني أصوم أسردُ، وأصلي الليل، ... فقال: (ألم أُخْبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي الليل؟ فلا تفعل، فإن لعينك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفطر، وصل ونم، وصم من كل عشرة أيام يوماً... قال: إني أجدني أقوى من ذلك يا نبي الله، قال: (فصم صيام داود عليه السلام) قال: وكيف

(١) البخاري كتاب الأنبياء – باب أحاديث الأنبياء – رقم (٣١٦٢).
(٢) البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب ما جاء في المتأولين – رقم الحديث (٦٩٣٧).
(٣) سبق تخريجه.

كان داود يصوم؟ يا نبي الله، قال: (كان يصوم يوماً ويفطر يوماً)(١) فعبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– اشتبه عليه الأمر فوضح له الرسول ﷺ الصحيح من الخطأ والحق من الباطل.

فكانت ثمرة تربية الرسول ﷺ بأسلوب الرد على الشبهات أن رسَّخ الإيمان في قلوب الجيل فظهر على جوارحهم، فأخرجَّ شباباً ذاق حلاوة الإيمان فحرص على زيارته وتجديده، بل والازدياد منه، حتى كان بعضهم إذا لقي أخاه يقول له: هيا بنا نؤمن ساعة، فكان عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – إذا لقي الرجل من أصحابه يقول له: هيا بنا نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ : (يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهي بها الملائكة)(٢) وغيره من الشباب كثير، ومن ثمرات التربية بأسلوب الرد على الشبهات: شدة الخوف من الله، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، فكان للفاروق – رضي الله عنه – خطين أسودين من كثرة البكاء، وكان ولده عبد الله إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء، وابن عباس – رضي الله عنهما – يصلي شطر الليل ويرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب(٣)، وكان من الأثار أيضاً إخراج جيل من الشباب كانوا أعلم أهل الأرض وأعبدها لله، وخير خلق الله على وجه الأرض يومها، فكانوا أعلم الناس

(١) مسلم كتاب الصيام – باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم – رقم الحديث (١١٥٩).

(٢) أحمد في المسند رقم (١٣٧٩٦) وقال شعيب الارنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢).

بكتاب الله، وبسنة نبيه ﷺ فابن مسعود – رضي الله عنه – يقول عن نفسه: (والذي لا إله غيره ما من في كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلمُ أحداً هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل لركبت إليه)(١)، ومن الأثار أيضاً اجتهاد الصحابة – رضي الله عنهم – في العمل بما عملوا، يقول نافع مولى ابن عمر عن حال ابن عمر في بيته: (الصلاة لكل وضوء والمصحف فيما بينهما)(٢)، وكان من حاله إذا دخل الليل يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح)(٣)، وكان أبو طلحة – رضي الله عنه – أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ وكان أحب أمواله إليه حديقة بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله – تبارك وتعالى – يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحَة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)(٤) وهناك

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه – رضي الله عنهما – رقم الحديث (٢٤٦٣).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٤٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥).

(٤) البخاري كتاب الزكاة – باب الزكاة على الأقارب – رقم الحديث (١٤٦١).

الكثير والكثير من الآثار نتجت من جراء تربية الرسول ﷺ بأسلوب الرد على الشبهات.

وكان من نتائج تربية الرسول ﷺ بأسلوب الرد على الشبهات أن غرس العقيدة الصحيحة في نفوس أصحابه، فتربوا على التوحيد فضربوا المثل الأعلى في التمسك به والعض عليه بالنواجذ، وتقديمه على ما سواه حتى ولو كان أحب الأشياء إلى نفوسهم، فهاهو الصحابي الجليل الشاب سعد ابن مالك – رضي الله عنه – يقول: (كنت رجلاً باراً بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت؟ لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيَّر بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقال: لا تفعلي يا أماه، إني لا أدع ديني لهذا الشيء، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب، وليلة أخرى، فأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت قلت: يا أماه تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفسُ نفسُ ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت)[1]، فالصحابة – رضي الله عنهم – قد اتصفوا بعقيدة نقية لا بدعة فيها ولا انحراف، مع إدراكهم الواعي لهذه العقيدة، فحولوها إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، حتى أصبحت يقيناً قلبياً أنبنى عليه سلوكهم وواقعهم، فأصبحوا يملكون عقيدة لا يزلزلها الابتلاء والشدة، ولم يؤثر فيها الرخاء والسعة، وكل ذلك وزيادة كان من نتائج التربية بالرد على الشبهات.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٠/ ٣٣١).

المبحث السابع: التربية بأسلوب الامتثال لأمر الله – تعالى–

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الامتثال في اللغة والاصطلاح

الامتثال في اللغة: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيرة، والمِثِل والمثال في معنى واحد، ومن هذا المعنى المثل المضروب، ومن قولهم: مُثِّل به، إذا نُكل، هو من هذا أيضاً لأن المعني فيه أنه إذا نُكل به جعل ذلك مثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع، ومِثْل: كلمة تسوية، يُقال: هذه مثله ومثله: كما يقال: شبهه وشبهه، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحو وكنحوه، وفقهه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده، وإذا قيل هو مثله في كذا هو مساو له في جهة دون جهة، يقال: امتثلت مثال فلان: احتذيت حذوه وسلكت طريقه، وامتثل طريقته: تبعها.

الامتثال في الاصطلاح :

هو قصد الطاعة بفعل المأمور وترك المنهي تحقيقاً لامتحان المكلف كما قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧][(١)].

---

(١) مقاييس اللغة (٩٧٤)، لسان العرب (١٣/ ٢١-٢٥).

المطلب الثاني: أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الامتثال لأمر الله تعالى

الاعتبار من امتثال النبي ﷺ لأمر الله حيث إنه ينبغي على المربين الاقتداء به في ذلك، لأن في امتثال المربي الداعي إلى الله – تعالى – بأمره والسير على نهجه، أهمية كبرى في الدعوة إلى الله ﷺ وفي إقبال الناس عليه، لما يرون من أن أول المتبعين له هم الدعاة إليه، ولما في الجمع بين القول والعمل في الدعوة والتربية من أثر كبير في نفوس المدعوين.

ومن أمثلة تربية الرسول ﷺ بأسلوب الامتثال لأمر الله – تعالى –: (أنه لما فرغ من قضية الكتاب في صلح الحديبية قال لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحدُ دخل على أم سلمة – رضي الله عنها – فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحبَّ ذلك؟، أخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدُنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً)(١)، يقول ابن حجر – يرحمه الله –: "وفيه أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد"(٢)، كما كان في امتثاله ﷺ لأمر الله –تعالى– في الدين والخلق قولاً وعملاً، أثر كبير في نفوس الناس، وفي إقبالهم على دين الله، وإعلان استسلامهم له، ومن ذلك أمره – عزوجل – بالعفو عن الناس، والرضا بما تيسر من أعمالهم، وأن

---

(١) البخاري كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) فتح الباري (٥/ ٣٤٧)، عمدة القارئ (١٤/ ١٩).

يتسهل معهم من غير كلفة، ولا يطلب منهم ما يشق عليهم وأمره، كذلك بالإعراض عن الجاهلين، وعدم مسافهتهم جزاء لما يصدر منهم حتى لا ينفروا منه[1]، فقال – تعالى –: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فكان من امتثاله ﷺ لأمر الله – تعالى – له بذلك ما تشهد به أم المؤمنين عائ– رضي الله عنها – له ﷺ وهي من أعرف الناس به فتقول: (وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عزوجل)[2] وفي سيرته العطرة شواهد كثيرة تدل على هذا، ومنها أن عائشة – رضي الله عنها– قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتى عليك يومُ كان أشد من يوم أحُد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردَّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت إن شئت أن اطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يُخرج

(١) فتح القدير (٢/ ٢٧٩)، البحر المحيط (٤/ ٤٤٤)، روح المعاني (٩/ ١٤٦).

(٢) البخاري كتاب المناقب – باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٦٠)، ومسلم كتاب الفضائل – باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرمته برقم (٢٣٢٨).

من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً)[1]، فما أعظم حلمه ﷺ وعفوه حين لم ينتقم لنفسه، بل أخذ وامتثل بما أمره الله من العفو والصفح عن الناس رجاء لإسلامهم أو إسلام من يخرج من أصلابهم، وقد كان لهذا الموقف أثره الحسن بإسلام بعض أهل الطائف وامتثالهم لأمر الله – عز وجل – وحتى بعد وفاته ﷺ ارتدت معظم الجزيرة العربية إلا مكة والمدينة والطائف.

فعلى المربي أو المصلح أن يكون هو نفسه مهتدياً بما يقوله، لينفع نفسه وغيره، لأن ذلك النفع لازم ومتعد، وعليه ألا يكون من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق – عز وجل – وهذا أمر عام لكل من دعا إلى خير[2]، كما قال الله – تعالى –: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، لذا كان مما ينفر المدعوين من الدعوة مخالفة الداعي قوله لعمله، لذا كان الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يعلنون لأقوامهم أنهم أول الممتثلين لما كانوا يأمرون الناس به، وأول التاركين لما نهوا عنه.

فعلى المربي والداعي إلى الله الاعتبار بذلك بالحرص على عدم مخالفة قوله لعمله، لأن المربي إذا خالف قوله عمله، وكذَّب فعله قوله كان ممقوتاً في الأرض والسماء، مُضلاً لمن رام به الاقتداء، وإذا أمر بغير ما يعمل مُجَّت الأسماع كلامه، وقَلَّت في

---

(١) البخاري كتاب بدء الخلق – باب إذا قال أحدكم آمين – رقم (٣٢٣١)، ومسلم كتاب الجهاد – باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم (١٧٩٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٠١).

الأعين مهابته، وزالت عن القلوب مكانته(١)، لذا أنكر الله – عز وجل – على أهل الإيمان قولهم مالا يفعلونه، وبيَّن أن هذا سبب غضبه ومقته الشديد فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣] فالاستفهام في الآية للتقريع والتوبيخ، أي لمَ تقولون من الخير مالا تفعلونه(٢)، كما بيَّن النبي ﷺ سوء عاقبة الخطباء والدعاة المخالفين بأفعالهم أقوالهم فقال: (لما أسُري بي مررت برجال تُقرض(٣) شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا تعقلون)(٤).

ولقد كان من أثر تربية الرسول ﷺ بأسلوب الامتثال لأمر الله – تعالى – أن خَرَّج شباباً كان همه الأكبر، وغايته القصوى، وتفكيره المستمر، القيام بالواجب، وتأدية الأمانة في تبليغ الدعوة إلى الناس، وموقف مصعب بن عمير – رضي الله عنه – خير شاهد على ذلك، فعندما بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة نزل على أسعد بن زرارة – رضي الله عنه – فأخذا يتجولان في دور الأنصار – رضي الله عنهم – يدعوهم إلى دين الإسلام، وبعد فترة وجيزة

---

(١) السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى (٥٣).

(٢) فتح القدير (٥/ ٢١٩).

(٣) تقرض: أي تُقطَّع من قرض الشيء إذا قطعه. انظر لسان العرب (٧/ ٢١٦)، مختار الصحاح (١/ ٢٢١).

(٤) أحمد في مسنده (٣/ ٢٣١) برقم (١٣٤٤٥)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٧٢) – برقم (٣٩٩٦)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٣١) برقم (٤١١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (حديث صحيح) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٦).

لم تبق دار من دور الأنصار إلا دخلها الإسلام، وصدَّيق الأمة يسلم وهو في ريعان شبابه، فجعل همه الأكبر أن يدعو إلى دين الإسلام من يثق به من قومه، فأسلم على يديه الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف[1]، وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاد بن جبل، ومعه معاذ بن عمرو بن الجموح وفتيان ممن أسلموا -رضي الله عنهم- جميعاً يتفنون في وصول الدعوة لعمرو بن الجموح - رضي الله عنه - سيد من سادات الأنصار، وشريفاً من أشرافهم، ولندع لابن هشام قص ما فعله هؤلاء الفتية - رضي الله عنهم - في دعوة هذا الصحابي - رضي الله عنه - بتخطيط سديد وتنفيذ دقيق، حيث يقول - يرحمه الله -: "فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ ابن جبل ومعاذ بن عمرو الجموح في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهرَّه وطيَّبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه، فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهَّره ويطيَّبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩).

بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم – يرحمه الله – وحسُن إسلامه، وأدرك أن الإله الذي كان يعبده لو كان إلهاً حقاً لم يكن يُرى والكلب الميت في البئر"(١)، ومن الآثار أيضاً أن خَّرج جيلاً من الشباب الشجعان كانت لهم صفحات مضيئة، وبطولات رائعة، ومواقف سجلها لهم التاريخ. خالدة فضحوا بأرواحهم رخيصة للدفاع عن دينهم، والمرء يتحير ماذا يكتب وماذا يترك، حيث إن المرء عند كثرة النماذج يتخير، لكن عند ذكر مثل هذه النماذج يتحير، ففي معركة بدر يتسابق شابان قويان لقتل أبي جهل، وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء – رضي الله عنهما –، يقول عبد الرحمن بن عوف – ﷺ –: (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخْبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال: كل واحد منهما أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: كلاكما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٠١- ٣٠٢).

قتله)[1]، وسمرة بن جندب ورافع بن خُديج – رضي الله عنهما – لم يتجاوزا الخامسة عشرة يتسابقا على شهود معركة أحد مع النبي ﷺ على الرغم من صغر سنهما، فيُخبر النبي ﷺ بأن رافعاً رام فيقبله ويرد سمرة، فيقول سمرة للرسول ﷺ لقد أجزت هذا ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فدونكه فصارعه سمرة فصرعه فأجازه[2] وهذه بعض الآثار لثمرة تربية الرسول ﷺ بالامتثال لأمر الله – تعالى – وإذا أردنا أن يصل شبابنا إلى أمثال هؤلاء الأبطال، وإذا أردنا إصلاح جيلنا ونهضة أمتنا، فعلينا أن نسير على الدرب، ونقتفي الأثر، لنصل إلى ما وصلوا، بالمنهج الرباني القرآني والأسلوب الحكيم والمربي الناجح عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما النتائج لتربية الرسول ﷺ بالامتثال لأمر الله – تعالى – أن حبب نفوس الناس إليه، وفي إقبالهم على دين الله وإعلان استسلامهم له، والرضا بالدين ومحبته والإعراض عن الجاهلين، وعدم مسافهتهم جزاء لما يصدر منهم حتى لا ينفروا من الدين الإسلامي[3]، مطبقين قول الله – تعالى –: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) البخاري كتاب فرض الخمس – باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن تخمس وحكم الإمام فيه – رقم الحديث (٣١٤١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦).

(٣) فتح القدير (٢/ ٢٧٩)، البحر المحيط (٤/ ٤٤٤) ، روح المعاني (٩/ ١٤٦).

الخاتمة

١. إن من الحكمة في التربية: التدرج بالاهتمام بالأصول قبل الفروع، والانتقال من الأدنى إلى الأعلى، ومناسبة المنهج التربوي للأحوال والمستويات، واختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب، واختيار الشكل المناسب من أشكال أساليب المنهج، واعتماد مراتب الاحتساب، مع البحث عن الأسباب والدوافع لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة، واستعمال الوسائل المعنوية والمادية لنجاح العملية التربوية.

٢. لابد للمربي من استخدام أسلوب الجدل الحسن للوصول إلى نتائج طيبة في التربية.

٣. على المربي أن يستخدم أسلوب الموعظة الحسنة في التربية تأسياً بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٤. من أنجح العوامل في التربية أن يكون المربي قدوة ومثلاً أعلى وقدوة صالحة.

٥. إن من أهم الأساليب التي استعملها الرسول ﷺ في التربية وكان لها الأثر الأقوى في النفوس، أسلوب التربية بالترغيب والترهيب.

٦. من الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول ﷺ التربية بالرد على الشبهات فأدى ذلك إلى تصفية الجيل منها.

٧. على المربي الاقتداء بالرسول ﷺ في تربيته بالامتثال لأوامر الله تعالى.

٨. ربى الرسول ﷺ الجيل على عقيدة صافية، وعبادة قويمة، وأخلاق سامية، وأداب عالية فكانوا خير شباب الأرض.

٩. استطاع الرسول ﷺ المربي الأول من خلال أسلوبه التربوي، وبما أتاه الله من أخلاق فاضلة إخراج طراز فريد من الشباب، عاشوا بالإسلام وللإسلام وطبقوه في واقع حياتهم.

١٠. حرص الرسول ﷺ على تقويم أخطاء الشباب بسد الخلل وإكمال النقص، وتصحيح الخطأ واتخذ في ذلك أساليب عديدة منها: إشعارهم بعظم ما ارتكبوه، التلميح دون التصريح، وبيان تعليل ما ارتكبوه من أخطاء إن دعت الحاجة إلى ذلك، ومعالجة الخطأ بالإشارة، والتوبيخ والعقوبة.

١١. استطاع ﷺ بحُسن تربيته، ومنهجه المستقيم، وأسلوبه الحكيم، أن يُخَرِّج نماذج فذة دانت لها مشارق الأرض ومغاربها، فحقق هدفه ووصل إلى مبتغاه، فخَرَّج العلماء والدعاة، والقضاة، والحفاظ، والعُباد، والأبطال الشجعان، والمضحين بأنفسهم وأموالهم، وكانوا مشاعل هداية، وفاتحة خير، وقناديل هدى.

التوصيات :

أما التوصيات التي أرى من الأهمية الآخذ بها فأجملها على النحو الآتي:

١. على المربين الحرص على تربية شبابهم تربية إسلامية، والاستفادة من منهج الرسول ﷺ وأساليبه ووسائله في تربية الشباب.

٢. عمل دورات تربوية للأباء والأمهات والمربين هدفها معرفة التعامل الأجدى مع الشباب وفق المنهج الإسلامي الصحيح.

٣. إنشاء كراسي بحثية في الجامعات مهمتها البحث في كيفية النهوض بالشباب.

٤. توصية أهل الحل والعقد بتدريس منهج الإسلام وأساليبه ووسائله في تربية الشباب في المرحلة الجامعية،ومحاولة تطبيقه في واقع حياة الشباب من قبل الأساتذة والمسؤولين.

٥. على العلماء بيان هذا المنهج بأساليبه ووسائله في كافة الوسائل المقروءة والمسموعة ليكون عوناً لكل من أراد أن ينحى منحى الرسول ﷺ في تربية الجيل لنهضة الأمة.

٦. على ولآة الأمور إنشاء هيئة في كل مؤسسة مهمتها غرس أخلاق الإسلام في نفوس الأجيال.

فهرس المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين ، الإمام أبي حامد محمد الغزالي، دار الحديث، القاهرة.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث ، بيروت.

٣. الأسلوب دراية بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، د: أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٧ ، ١٣٦٩هـ.

٤. أصول التربية ، إبراهيم عصمت مطاوع ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٩٧٩م.

٥. أصول الدعوة ، د:عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤٢٦هـ.

٦. الأصول السياسية للتربية ، سعيد إسماعيل علي ورفيقه ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط ١٩٨٣م.

٧. إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، دار المعارف ، مصر.

٨. إعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي ، القاهرة.

٩. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م.

١٠. الآفاق الفنية في القصة القرآنية ، محمد ناجي مشرح ، دار المجتمع ، جدة.

١١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة ، عبد العزيز بن أحمد المسعود ، دار الوطن ، الرياض، ط١.

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت.

١٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الإمام الذهبي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

١٤. تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.
١٥. تاريخ مدينة دمشق ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٩٥م.
١٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، ١٩٩٧م.
١٧. التدرج بين التشريع والدعوة ، يوسف محي الدين أبو هلالة ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١.
١٨. التدرج في دعوة النبي ﷺ ،إبراهيم عبد الله المطلق ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
١٩. تربية الطفل في الإسلام النظرية والتطبيقية ، د: محمد العجمي وزملائه ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ.
٢٠. تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة،ط ٣١.
٢١. التربية بالعبرة ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.
٢٢. التربية والتغير الثقافي ، محمد الهادي عفيفي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط ١٩٦٤م.
٢٣. الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، مجالاته وتأثيره ، رقية نصر الله محمد نياز، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ، ط١.
٢٤. التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

٢٥. تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٢٦. تفسير المنار ، محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط١.
٢٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت .
٢٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١.
٢٩. تيسير اللطيف المنان، العلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ط١.
٣٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣١. جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٨م.
٣٢. الحسبة في الإسلام ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: ابن سعده ، دار الأرقم، الكويت ، ط١.
٣٣. الحسنة والسيئة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مطبعة المدني، القاهرة.
٣٤. الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة ، أحمد بن نافع بن سليمان المورعي، دار الأندلس الخضراء ، جدة، ط١.
٣٥. خصائص القرآن ، د: فهد الرومي ، ط٤ ، ١٤٠٩هـ.

٣٦. خصائص القصة الإسلامية – مأمون فريز جرار ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
٣٧. دراسات في علوم القرآن ، فهد بن عبد الرحمن الرومي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.
٣٨. الدعوة الإسلامية المعاصرة ، حمد ناصر عبد الرحمن العمار ، مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، الرياض ، ط٢.
٣٩. الدعوة إلى الله ، د: توفيق الواعي ، مكتبة الفلاح الكويتية ، ط١.
٤٠. الدعوة إلى الله على بصيرة، عبد النعيم حسنين، دار الكتب الإسلامية، ط ١٤٠٥هـ.
٤١. ديوان الإمام الشافعي، تعليق: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل ، بيروت ، ط٣.
٤٢. الرسالة المحمدية ، سليمان الندوي ، دار الفتح ، دمشق ، ط٣.
٤٣. الرسول ، د: سعيد حوى ، مكتبة وهبة .
٤٤. روح المعاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٥. زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
٤٦. السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، فضل إلهي ، مؤسسة الجريسي، الرياض.
٤٧. سيكلوجية القصة في القرآن،التهامي نقرة، الشركة العربية التونسية للتوزيع،تونس.
٤٨. شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

٤٩. شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدين مسعود بن عمرو بن عبد الله التفتازاني ، تحقيق: دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.
٥٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م.
٥١. الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، دار صادر ، بيروت .
٥٢. علوم القرآن ، عبد المنعم النمر ، دار الكتاب المصري ، ط١.
٥٣. عيوب النفس ، محمد بن الحسين بن موسى السلمي أبو عبد الرحمن ، مكتبة الصحابة ، طنطا ، ١٤٠٨هـ.
٥٤. فقه السيرة النبوية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان .
٥٥. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٥٦. القصص القرآني إقناع وإبداع ، السيد عبد المقصود عسكر ، دار البشير للثقافة والعلوم ، طنطا ، ط١.
٥٧. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان ، الأردن.
٥٨. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
٥٩. الكافية في الجدل ، الإمام الجويني ، تحقيق: فوقيه حسين محمود ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،ط١.
٦٠. كتاب الزهد ، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني بن حنبل أبو بكر ، تحقيق الدكتور: عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ.

٦١. كتاب الزهد ، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني بن حنبل أبو بكر ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٦٢. الكليات، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦٣. كيف نربي ولداً صالحاً ، المغربي بن السعيد المغربي ، دار الكتاب والسنة للنشر الدولي ، ط ١٤٢٣هـ.

٦٤. لباب النقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل ، دار إحياء العلوم ، بيروت.

٦٥. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م.

٦٦. محتويات سورة هود على الدعوة إلى الله ، د: محمد بن ولد سيدي ولد حبيب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، المجلد (١٤).

٦٧. مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي.ود:محمد بلتاجي.ود:سيد حجاب،مطابع الرياض.

٦٨. مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م.

٦٩. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان.

٧٠. المرأة في القصص القرآني ، أحمد محمد الشرقاوي ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر ، ط١ ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٧١. مع الأنبياء في القرآن ، عفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان.

٧٢.مع الله ، محمد الغزالي ، المكتبة الإسلامية ، القاهرة ، ط٥.
٧٣.معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء ، سيد سعيد عبد الغني ، دار طيبة الخضراء ، ط ١ ، ١٤١٩هـ.
٧٤.معالم القصة في القرآن ، محمد خير العدوي ، دار العدوي ، عمان ، ط١.
٧٥.المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٧٦.معجم المقاييس في اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م.
٧٧.المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، إشراف: إبراهيم أنيس، عبد الحليم المنتصر، عطية الصوالحي وغيرهم ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا.
٧٨.مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٧٩.المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سعيد كيلاني ، دار المعارف ، بيروت.
٨٠.من صفات الداعية اللين والرفق ، فضل إلهي ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان.
٨١.منهاج الجدل في القرآن ، زاهر الألمعي ، رسالة دكتوراة ، مطابع الفرزدق.
٨٢.منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ، ربيع المدخلي ، الدار السلفية ، الكويت.
٨٣.منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة.
٨٤.منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ، عثمان علي حسن ، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

٨٥.منهج الدعوة إلى الله، أمين حسين إصلاحي،دار نشر الكتاب الإسلامي،الكويت.
٨٦.المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله ، حمود أحمد الرحيلي ، دار العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط١.
٨٧.منهج القصة في القرآن ، محمد شديد ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع،جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١.
٨٨.منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله ، خالد محمد الحافظ العلمي ، دار الزمان ، المدينة المنورة، ط١.
٨٩.موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.
٩٠.النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، أبو الحسن النووي ، دار القلم ، بيروت.
٩١.النهاية في غريب الحديث والأثر ، الإمام: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، المكتبة العصرية ، صيد ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

تأثر الصحابة بالقرآن واستجابتهم له

إعداد
أ.د. عبدالرحمن بن عبد الكريم الزيد

١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــــــــة

لقد كان كتاب الله عز وجل له أعظم الأثر في تهذيب نفوس الصحابة وتربيتهم كيف لا وهو كتاب الله المعجز الذي تأخذ فصاحته بالألباب ، وتؤثر معانيه في القلوب، ولو نزل على الجبال الراسيات لصدّعها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر:٢١] .

هو الذي لم تتمالك الجن إذحضروه إلا أن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف:٢٩] وقالوا أيضاً: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن:٢].

ولقد شهد بتأثير القرآن وفصاحته وعلوه المشركون الذين عاندوه وكفروا به فالوليد بن المغيرة عندما قرأ عليه النبي ﷺ القرآن قال: (والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وأن أسفله لمغدق وأنه ليعلوا وما يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته) [(١)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٠٦،٥٠٧/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٨،١٩٩/٢) من طريق الحاكم ومن طرق أخرى مرسلا وقال بعدها : وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً .

فهذا بحث يتعلق بتربية القران للصحابة وقوة تأثرهم به عنونته بـ (تأثر الصحابة بالقرآن واستجابتهم له) وهو مشاركة في محور التربية بالقران ضمن "ملتقى التربية بالقران مناهج وتجارب" والذي تنظمه جمعية القران الكريم .

أهداف البحث:

- بيان فضل الجيل الأول
- إبراز سرعة تأثر الصحابة بالقرأن
- ذكر نماذج وقصص مما ثبت من تأثر الصحابة بالقران وخشوعهم لسماعه وتأثرهم فيه ومبادرتهم العمل به

خطة البحث:

- مقدمة
- مبحث: فضل الجيل الأول
- مبحث: سرعة تأثر الصحابة بالقرأن ونماذج مما ثبت من تأثر الصحابة بالقران وخشوعهم لسماعه
- مبحث: ذكر نماذج وقصص مما ثبت من مبادرة الصحابة للاستجابة للقران وعملهم بما فيه
- مبحث:بيان الأسباب في استجابة الصحابة للقران وكيف نستجلبها لجيلنا
- الفهارس

وقد قمت بتخريج الأحاديث وبيان درجتها والتزمت الاحتجاج بما ثبت .

وأسال الله أن ينفع به ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

أ.د. عبدالرحمن عبد الكريم الزيد

قسم السنة بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ص ب ١٧٩٩٩ الرياض ١١٤٩٤ /azdzd11@gmail.com

مبحث: فضل الجيل الأول

الصحابة ﷺ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، اهتدوا فزادهم الله هدى، ورباهم ﷺ على عينه وشهدوا التنزيل فزادهم إيمانا فكانو بحق خير القرون، كما أخبر بذلك نبينا ﷺ كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**» رواه مسلم(١).

ولقد أثنى عليهم ربهم في كتابه وكفى بذلك شهادة بفضلهم وتقدمهم وسابقتهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

فهذا خبر صدق عن رضى الله عنهم وماذاك إلا لقوة إيمانهم وصدق اتباعهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وقال تعالى أيضاً: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) صحيح مسلم ح.(٢١٢)

"سيماهم في وجوههم".قال مجاهد : السحنة، وقال منصور، عن مجاهد: التواضع، وقيل:صفرة الوجه من السهر، وقيل نور وبياض في وجوههم يوم القيامة من كثرة صلاتهم وسجودهم.

قوله : شطأه، أي فراخه، يقال أشطأ الزرع:إذا نبت في أصوله ما هو أصغر منه، فآزره، أي قواه وأراد أن الحبة الواحدة تنبت سبعا وثمانيا وعشرا، فيقوى بعضه ببعض، ولو كانت واحدة لم تقم على ساق، مثل ضربه الله لرسوله ﷺ إذ خرج وحده، ثم قواه الله بأصحابه كما قوى الحبة بما ينبت منها[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».رواه البخاري[٢].

قال الشاطبي:" وإذا كان ذلك في المال، أي لا يبلغ أحد شأو أحد في الصدقة بالمال، ولو تصدق بملء الأرض ذهبا، وتصدق أحدهم بنصف مد تمر، فكذلك لا يبلغ شأوهم في سائر شعب الإيمان بشهادة التجربة العادة " [٣].

قال الحافظ ابن حجر : "الذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ.وأما من اتفق له الذب عنه، والسبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشرع المتلقى عنه، وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم" [٤].

---

(١) شرح السنة للبغوي (٦٨/١٤)

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ح(٣٤٧٠) .

(٣) الشاطبي، الاعتصام ٢٥٨/١ .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري : ٨/٧ .

مبحث: سرعة تأثر الصحابة بالقرأن ونماذج مما ثبت من تأثر الصحابة بالقران وخشوعهم لسماعه

هذا القرآن العظيم معجزة مؤثرة على طول الزمان تدل على صدق محمد ﷺ. ولذلك كان ﷺ يرجوا أن يكون بهذه المعجزة أكثر الأنبياء تابعاً . ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1].

هذا القرآن العظيم تلقّاه الصحابة رضي الله عنهم بشغف عجيب ، يتلونه ويتدبرونه ويعملون به ، وكان النبي ﷺ يربيهم بالقرآن ، ويتمثل أمامهم بآداب القرآن ، فكان خلقه القرآن وهديه القرآن ، ثم كان يحدوهم في ذلك ماورد من الثواب لمن تلا القرآن وتدبره وعمل به كقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فاطر:٢٩] .

وقوله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل القرآن ب: كيف نزل الوحي (٣/٩) وأخرجه مسلم ك: الإيمان ، ب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٣٤/١).

(٢) صحيح البخاري ك: التفسير ب: سورة عبس.(٦٩١/٨) ومسلم في صلاة المسافرين ب: فضل الماهر القرآن رقم (٧٩٨).

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:" إن لله أهلين من الناس "، فقيل : من أهل الله منهم؟ قال:" أهل القرآن هم أهل اللهو خاصته "[1].

ومعنى "ان لله أهلين" قال السندي:بكسر اللام جمع "أهل" جمع السلامة ، والأهل يجمع جمع السلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾[سورة الفتح:١١] " وإنما جمع تنبيها على كثرتهم.

و"أهل القرآن" أي : حفظة القرآن الذين يقرؤونه آناء الليل وإطراف النهار العاملون به. و"أهل الله" أي : أولياؤه المختصون به.

وروى الترمذي وأبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (يقال لصاحب القرآن أقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر أية تقرأها)[2].

وروى الترمذي عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنه والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[3]والأحاديث في هذا الباب كثيرة معروفة تدل على فضل قراءة القرآن وحفظه وملازمة ذلك ، ثم تأتي الآيات مؤكدة على أمر آخر

---

(١) أخرجه أحمد في المسند(٢٩٢/١٩) والطيالسي (٢١٢٤) ، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص٨٨، وابن ماجه (٢١٥) ،وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٧٥) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٠٣١) ، والحاكم ٥٥٦/١، وأبو نعيم في "الحلية" ٦٣/٣ و٤٠/٩، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٩٨٨) و(٢٩٨) ، وإسناده حسن .وصحح البوصيري إسناده في "مصباح الزجاجة" بهامش سنن ابن ماجه.

(٢) سنن الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ١٧ رقم (٢٩١٥). وسنن أبي داود ك: الصلاة ب:استحباب الترتيل رقم: (١٤٦٤) ورواه أحمد(١٩٢/٢)والحديث إسناده حسن .

(٣) أخرجه الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر رقم:(٢٩١٢). وإسناده صحيح .

مع القراءة وهو التدبر ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة ص:٢٩] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء :٨٢] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤) ﴾ [محمد: ٢٤].

وآيات أخرى كثيرة . فكان الصحابة ﷺ لهم قدم صدق ومثلٌ أعلى في هذا الباب فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل . فجمعوا بين العلم والتدبر والعمل فكانوا يحيون الليل بالقرآن إذا أمسى المساء لهم دويّ كدويّ النحل بالقرآن . فهذب القرآن نفوسهم وقوّم أخلاقهم ، وسما بهم إلى العلياء ، فضربوا أمثلة عليا في كل خير .

ولنعرض إلى بعض المواقف التي تدل على تأثر الصحابة بالقران ، والتي تدل على تعظيمهم له وتوقيرهم لكلام ربهم ، لقد كان لكتاب الله تعالى وآياته التأثير العظيم في قلوب الصحابة فحرك مشاعرهم وهزّ أحاسيسهم وملأ قلوبهم خشية من الله وتعظيماً له حتى إن أحدهم يخشى أن يكون هو المقصود بوعيد القرآن :

الموقف الأول : لما نزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [سورة الحجرات:٢] .

كان ثابت بن قيس بن الشماس ﷺ رفيع الصوت ، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ ، أنا من أهل النار ، حبط عملي ، وجلس في أهله حزيناً

يبكي . ففقده رسول الله ﷺ فقال رجل: يارسول الله ، أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده في بيته منكّساً رأسه ، فقال: ما شأنك ؟. فقال ثابت رضي الله عنه: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ ، فأنا من أهل النار. فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره ، فقال النبي ﷺ:اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة (١).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان جهوري الصوت أيضاً ، فإنه لما نزلت صار إذا خاطب النبي ﷺ يهمس همساً ، خشية أن يحبط عمله . يقول ابن الزبير رضي الله عنهما :"فما كان عمر رضي الله عنه يُسمِع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه(٢)".

حقاً لقد كانت نفوس الصحابة من الشفافية وقوة الإيمان ما جعلهم يتأثرون بالغ الأثر بكلام الله عزّ وجل.

الموقف الثاني: وموقف آخر عن عمر بن الخطاب، قال : لما نزل تحريم الخمر، قال : اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شفاء. فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة:" ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة البقرة:٢١٩]" . قال : فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال:اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شفاء. فنزلت الآية التي في سورة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير ب: لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (٥٩٠/٨) ومسلم ك: الإيمان ب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٠/١) وللحديث روايات في غير الصحيحين ذكرها ابن كثير في التفسير (٢٦٣/٤) تفسير سورة الحجرات .

(٢) صحيح البخاري الموضع السابق (٥٩٠/٨)

النساء:" ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ [سورة النساء:٤٣] ، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى:أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء . فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[سورة المائدة:٩١] "، قال : فقال عمر : انتهينا ، انتهينا"(١).

حقاً لقد كان الصحابة ﷺ جيلاً قرآنياً فريداً ، ترى أحدهم يسمع الآية فتؤثر فيه وتغير سلوكه ، يتغلب أحدهم على مشاعره ويخالف هوى نفسه ليستجيب للقرآن ويتمثله، ولقد كان لهم تأثر بالغ عند سماعه فمن المواقف قي ذلك:

الموقف الثالث: عن عبدالله بن عمرو،قال:نزلت:"﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة:١] "وأبو بكر الصديق ﷺ قاعد، فبكى أبو بكر ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ:«ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال:أبكتني هذه السورة. فقال رسول الله ﷺ :«لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله من بعدكم أمة يذنبون ويخطئون، فيغفر لهم»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٣/١) وابن أبي شيبة ٨ / ١١٢، وأبو داود (٣٦٧٠) ، والترمذي (٣٠٤٩)، والبزار (٣٣٤) ، والنسائي ٨ / ٢٨٦ – ٢٨٧، والطبري ٧ / ٣٣، والحاكم ٤ / ١٤٣، والبيهقي ٨ / ٢٨٥ ورواته ثقات ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير(٧١/١٤) ورواه ابن أبي الدنيا في "الرقة والبكاء" (٧٥) ، وابن جرير في "تفسيره" (٥٦٨/٢٤) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٦٧٠١) ورواه الدولابي في "الكنى والأسماء" (٤٧) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٤١/٧) ، وقال: «رواه الطبراني، وفيه حيي بن عبد الله المعافري؛ وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

ومنها: **الموقف الرابع** : روى ابن أبي شيبة عن هارون بن أبي وكيع، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [سورة المائدة:٣] قال: في يوم الحج الأكبر ، قال: فبكى عمر ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قال: يا رسول الله ، أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل قط شيء إلا نقص ، قال: صدقت[١].

وروى ابن أبي الدنيا أن عقبة بن عامر وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن فقال له عمر: «اعرض علي سورة براءة» ، فقرأها عليه، فبكى عمر بكاء شديدا، ثم قال: «ما كنت أظن أنها أنزلت»[٢].

وروى أيضاً عن نافع، عن ابن عمر، أنه: كان إذا أتى على هذه الآية ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦] بكى حتى يبل لحيته البكاء، ويقول: «بلى يا رب»[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٧/٨٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء (٨٢) .

(٣) الموضع السابق .

مبحث: ذكر نماذج وقصص مما ثبت من مبادرة الصحابة للاستجابة للقران وعملهم بما فيه

لقد كان للصحابة ﷺ في هذا الباب قصب السبق فكانو يتبعون العلم بالعمل ويبادرون لفعل المستحب فما ظنك بالواجب قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ ، أنهم كانوا " يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات "، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل(١)فمن ذلك:

١- روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء. وكانت مُستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ((لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)) وإن احبّ أموالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال: فقال رسول الله ﷺ:بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه(٢).

---

(١) اخرجه أحمد (٢٣٥٢٩)، وابن أبي شيبة(٢٩٩٢٩والحاكم (٧٥٥/١)وإسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا ولم يبين الحدود فهو جائز وكذلك الصدقة ح(٢٦١٧).

إنها صورة رائعة للاستجابة والمبادرة إلى الخير والحرص على البر والزهد فيما تحب النفس ابتغاء للأجر وطلباً للذخر عند الله تعالى .

٢-وموقف آخر استجابة لهذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ لعمر بن الخطاب ﷺ وكان من السابقين للخير ففي الصحيحين أن عمر ﷺ قال: يارسول الله لم أحب مالاً قط هو أنفس عندي من سهمي الذي بخيبر فما تأمرني؟ به ؟قال: حَبّس الأصل وسبل الثمرة فتصدق بها عمر أن لايباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله...)(١).

انظر كيف يتحرون نفائس مالهم وينفقون ما تحبه نفوسهم ﷺ .

٣-واسمع إلى ابن عمر رضي الله عنهما يقول: حضرتني هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ فذكرت ماأعطاني الله فلم أجد شيئاً أحبّ إلي من جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها)(٢) .

عجباً لهذه النفوس التي ربَّاها القرآن وجعلها تُؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

---

(١) صحيح البخاري ك: الشروط ب: الشروط في الوقف (٣٥٤/٥) ومسلم ك: الوصية ب: في الوقف (١٢٥٥/٣).

(٢) أخرجه البزار في مسنده.انظر كشف الأستار ك: التفسير.سورة آل عمران (٤٢/٣) والحاكم في المستدرك(٥٦١/٣) كلاهما من طريق أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن ابيه رضي الله عنه وابو عمرو بن حماس ذكره ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل(٤١٠/٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وقال عنه ابن حجر في التقريب(ص٦٦٠) :مقبول.لكن للحديث طريق آخر أخرجه ابن سعد في الطبقات(١٦٧/٤)مختصراً من طريق نافع عن ابن عمر.فيتقوى به.وفي رواية لابن سعد ان ابن عمر زوجها مولى له فولدت غلاماً قال نافع: فلقد رأيت عبدا لله بن عمر يأخذ ذلك الصبي فيقبله ثم يقول: واهاً لريح فلانه .يعني الجارية التي أعتق .

٤-وموقف آخر عجيب جداً للصحابي الجليل أبى الدحداح ﷺ يرويه عبدالله بن مسعود ﷺ قال لما نزلت ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٥] قال أبو الدحداح: يارسول الله وإن الله يريد منا القرض ؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: فاني أقرضت ربي حائطي. وكان فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وفيه أم الدحداح في عيالها فناداها:يا أم الدحداح. قالت: لبيك. قال: أخرجي، فاني أقرضت ربي حائطي. قالت: لبيك. أخرجه البزار وأبو يعلى والطبري في الكبير[1].

وكثيرة هي صور استجابتهم للقرآن ، فمنها :

٥- هذا أبو بكر ﷺ لما وقع من مسطح بن أثاثه. وهو ابن خالة أبى بكر. ما وقع من الكلام في عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر ﷺ: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا بعد الذي قال لعائشة. ، وفي رواية والله لا أنفعه بنافعة. فلما نزل قول الله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ

(١) انظر كشف الأستار في زوائد البزار (٤٣/٣) ومسند أبي يعلى الموصلي (٤٠٤/٨) والمعجم الكبير للطبراني (٣٠١/٢٢) كلهم من طريق خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن مسعود. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤،٣٢٥/٩): رواه أبو يعلى والطبراني : ورواتهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . لكن الإسناد فيه حميد الأعرج وقد ضُعف . التقريب (١٨٢) لكن للقصة شاهد عن عمر بن الخطاب بمعناه ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣/٣) وعزاه للطبراني في الأوسط قال: وفيه إسماعيل بن قيس وهو ضعيف .

﴿لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:٢٢] قال أبو بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي. ، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها عنه أبدا .[١]

٦- وهذا عمر بنذ الخطاب ﷺ قَدِم عليه عيينة بن حصن فاستأذنله الحُرُّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر.فلما دخل عليه عيينة قال: هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ به . فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ :﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩] وإن هذا من الجاهلين.، والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله .[٢]

فانظر إلى تأثير القرآن في حياتهم وتهذيبه لنفوسهم وتقويمه لأخلاقهم . وكفى بكلام الله مؤثراً ومربياً لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد . فهل تعي أمتنا دور القرآن في التربية ؟ نسأل الله ذلك .

---

(١) رواه البخاري آخر حديث الإ فك ك:التفسير سورة النور(٤٥٥/٨) .

(٢) أخرجه البخاري ك: التفسير ب:خذ العفو وأمر بالعرف (٣٠٤،٣٠٥/٨) .

مبحث : بيان الأسباب في استجابة الصحابة وتأثرهم بالقران وكيف نستجلبها لجيلنا

وهنا نتلمس الأسباب التي ميزت الجيل الأول وصبغتهم بصبغة القران وجعلتهم خير أمة أخرجت للناس وهذا كله بعد توفيق الله لهم واصطفائهم ، فمنها :

١-ما يتعلق بالقرأن نفسه ففيه من البلاغة والأسلوب والإعجاز ما يبهر العقول ويؤثر على النفوس خاصة وهم أهل اللغة والفصاحة والقرآن سماه الله نور وهدى ووصفه بالبركة والذكرى وغير ذلك من الأوصاف العلية قال تعالى:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة:١٦] وقال تعالى:﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٢].

ألم تر كيف كان أهل مكة يجتمعون على قراءة أبي بكر يستمعونها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمرر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل أرض الحبشة فلقيه ابن الدغنة ، -وهو سيد القارة- فقال له :أين يا أبا بكر؟ فقال :أخرجني قومي فأنا أسيح في الأرض وأعبد ربي . فقال له ابن الدغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك لتكسب المعدوم وتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار.، فارتحل ابن الدغنة ورجع معه أبو بكر ، -وطاف في كفار قريش- فقال لهم: أن أبا

بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ،إنه يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق . فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة ، وأمّنوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر أن يعبد ربه في داره ، ويصلي ما شاء ويقرأ ما شاء ولا يؤذينا ، ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره ، ففعل أبو بكر ذلك، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم فيتعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا لا يملك دمعة إذا قرأ القرآن ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا إنما أجرنا أبا بكر أن يعبد ربه في داره ، وقد ابتنى مسجد بفناء داره ، وأنه أعلن بالصلاة والقراءة ، وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأته فقل له إما أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فليرد إليك ذمتك ، فإنا نكره أن نخفر ذمتك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.، فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك علينا إما أن تقصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلي ذمتي ، فإني لا أحب أن يسمع العرب أني أخفرت في عقد رجل عقدت له.، فقال أبو بكر: فإني أرضى بجوار الله وجوار رسوله ﷺ(١).

والصحابي الجليل جبير بن مطعم رضي الله عنه كان مبدأ إسلامه سماعه لسورة الطور ، عن جبير بن مطعم -وكان جاء في أسارى بدر - ، قال:سمعت رسول الله-ﷺ-قرأ في المغرب بـ ﴿الطور﴾ فلما بلغ هذه الآية﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [سورة الطور:٣٧]كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ح: (٣٦٩٤) وأحمد : (٢٥٦٢٦)

(٢) أخرجه البخاري ح: (٤٠٢٣)

فالقران يهز الكيان ويتغلغل في الأعماق لكن إنما يكمل الانتفاع به لمن أصغى إليه بقلبه وقالبه قال ابن القيم: قَاعِدَة جليلة : إِذا أردْت الِانْتِفَاع بِالْقُرْآنِ فاجمع قَلْبك عِنْد تِلَاوَته وسماعه وألْقِ سَمعك واحضر حضُور من يخاطبه بِهِ من تكلّم بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ فانه خَطاب مِنْهُ لَك على لِسَان رَسُوله قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٧] وَذَلِكَ أَن تَمام التَّأْثِير لما كَانَ مَوْقُوفا على مُؤثر مُقْتَض وَمحل قَابل وَشرط لحُصُول الْأَثر وَانْتِفَاء الْمَانِع الَّذِي يمْنَع مِنْهُ تضمّنت الْآيَة بَيَان ذَلِك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المُرَاد فَقَوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى﴾ اشار إِلَى مَا تقدّم من أوّل السُّورَة الى هَهُنَا وَهَذَا هُوَ المؤثّر وَقَوله ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فَهَذَا هُوَ الْمحل الْقَابِل وَالْمرَاد بِهِ الْقلب الحيّ الَّذِي يعقل عَن الله كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّا﴾ أَي حيّ الْقلب وَقَوله ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أَي وجَّه سَمعه وأصغى حاسّة سَمعه إِلَى مَا يُقَال لَهُ وَهَذَا شَرط التأثّر بالْكَلَام وَقَوله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أَي شَاهد الْقلب حَاضر غير غَائِب قَالَ ابْن قُتَيْبَة:اسْتمع كتاب الله وَهُوَ شَاهد الْقلب والفهم لَيْسَ بغافل وَلَا ساه وَهُوَ إِشَارَة إِلَى الْمَانِع من حُصُول التَّأْثِير وَهُوَ سَهْو الْقلب وغيبته عَن تعقّل مَا يُقَال لَهُ وَالنَّظَر فِيهِ وتأمّله فَإِذا حصل الْمُؤثر وَهُوَ الْقُرْآن وَالْمحل الْقَابِل وَهُوَ الْقلب الْحَيّ وَوجد الشَّرْط وَهُوَ الإصغاء وانتفى الْمَانِع وَهُوَ اشْتِغَال الْقلب وذهوله عَن معنى الْخطاب وانصرافه عَنهُ إِلَى شَيْء آخر حصل الْأَثر وَهُوَ الِانْتِفَاع والتذكّر[١].

٢- ومنها صدقهم وإخلاصهم فالصدق وإقبال القلب من أعظم مايجعل للقرآن تأثيرا على السلوك .

---

(١) الفوائد (٣/١) .

فأبو بكر ﷺ بلغ الغاية في الصدق والتصديق فلذا لقب بالصدّيق ، وكان كما أسلفت سريع الدمعة عند القراءة للقرآن ، كثير التأثر ، حاضر الذهن بالقران ، وانظر كيف اضطرب عمر وبعض الصحابة عندما قيل لهم توفي رسول الله ﷺ .، أما أبوبكر ﷺ فرغم حزنه على فراق خليله إلا أنه مرتبط بالقران فقام بالناس يتلو قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠] فاطمأنت قلوب الصحابة وقال عمر:: كاني لم أسمعها[١].

وهذا أبي بن كعب يلجأ إليه الناس وقت فتنة عثمان فيأمرهم بكتاب الله عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ،:قَالَ: لَمَّا وَقَعَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ مَا كَانَ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ ، أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ ، مَا الْمَخْرَجُ؟ قَالَ: كتاب الله ما استبان منه فاعمل به ، وما اشتبه عليك فآمن به ، وكله إلى عالمه.[٢]

فالصحابة ﷺ عرفوا قدر القرآن فآمنوا به صدقاً ، وحكموه عدلا، ولجأوا إلى هديه وبيانه عند الفتن مفزعاً .

وهذا رسول الله ﷺ يشهد لأحد الصحابة الأعلام من أهل القرآن ، وممن رزقه الله تلاوته وحسن الصوت به، يشهد له رسول الله ﷺ بالإخلاص والسلامة من الرياء، إنه عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري ﷺ فقد روى أحمد في المسند" أن بريدة خرج عشاءاً فلقيه النبي ﷺ، فأخذ بيده فأدخله المسجد، فإذا صوت الرجل يقرأ فقال النبي ﷺ:" أتقوله مرائيا؟ " وفي رواية "أتراه مرائياً"فقال بريدة : أتقوله مرائيا يا رسول الله فقال النبي ﷺ:"لا. بل مؤمن منيب، لا. بل مؤمن منيب". فإذا الأشعري يقرأ بصوت له في جانب المسجد فقال رسول الله ﷺ:" إن الأشعري، أو إن عبد الله بن

(١) البخاري (٣٦٦٧ ، ٣٦٦٨)

(٢) أخرجه بن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦٥٥) من طرق صحيحة

قيس، أعطي مزمارا من مزامير داود ". فقلت : ألا أخبره يا رسول الله؟ قال: "بلى فأخبره" فأخبرته، فقال : أنت لي صديق أخبرتني عن رسول اللهﷺ بحديث[١].

ومنها مبادرتهم للعمل بالقرآن فهم يتعلمون القرآن للعمل والتدبر والعظة بما فيه يقول أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعبد الله بن مسعود «أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم فإنا علمنا العمل والعلم»[٢]

هكذا كان الرعيل الأول ، علم وعمل، ومبادرة وهمة ، ورجاء ماعند الله ، ونظر للآخرة ، واسمع إلى ابن عمر ما يقول لما تغيرت بعض الأحوال فكيف لو أدرك زمننا هذا كان يقول:" لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ثم لقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ولا يدري ما آمره ، ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينتثره نثر الدقل " [٣] فعلا لقد وصف ابن عمر رضي الله عنه الداء ، إذا فالأمر مع القرآن إيمان ويقين، وحلال يتبع ، وحرام يجتنب ، وأمر وزجر ، ووقوف عند حدوده لا تحريك الألسن به فقط .

هذا ما تيسر جمعه وأسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) أخرجه أحمد (٤٩/٣٨) والدارمي ح:(٣٤٩٨) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(١١٧/٦) وأحمد في المسند(٤١٠/٥) والحاكم(٧٤٣/١) وقال :صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار(١٤٥٣) والحاكم في المستدرك(٩١/١) وقال : على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وزاد : ولا أعلم له علة

فهرس المصادر والمراجع

– الأحاديث المختارة تأليف:الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المشهور بالضياء المحقق:عبد الملك بن عبد الله بن دهيش المقدسي دار النشر:مكتبة النهضة الحديثة.مكة المكرمة.سنة النشر:١٤١٠ الطبعة الأولى.

– الجامع الصحيح المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

–الجامع الصحيح المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي تحقيق: محمد عوامه ط: دار القبلة جدة .

–الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ط: دار إحياء التراث بيروت .

– المستدرك على الصحيحين المؤلف:محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١

– المنتقى من السنن المسندة المؤلف:عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري الناشر:مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٨.

– تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر تحقيق: محمد عوامه ط:دار الرشيد سوريا الأولى ١٤٠٦.

- سنن ابن ماجه المؤلف:محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر:دار الفكر-بيروت تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي .

- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.

- سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م.

- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦)[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج ومذيل بأحكام الألباني، وهو متن مرتبط بشرح السيوطي والسندي].

- سنن البيهقي الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ —

- سنن الدارمي المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

- سنن النسائي الكبرى المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى .

- شرح مشكل الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ.

- مسند البزار (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار.

- مصنف عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني الناشر: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

-الاعْتِصَام المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ).

-الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة لأبي البركات محمد بن أحمد بن الكيال تحقيق:عبد القيوم بن عبد رب النبي ط:دار المأمون.

-المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي البستي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ.

-تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر ط:دار الفكر بيروت الأولى ١٤٠٤هـ.

-شرح السنة ـ للإمام البغوى المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي دار النشر: المكتب الإسلامي – دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م الطبعة: الثانية تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش .

-الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ — ١٩٧٣م.

-كشف الأستار عن زوائد البزار المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ .

- المعجم الكبير المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الثانية، ١٩٨٣ م.

- حال السلف مع القرآن المؤلف: د. بدر بت تاصر البدر ط: دار الحضارة للنشر.

التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية

إعداد

د. عبد الله بن وكيل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أمّا بعد:**

فإنَّ القرآن الكريم مَنهَلٌ للعِبَر، وسجل حافلٌ بالتربية؛ أينما وردته اعتبرت به، وأينما صدرت عنه تزوّدت منه. فهو كتابُ تغييرٍ نحو الأفضل، وتهذيبٍ لِما شابَ النفوسَ مِن أدران، وتطهيرٍ لِما أصاب الفِطَر من انتكاسات. وهو الكتاب الذي داخَلَ النفوس فكشفها، وفاتشها فأخرج خبيئها، وعالجها فاجتثّ خبيثها. ولا غرو فهو كلام الله ﷻ؛ فيه آياتٌ للسائلين، وتذكرةٌ للمربّين، وتبصرةٌ للمؤمنين، ونذيرٌ للزائغين.

بين جنبات هذا الكتاب العظيم تَبدَّت سيرةُ نبيّنا ﷺ وسيرةُ أصحابِه رضوان الله عليهم أجمعين ساطعة كالشمس في رائعة النهار، ولكنها سيرةٌ ليست ككل السِّيَر، وقَصٌّ ليس ككلِّ القصِّ، وعَرضٌ للأحداث والوقائع ليس ككل العرض؛ حينما تنشغل كتب التأريخ والسِّيَر بعدد الجُنْد، وجغرافيا المكان، وأسماء المقَاتِلَة، وإحصاء المغانم؛ يحفل القرآن برسم العِبْرَة، وإيقاظ البصيرة، وترسيخ المعنى، وتعميم الدَّرس..

هذا، وقد جاءت ورقة "التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية" في مبحثين:

المبحث الأول: مقدِّمات مُمَهِّدات. وفيه أربع مقدِّمات:

المقدِّمة الأولى: القرآن كتاب تربية وهداية وتزكية.

المقدِّمة الثانية: أثر تنجيم القرآن في تثبيت معاني التربية.

المقدِّمة الثالثة: السيرة النبويّة الوعاء الحيويّ للتربية القرآنية.

المقدِّمة الرابعة: تمايُز المعالجة القرآنية للأحداث عن كتب السِّيَر والتواريخ.

المبحث الثاني: **التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية**. وفيه مثالان:

المثال الأول: المعالجة القرآنية التربوية لحدث كامل من أحداث السيرة النبوية.

المثال الثاني:المعالجة القرآنية لمعنى تربوي قُرِّر في مناسبات متعددة من أحداث السيرة.

المبحث الأول

مقدِّمات مُمَهِّدات

المقدِّمة الأولى

القرآن كتاب تربية وهداية وتزكية

أبان القرآن الكريم في أكثر من موضع عن الغرض الرئيس، والغاية الأهمّ، مِن بعثة النبي ﷺ؛ وأنَّ هذا الغرض وتلك الغاية مِن أعظم المِنَن التي يَمُنُّ الله ﷻ بها على هذه الأُمَّة الخاتمة؛ فقال عزَّ مِن قائل: ﴿ **كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ** ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿ **لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي هذه الآيات الثلاث تقديم التزكية على التعليم، والتربية على التلقين، وهذه طبيعة التربة التي خُلِق منها الإنسان، لا تستقيم إلّا بتحليةٍ تتقدَّمها تخلية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وهذا ما يستقيم كذلك مع قانون المصلحة والمفسدة عند التعارض، مِن تقديم درء المفسدة على جلب المصلحة.(١)

ولقد أبانت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها عن سِرِّ هذا التقديم في قولها: "**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ؛ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لجَارِيَةٌ أَلْعَبُ:** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦] **وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ**".(٢)

وهكذا تتجلَّى التزكية في أبهى آثارها؛ "تطهيرًا للضمير والشعور، وتطهيرًا للعمل والسلوك، وتطهيرًا للحياة؛ تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الرِّبا والسُّحت إلى طهارة الكسب الحلال.. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة، ولحياة السريرة وحياة الواقع. تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها، وعن

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية (٤١٧/١، ٣٢٦/٢).

(٢) صحيح البخاري، ترقيم عبد الباقي (٤٩٩٣).

نفسه، ونشأته؛ إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملأ الأعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوي الكريم". (١)

أمَّا ما جاء في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مِن تقديم التعليم على التزكية في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، **ففيه مِن الأجوبة؛** أنَّ دلالة التزكية في المواضع الأولى التي تقدَّمت فيها على التعليم، تختلف عن دلالتها في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام التي تأخّرت عنه؛ ففي الأولى يُراد بها التطهير، وفي الثاني يُراد بها الشهادة على أنَّهم خيار أزكياء، وذلك متأخِّر عن تعليم الشرائع والعمل بها.(٢)

وقيل: بأنّ هذا التقديم بحسب ما تراءى لهما مِن أهميّة التعليم وشرف التحلية.(٣)

المقدِّمة الثانية

أثر تنجيم القرآن في تثبيت معاني التربية

قال ﷻ في تنزُّل القرآن مُفرَّقًا: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال عَزَّ مِن قائل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

---

(١) الظلال ط. الشروق – القاهرة (٣٥٦٥/٦)

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ط. دار الفكر ١٤٢٠هـ (٢/ ٤٨)، روح المعاني (٤١٧/١).

(٣) انظر: روح المعاني (٣٢٦/٢).

ومِن وجوه وحِكَم وأسرار تنجيم القرآن على الأحداث والوقائع، التدرُّج في تربية هذه الأمة الناشئةِ، علمًا وعملًا. وينضوي تحت هذا الإجمال جملة من الأمور:

أولها: التمهيد لكمال تخلِّيهم عن عقائدهم الباطلة، وعباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة؛ وذلك بأنْ يراضوا على هذا التخلِّي شيئًا فشيئًا، بسبب نزول القرآن عليهم كذلك شيئًا فشيئًا؛ فكلما نجح الإسلام معهم في هدم باطل، انتقل بهم إلى هدم آخر، وهكذا: يبدأ بالأهم ثم بالمهم، حتى انتهى بهم آخر الأمر عن تلك الأرجاس كلها، فطهّرهم منها، وهم لا يشعرون بعنتٍ ولا حرج، وفطمهم عنها دون أن يرتكسوا في سابق فتنة أو عادة. وكانت هذه سياسة رشيدة لا بُدّ منها في تربية هذه الأُمّة المجيدة.

ثانيها: التمهيد لكمال تحلِّيهم بالعقائد الحقّة، والعبادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة؛ بمثل تلك السياسة الرشيدة السابقة. ولهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشرك، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد وحُجَج الحساب والمسؤولية والجزاء. **ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات**؛ فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة، وثنَّى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحجِّ في السنة السادسة منها. **وكذلك كان الشأن في العادات**؛ زجرهم عن الكبائر، وشدَّد النكير عليهم فيها، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرِّفق، وتَدَرَّجَ في تحريم ما كان مستأصِلًا فيهم كالخمر، تدرُّجًا حكيمًا، حقَّق الغاية، وأنقذهم من كابوسها في النهاية. وكان الإسلام في انتهاج هذه الخُطَّة المثلى أبعد نظرًا، وأهدى سبيلًا، وأنجح تشريعًا، وأنجع سياسةً؛ مِن تلكم الأُمَم المتمدِّنَة المتحضِّرة التي أفلست في تحريم الخمر على شعوبها أفظع إفلاس، وفَشِلَت أَمَرّ فشل.

أليس ذلك إعجازًا للإسلام في سياسة الشعوب، وتهذيب الجماعات، وتربية الأُمَم؟! بلى، والتاريخ على ذلك من الشّاهِدين.

ثالثها: تثبيت قلوب المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين؛ بسبب ما كان يقصّه القرآن عليهم الفينة بعد الفينة، والحين بعد الحين؛ من قصص الأنبياء والمرسلين، وما كان لهم ولأتباعهم مع الأعداء والمخالفين، وما وعد الله به عباده الصالحين؛ من النصر، والأجر، والتأييد، والتمكين. والآيات في ذلك كثيرة حسبك منها قول العليِّ الكبير في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥][(١)].

وفي ذلك كمال التهيئة لأُمَّة تصارع مَن حولها من أهل الديانات وأهل الوثنية؛ وفي كلٍّ منهم حرد على الحقّ، ولن يألوا جهدًا في صد الحق وردّه، إنْ لم يقدروا على محوه ووأده.

ولقد أنتجت تلك التربية مسلكًا رشيدًا في هذه العصبة المؤمنة؛ فما وهنت في خطب، وما ضعفت في مهمّة؛ فحقَّقَت في أنفسها ثمار هذه التربيّة، فحقَّق لها في جولاتها النصر والظفر: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ط. الحلبي (١/٥٥ – ٥٧).

المقدِّمة الثالثة

السيرة النبويّة الوعاء الحيويّ للتربية القرآنية

مِن المقدِّمَتَين السَّابقتين يتبيَّن أنَّ أحداث السِّيرة النبويّة إحدى ميادين التدفُّق الحيويّ للأحداث والوقائع التي تتنزَّل آيات القرآن الكريم خلالها أو عقب انقضاء أحداثها في الغالب؛ لتعالجها وتُرِبِّي من خلالها بضروب معاني التربية والمعالجة المتعدِّدة.

وقد حَفَلَتْ الأحداثُ الكبرى في السِّيرة النبويّة، نحو: (بدر، أُحُد، الأحزاب، تبوك ..) بآيات كثيرة تبلغ في بعضها العشرات من الآيات:

١. **أمَّا غزوة بدر** (رمضان ٢هـ)، فقد ذكر الله ﷻ طرفًا منها في سياق غزوة أُحُد (شوال ٣هـ) في سورة آل عمران (الآيات: ١٢٣ - ١٢٧)[١]، وسورة الحجّ (الآية: ١٩)[٢]، وأشبعها حديثًا في سورة الأنفال التي كان يسميها عبد الله بن عباس بـ: **(سورة بدر)**.[٣]

٢. **وأما غزوة أُحد، ف:** "قد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أُمّهاتها وأصولها في سورة "آل عمران"؛ حيث افتتح القصّة، بقوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمام ستين آية".[٤]

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾[آل عمران: ١٢٣- ١٢٧]. وانظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي- باب قصة غزوة بدر، تفسير ابن كثير ط. طيبة ١٤٢٠هـ (١١٢/٢).

(٢) وهو قوله تعالى:﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ: "نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ". رواه البخاري (٣٩٦٩، ٤٧٤٣) ومسلم (٣٤ - (٣٠٣٣).

(٣) صحيح مسلم ترقيم عبد الباقي ٣١ - (٣٠٣١). وقد نزلت سورة الأنفال كاملة عقب غزوة بدر.

(٤) زاد المعاد ط. مؤسسة الرسالة (١٩٦/٣).

٣. **وغزوة الأحزاب**(شوال ٥هـ)؛ذكر الله أمرها، ووصف أطرافها ونهايتها، في الآيات (٩ – ٢٧) من سورة الأحزاب، ثم اختلفوا في الآيات (٦٢، ٦٤) من سورة النور[١]، والآية رقم (٢١٤) من سورة البقرة[٢]؛ هل نزلت في غزوة الأحزاب أو في غيرها.

٤. **أمّا غزوة تبوك**؛ فقد ذكرها الله ﷻ في سورة التوبة، ابتداءً من الآية (٣٨)[٣] إلى قبيل نهاية السورة التي عدد آياتها: (١٢٩) آية.

المقدِّمة الرابعة

تمايُز المعالجة القرآنية للأحداث عن كتب السِّيَر والتواريخ

لما كانت طبيعة القرآن تختلف جوهريًّا عن طبيعة كتاب التاريخ، كانت معالجته للحدَث مختلفة كذلك عن معالجة كتب السِّير والتواريخ. ولعلَّ مِن أبرز جوانب الفرق في هذا المجال:

١. انفراد القرآن الكريم بتقييم الأحداث والوقائع والحكم عليها واستخراج

---

(١) وهي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٢ – ٦٤].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

(٣) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ ...﴾ [التوبة: ٣٨].

العبر والدلالات التربوية، وعلى سبيل المثال؛ فإنّ ما ورد في القرآن الكريم عن "**حديث الإفك**" في "**سورة النور**" قد امتاز إلى جانب الوصف والتسجيل، بالحكم والتقييم؛ حيث قرر القرآن منذ البداية أنّ ما قيل وما يقال حول هذه الحادثة إنّما هو إفك وافتراء خرج به جماعة من المنافقين والمرجفين في المدينة الذين يريدون بالرسول ﷺ وبالدعوة كلّها شرًّا. ومِن ذلك أيضًا ما وقع للمسلمين في يومَي أُحد (شوال ٣هـ) وحنين (٨هـ)، وما يقابل ذلك ممّا وقع في يوم بدر (رمضان ٢هـ)؛ ففي اليومين التاليين لبدر؛ وأوّلهما يوم أُحد وفيه مِن النُّكوص عن طاعة النبي ﷺ، واستدبار أمره، واستقبال الغنائم قبل وجوبها، وفي يوم حنين وما وقع فيه مِن الإعجاب والاغترار بالكثرة. بخلاف هذا وذاك، فهذا يوم بدر؛ يوم أنْ كان المسلمون في العدد قلّة، ولكن كان كل واحد منهم في نفسه أُمَّة، يؤثر معاني الآخرة على معاني الغنيمة الحاضرة. والقرآن الكريم يُسَجِّل هذه المعاني ويبرز دلالاتها تسجيل العليم الحكيم، ويُعالجها معالجة المربِّي الخبير بما عليه عباده من الحاجة إلى التهذيب والتربية والتذكير والتعليم. وفي سياق واحدٍ يُسَجِّل الله ﷻ لأهل أُحُد أسباب نصر المسلمين في بدر، وبِلُطْفٍ دلاليٍّ يُلقِي في روعهم موجبات الهزيمة ليحذروها، فقال عزَّ مِن قائل في (الآيات ١٢٣ - ١٢٦) مِن سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾. ففي هذه الآيات

الكريمات تقرير لِما كان عليه المسلمون يوم بدر مِن الذِّلَّة "بقلَّة العدد وقلَّة السلاح"(١)، ولكنهم كانوا أعزَّة مُشْرَبين بأسباب النصر، من الصبر والتقوى والطاعة؛ فقيل لأهل أُحُد: إنْ تصبروا كما صبروا، وتتقوا كما اتقوا، لأمدَّكم الله ﷻ بمددٍ مِن عنده، ولكنهم لم يُحقِّقوا هذه الشروط، فتخلَّف عنهم المدد، واستدبرهم النصر. **أمَّا يوم حنين**؛ فهو تسجيل تربويٌّ، وتقييم للحالة التي كان عليها المسلمون: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦]. وهذا المشهد ليس تسجيلًا ظاهريًّا للحدث، وإنَّما هو تسجيل مِن خبيرٍ لِما كانت عليه النفوس مِن إعجاب واغترار بالكثرة، وفي ذلك تقييم تربويٌّ لمعايير وأسباب النصر والهزيمة، وأنَّ النصر ليس بالكثرة الظاهرة التي لا تلبث أنْ تنقشع عند الخطوب المزلزلة، وإنَّما النصر حالةٌ تنشأ ابتداءً في دواخل النفس المؤمنة، وبذرة تمتد في أعماقها، حتى إذا حان الحين؛ تفجّرت ينابيع النصر، وتدّفَقَت وزَلْزَلَت. وهكذا يكون الدرس وتسجيل القيمة.

وفي الجملة؛ ففي كل معركة من معارك الإسلام - بدر، أحد، إجلاء بني النضير، الأحزاب، صلح الحديبية، حنين، تبوك ... — عبرة، ولعل من أهم عِبَر غزوة بدر أنّ الحقّ سبحانه يجعل النصر لمن يستحقّه، ولو كان بعيد المقاربة من عوامل النصر المادية عددًا وعدّة، وخاصة إذا كانت العصبة المؤمنة مقدّمة أهل الإسلام، التي جعلها الله

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت ١٤١٥هـ (ص٢٣٠).

حاملة أمانة التبليغ والداعية لدِينه، كما يُعبِّر عن ذلك قول المصطفى ﷺ: "**اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**".[1]

وأعظم عبرة في قصّة أحد أنّ الإخلال بطاعة القيادة قد يقلب المعركة رأسًا على عقب، فيعود النصر هزيمة، ولا تشفع حينئذ التقديرات الفرديّة، ولو كانت بحسن نية؛ فأمر الأُمّة والدولة لا يستقيم إنْ لم يكن فيها رأي مطاع، وقائد تستجيب الجموع لأمره. ومِن عِبَرَ حادثة الأحزاب، أنّه متى تكالب الأعداء على الأُمّة وقد أخذت كامل أهبتها، ولكن موازين النصر المعهودة بعيدة جدّ بعيدة؛ فإنّ لله جنودًا يحقّقون نصره لعباده بما لا يحتسبون، وعِبَرَ أخرى يأتي الحديث عنها إنْ شاء الله، وهكذا في بقيّة أحداث السيرة.

٢. **الانتقال بالحدَث من الخصوص إلى العموم**؛ فالحدَث الذي ترويه كتب السيرة يبقى مجرّد حدث مرتبط بزمانه ومكانه وأشخاصه، لكنه عندما يُروَى في القرآن الكريم يتحوّل إلى درس يتجاوز ظروف الحدث مكانًا وزمانًا وأشخاصًا إلى حيث يصبح قضية عامّة، ومبدأً يعامل به كل المسلمين في كل زمان ومكان متى تشابهت ظروفهم وظروف هذا الحدث الخاص؛ ومِن ذلك "**حديث الإفك**" الذي انتقل به القرآن الكريم من الوقوف أمامه كحدث بعينه في ظروف خاصّة، إلى اعتباره قضية من قضايا صيانة عرض المسلم، ووجوب توفير الحماية له، واعتبار إشاعة الفاحشة في مجتمع المسلمين أو النَّيل من أعراض المحصنات الغافلات بغير دليل يقينيّ – هو أربعة شهود عدول – من الأمور الخطيرة عند الله التي يجب اعتبار فاعلها من المفسدين في المجتمع الإسلام الذي تجب حمايته منهم في الدنيا بالحدّ، وفي الآخرة بالوعيد الشديد،

---

(١) صحيح مسلم (١٧٦٣).

على نحو ما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٥ - ١٩]. إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٢ - ٢٥]. فهذا التفصيل الدقيق المقرون بالتقييم والتوجيه، وتحديد التبعات والعلاقات بين الناس في مجتمع الإسلام، يجاوز فيه النصّ القرآني بالحدث ما وقفت عنده كتب السيرة ليصبح الحدث في ذاته مجرد مثل أو نموذج يحدد القرآن سماته ويضع له حدوده وأحكامه.

ومن الأمثلة كذلك على انتقال القرآن الكريم بالحدَث من الخصوص إلى العموم؛ **ما قصَّه الله ﷻ علينا مِن واقعة المجادِلة التي جاءت تشتكي زوجها**؛ فانتقل بها النصّ القرآني من بُعْدِ الحدث الخاصّ إلى قضيّة تشريعيّة عامَّة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١ - ٤].

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]؛ الذي انتقل به القرآنيّ مِن السياق الخاصّ في بعض نفرٍ عَلِمَ النبي ﷺ إيمانهم، فهَمَّ بالانصراف عنهم رغبةً في دعوة بعض الكبراء إلى الإسلام الذين أشاروا بطردهم؛ إلى السياق العامّ في كلّ مَن كانوا على شاكلتهم، في سياق عامٍّ لا تَحُدُّه أسماء ولا يَضِيق به زمان دون زمان.[١]

٣. **امتياز العرض القرآني بالأسلوب والبيان المعجز الذي تكتسب الكلمات والجمل فيه حيوية دفّاقة**؛ تجسّم الحدَث وتحيطه بالإيحاءات والظلال، وتنقل القارئ والمستمع إلى جوّه كأنّما يعيش أو يشارك فيه، وذلك ما لم يتوفّر ولن يتوفّر لأيٍّ من كتب السيرة في القديم والحديث. ومن الأمثلة على ذلك تصوير ما كان عليه المسلمون يوم بدر (رمضان ٢هـ): ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم

(١) راجع: صحيح مسلم ٤٦ - (٢٤١٣).

بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ * إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الآيات [الأنفال: ٩ - ١٢]. وما كان عليه المسلمون كذلك يوم الأحزاب (شوال ٥هـ): ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]. ومِن ذلك التصوير القرآني لبعض أحداث غزوة تبوك (رجب ٩هـ): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، ومنه تصوير توبة الثلاثة الذين تخلَّفوا عن هذه الغزوة: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

٤. انفراد القرآن الكريم بالنفاذ إلى البواطن والضمائر، واستخراج ما تكنّه مِن خفيّات؛ فلإنْ وقفت كتب السِّيَر والتواريخ عند تسجيل الأحداث والتصرُّفات الظاهرة للعيان؛ فإنَّ القرآن الكريم بما له من صفة الإلهيَّة؛ ينفذ إلى الأعماق والنفوس، ويستخرج الكامن مِنها؛ مِن ذلك قول الله ﷻ لنبيّه ﷺ في سياق تحريم التبنّي: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ...﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]. وكما في حديث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن المنافقين وكشف حقيقة مواقفهم مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ مِن ذلك تعذّرهم عن التخلُّف عن رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب بأنَّ بيوتهم عورة، فقال تعالى:﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [الأحزاب: ١٣]. ولقد كشف القرآن الكريم ما عليه المنافقون من الحذر أنْ يُنَزِّل الله ﷻ على المؤمنين سورة تفضحهم وتعرِّي دواخلهم وتكشف ما تضمره قلوبهم: ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٤]. قال مجاهد: "**يَقُولُونَ القَوْل فِيمَا بَينهم، ثمَّ يَقُولُونَ: عَسى الله أَن لَا يفشي علينا هَذَا**". وعن قتادة، قال: "**كانت هذه السُّورة تسمَّى: الفاضحة، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة؛ لأنها أنبأت بمثالبهم وعوراتهم**".(١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم ط. مكتبة نزار ١٤١٩هـ (٦/ ١٨٢٩)،الدر المنثور ط. دار الفكر(٤/٢٢٩). وانظر: السيرة النبوية في القرآن الكريم،د.عبد الصبور مرزوق،ط.الهيئة العامّة المصرية للكتاب(ص١٨-٢٠، ٢٨-٣١).

المبحث الثاني

التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية

هذا المبحث يُقَدِّم نموذجًا لمعالجة القرآن الإيمانية التربوية من خلال تناول السيرة النبوية، وقد آثرنا أن يكون النموذج مصنوعًا من مثالين:

الأول: حدث كامل من أحداث السيرة النبوية، وكيف عالجه القرآن وثبّت فيه معالم التربية الإيمانية.

الثاني: أخلاق قرّرها القرآن في أكثر من مناسبة وهو يعالج حدثًا مِن الأحداث أو واقعة من الوقائع في زمن النبوّة.

المثال الأول

المعالجة القرآنية التربوية لحدث كامل من أحداث السيرة النبوية

(غزوة الأحزاب)

الآيات التي تحدثت عن غزوة الأحزاب معظمها في سورة الأحزاب؛ حيث بلغت آيات الغزوة في هذه السورة تسعًا وعشرين آية، من الآية التاسعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب: ٩] إلى الآية السابعة والعشرين: ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

جريًا على سنن القرآن في معالجة أحداث السيرة؛ حيث لا يحتفل بذكر التفاصيل، ودقائق مجريات الأحداث، وإنما يعمد لمعالجة الحدث من خلال أبعاده الإيمانية،

ومناحيه الأخلاقية، وخلجات النفس البشرية وهي تتقلب في صروف الحدث؛ فتتنازعها المشاعر المتعددة، والحسابات الكثيرة، والعلاقات المتشابكة، والآمال المقبلة؛ فيعود الحدث بهذه المعالجة القرآنية مدرسة تتعلَّم منها الأجيال، لا كتاب تاريخ يَلتذّ بقراءته المؤرخون والمثقفون والهواة.

ينتقل الحدث في السياق القرآني من ظرفه التاريخيّ، وواقعه الجغرافيّ، إلى منارات تسوق النفس البشريّة إلى دروب الرشاد، ومواطن الحق؛ خاصّة وأنّ الأحداث في ساحة التاريخ تتشابه، والشخوص تتجانس، والغايات تكاد تكون صورة مُنْتَسَخَة من بعضها، فكأنّ حدث اليوم هو ذلك الحدث الواقع بالأمس.

غزوة الأحزاب كانت في (شوال ٥هـ)، وغزوة أُحد كانت في (شوال ٣هـ)؛ فبينهما عامان على التمام والكمال؛ أصاب المسلمين في أُحد ما أصابهم مما هو معلوم؛ فقُتِل مِن خيارهم مَن قتل، وظهرتِ الشّماتةُ مِن أعدائهم جرّاء ما نالوا مِن أهل الإيمان. وبين أُحد والأحزاب مرارات ذاقها المؤمنون؛ ففي أواخر سنة ثلاث - أو أربع على خلاف بين كُتَّاب السيرة - قدم على النبي ﷺ قومٌ مِن عَضَل والقارَة المضريَّين، وذكروا أنّ فيهم إسلامًا، وسألوه أنْ يبعث معهم مَن يُعلِّمهم الدِّين، ويُقرِئهم القرآن؛ فبعث معهم نفرًا من أصحابه لا يتجاوزن العشرة، فمكروا بهم وقتلوهم وقتلوا آخرهم - خُبَيْب وزَيد بن الدَّثِنَة - صبرًا بمكة(١).

(١) انظر: سيرة ابن هشام ط. مكتبة الحلبي (١٦٩/٢ - وما بعدها)، الروض الأنف، ت: عبد الرحمن الوكيل (١٨٣/٦ - وما بعدها).

وفي شهر صفر من السنة الرابعة كانت وقعة (**بئر مَعُوْنَة**)[1] التي تعرف بـ: (**سريّة القُرّاء**) وكانت مع بني رِعْلٍ وَذَكْوَانَ [2] قِبَل نَجْدٍ، ذهب ضحيتها سبعون رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ في قصةِ غدرٍ أخرى كان رأسها المدبِّر أبا براء عامر بن مالك، ملاعب الأسنَّة. إنّه لَكَلْم على كَلْم، ووجع على وجع، وجرح على جرح؛ فكانت هذه النفوس المؤمنة أشدّ ما تكون حاجة لمن يأسوا جراحها، ويُسَرِّي عنها ما أَلَمَّ بها، ويُذَكِّرها بسُنّة الله في تدافع الحق والباطل، ومن يدري فلعلّ في مستقبل الأيام كربة، ولعل ذلك سبب نزول الآية من سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. **وهذه الآية تضع المسلم بين حقيقتين؛ حقيقة** أنّ درب الحق محفوف بالمكاره، مفروش بالأشواك، مليء بأهل الأهواء والضلالات الذين يقدِّمون في سبيل الله ضلالاتهم الكثير والكثير من النفس والمال والجهد، **وحقيقة** أن نصر الله قريب من أهل الإيمان متى استمسكوا بدينهم، وذادوا عن عقيدتهم، وعمرت قلوبهم بيقين النصر من ربهم؛ أمّا **الحقيقة الأولى** فتُرَبِّي على الصبر، **والحقيقة الثانية** تُربِّي على اليقين؛ فالصبر يهّون مرارة الحاضر، واليقين يَعِدُ بحلاوة المستقبل، وبينهما سير المؤمن بكل عزة وثبات.

---

(١) (**بئر معونة**): قال ابن إسحاق: بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم. معجم البلدان لياقوت (٣٠٢/١).

(٢) انظر: مغازي الواقدي ت: مارسدن جونس ١٤٠٩هـ (٣٤٦/١)، فتح الباري (٣٧٩/٧ - ٣٨٠)، المواهب اللدنية للقسطلاني (٢٦٠/١)، تاريخ الخميس (٤٥٤/١، ٤٧٥ - ٤٧٦).

على أن هاتين الحقيقتين ليستا حالة خاصة يخاطَب بها محمد ﷺ وصحبه، ولكنها سنة الله في عباده المرسلين وأتباعهم من المؤمنين، وذاك ينفي الإحساس بوحشة التفرُّد، ويوجِد الأُنسَ بالانخراط في قافلة أهل الإيمان على مدار التاريخ، ويزيده اطمئناناً بحصول الموعود.

ولقد كان لهذه الآية أثرها العظيم في ثبات أهل الإيمان في كرب الأحزاب، واطمئنانهم إلى نصر الله في ساعة الحرج والضيق -كما سيأتي إن شاء الله-.

أمّا آيات سورة الأحزاب؛ فترسم حدث الأحزاب في مقاطع حافلة بالتوجيهات الإيمانيّة، والمعاني التربويّة، أكثر من اشتمالها على على إحصاء جامدٍ للأحداث، أو تفصيلات للوقائع لا يتسع لها المقام القرآنيّ..

المقطع الأول :

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب٩ - ١١].

تحمل هذه الآيات أمر الغزوة من أوّلها إلى آخرها؛ لتكثِّف فيها معنى الرعاية والحفظ من الله للجماعة المؤمنة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

فالله يسبغ نعمته عليهم بعد أنْ تحزّب عليهم النّاس؛ فيفكّ عنهم هذا الحصار، ويزيل عنهم هذا الكرب بسببٍ من عنده؛ فيرسل رِيْحًا عاتية[1]؛ لا تدع قِدْرًا إلّا كفأته، ولا خيمة إلّا اقتلعتها، وهي تحمل البرد القارس، مع عتوٍّ في حركتها، وصفيرٍ في هبوبها يولِّد الفزع، ويُذْكِي الخوف، ويَزرعُ الرهبة[2].

وهناك جنود الرحمة من الملائكة؛ يزرعون في نفوس هذه الأعداء الخوف والرعب والهلع والفزع، مع أنهم أكثر عددًا وأوفر عُدَدًا؛ فهم عشرة آلاف، ومحمد ﷺ وصحبه رضي الله عنهم لا يجاوزون ثلاثة آلاف[3].

وإذا كان معنى الالتجاء إلى الله ، والتوكُّل عليه، والثقة به ؛ مراد تقريره في النفوس من خلال هذا السياق القرآني؛ فإنّ الله لم يهمل ذِكر العمل، والمعاناة التي عاناها رسول الله ﷺ وصحبه ؛ حيث عملوا ما يستطيعون ، وكافحوا غاية ما يقدرون، واحتالوا على العدو بكل ما يعرفون من أنواع الكيد والتخطيط ؛ فهم قد دبّروا مكيدة الخندق عندما سمعوا بتوجُّه تلك الجموع إليهم، فحفروا خندقًا بعُمقٍ "يصعب على العدو أنْ يَخرَج منه لو هبطه ، واتِّساعٍ يصعب على خيل المشركين

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**». صحيح البخاري (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، صحيح مسلم ١٧ - (٩٠٠).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ت: عبد المعطي قلعجي ١٤٠٥هـ (٤٤٨/٣)، سبل الهدى والرشاد للصالحي، ت: عادل عبد الموجود، علي معوض (٣٨٦/٤ - ٣٨٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥٧٣/٦).

(٣) سيرة ابن إسحاق (ابن هشام ٢١٩/٢ — ٢٢٠)، مغازي الواقدي (٤٤٤/٢)، الطبقات الكبير لابن سعد ط. دار صادر (٦٦/٢). وقيل: كان المشركون أربعة آلاف، والمسلمون نحو الألف. حكاه ابن حجر في فتح الباري ط. دار المعرفة - بيروت (٣٩٣/٧).

قفزه"[1]، جعلوه بينهم وبين أعدائهم فيما سهل من الأرض، وأسندوا ظهورهم إلى جبل سَلْع، وحرسوا منطقة القتال ليلًا ونهارًا كلما رأوا من الأعداء محاولة للاقتحام صدُّوهم ورشقوهم بالنبل على مدى خمس وعشرين ليلة.

هذه الأعمال لم تذهب سدى، بل هي ببصر الله وعلمه: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩]. كل ذلك ليجمع المؤمن بين الثقة بربه، وبذل غاية ما يستطيعه من العمل؛ فالثقة بالعمل غرور، وترك العمل غفلة، ولن ينصر الله مغرورًا ولا غافلًا.

ثم ترسم الآية الثانية والثالثة الجو العام لأمر الغزوة: ﴿ **إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا** ﴾[الأحزاب: ١٠، ١١].

وهو جو الهول الفظيع الذي يرتسم في صور ثلاث؛ واقع العدو المادي، وصورة أثره على ظاهر البدن، وصورة أثره على باطن النفس.

أمّا الواقع المادي، فتلك الجموع التي يقودها أبو سفيان بن حرب ومعه قريش ومن تبعه من بني كنانة وأهل تِهَامة والأحابيش، وعُيينة بن حصن ومعه غطفان،

---

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ط. دار مكّة - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ (ص١١٤).

وفي تقدير طول وعرض وعمق الخندق خلاف؛ فقيل: إنّ طوله: (٥,٠٠٠) ذراع، وعرضه (٩) أذرع، وعمقه من (٧) أذرع إلى (١٠). انظر: السيرة النبوية للندوي دار ابن كثير — دمشق، ١٤٢٥هـ (ص٣٤٨)، السيرة النبوية الصحيحة للعمري ط. مكتبة العلوم والحكم — المدينة المنورة ١٤١٥هـ (٢/٤٢١). **وقيل**: طوله: (٥٥٤٤م)، متوسط عرضه: (٤,٦٢م)، متوسط عمقه: (٣,٢٣٤م). أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ط. دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق. ١٤٢٣هـ (ص١٣٧). **وقيل**: طوله (٢٧٢٥م) بشكل قوس منفرج؛ مِن نهاية الحرّة الشرقية عند أجمة الشيخين شرقيّ ما يُعرَف به الآن بمسجد المستراح حتى ثنية حرّة بني سلمة إلى الشرق من القبلتين. الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين لمحمد غالي الشنقيطي، عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ص٢٠٢ - ٢٠٤).

والحارث بن عوف ومعه بنو مُرَّة، ومِسْعَر بن رُخَيْلَة ومعه أشجع، وإنْ شئتَ قُلتَ جزيرة العرب كلها نَجْدَها وتِهامتها - إلّا اليمن - قد تكالبت فرمت جماعة المؤمنين عن قوس واحدة بعد أنْ أفلحت دعاية اليهود ومكرهم في جمعهم لحرب المؤمنين - وتلك ثمرة مُرَّة لدهاء بني النضير الذين أجْلوا إلى خيبر فزيّنوا لقبائل العرب هذه الفعلة الشنيعة -، وهؤلاء هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

ولكنْ هناك أقوام أقل عددًا، ولكنّهم أشرس وأعظم أثرًا، إنهم أعداء الداخل، وهم طائفتان؛ طائفة المنافقين وطائفة اليهود المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠].(١)

وإنما نقول إنَّ هاتين الطائفتين أشرس وأخبث، وأشدّ وأنكى؛ لأننا نجد أنّ قبائل العرب أُجْمِل ذكرهم في آية واحدة بل بعض آية، وفصّل الله ذِكْرَ المنافقين واليهود في أحد عشر آية.

كل ذلك لنتعلَّم أنّ أعداءنا الخارجيّين لنْ ينالوا مِنَّا غاية ما يبتغون إلّا في حال تفكُّك جبهتنا الداخليّة بمن نثق بهم وليسوا أهلًا لثقةٍ، أو نحسن الظنّ بهم وهم لا يستحقُّون، أو نعاهدهم ولا يفون؛ فليكن الحذر من هؤلاء مثل الحذر من الأعداء الخارجيّين إنْ لم يكن أشدّ وأكثر.

---

(١) هذا أحد القولين في تفسير الآية، وفي سيرة ابن إسحاق (ابن هشام ٢/٢٤٦) - ومن طريقه ابن جرير في تفسيره ط. دار هجر (١٩/٣٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٤٣٦) من طريقين أحدهما طريق ابن إسحاق - وكذلك في مغازي الواقدي (٢/٤٩٤) أنّ الذين جاؤوا مِن فوق، هم: بنو قريظة، والذين مِن أسفل: قريش وغطفان.
انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٥، ٢٤٥)، مغازي الواقدي (٢/٤٩٤)، دلائل النبوة (٣/٤٣٦)، جوامع السيرة لابن حزم ت: إحسان عباس (ص١٨٦)، البداية والنهاية ط. دار هجر (٦/٣٤)، تفسير ابن كثير (٦/٣٨٨).

والصورة الثانية لهول ذلك الموقف في رسم آثاره على النفوس في الجوارح الظاهرة والباطنة:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

إنها صورة المفزوع الممتلئ خوفًا ورعبًا من أعدائه، ذاك غاية ما يكون من الكرب؛ فلا العين سكنت مِن تتابع لحظِها، ولا القلب سكن من خفقانه؛ بل كاد يطير فَزِعًا إلى الحنجرة يلتمس المخرج.

في تحقُّق الصور الثلاث؛ كانت البلوى للمؤمنين، ووقع الزلزال عليهم، قال محمد بن مسلمة: "كان ليلنا بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هُبَيْرَة بن أبي وهب يومًا، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يومًا، ويغدو ضِرار بن الخطّاب يومًا؛ حتى عظم البلاء، وخاف النّاس خوفًا شديدًا".

نعم، لم تقع معركة يتصاول الجيشان فيها القتال، وإن كانت هناك محاولات مستميتة لاقتحام ذلك الخندق الذي أصبح حجر عثرة بين قريش وأتباعها وما تريد، حتى إنهم في جملة من الأيام شَغلوا رسول الله ﷺ عن الصلوات؛ أيامًا صلاة، وأيامًا أكثر من صلاة؛ الظهر والعصر والمغرب، حتى صُلِّيَت صلاة النهار في الليل، فقال ﷺ حينئذٍ: **"شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارً "**.(١)

وإن تعجب فاعجب من هذه اللغة القرآنية الآسرة حين تصف هذا المشهد بالابتلاء، والابتلاء عادة ما يكون وسيلة لغاية. ولقد كان هذا الحدث في غاية النفع

---

(١) رواه البخاري (٤١١١)، ومسلم ٢٠٦ - (٦٢٨) واللفظ لمسلم.

لأهل الإيمان؛ فكان ابتلاء حسنت ثمرته، وزكى زرعه. كان ابتلاء كشف أهلَ النفاق، وفضح اليهودَ الخونة، ورَدَّ قُريشًا والأعراب المعتدية؛ فلم يعودوا لحرب محمد ﷺ إلّا لمامًا، بل كانت هذه الغزوة بداية الدائرة عليهم. ولذا فإن من أعظم ما يتعلّمه المؤمن أنْ يُبصِرَ الحِكَم الإلهيّة، واللُّطف الربانيّ؛ فيما يسوقه الله من الأحداث، ولا يقف عند ظواهر الأشياء، وإنّما يستكنه أسرارها، ويستنبط حِكَمها، ويستثمر فوائدها.

المقطع الثاني :

وخُصِّص للحديث عن أهل النِّفاق، وقد كان حديثًا عن أفعالهم، لكنّه في الوقت نفسه كان حديثًا عن مكنونات نفوسهم، ورؤاهم في المستقبل في مشاهد متتابعة.

المشهد الأول؛ كان رسول الله ﷺ وأصحابه يحفرون الخندق، فاعترضتهم صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، فشَكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَل، فقال: "**بسم الله**"، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: "**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا**"، ثم قال: "**بسم الله**"، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: "**الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا**"، ثم قال: "**بسم الله**"، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: "**الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا**".(١)

---

(١) رواه أحمد ط. الرسالة (١٨٦٩٣) من طريق ميمون أبي عبد الله، عن البراء بن عازب ﷺ، به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ط. مكتبة القدسي (١٣١/٦): "**رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات**". وحسّنه **ابن حجر** في فتح الباري (٣٩٧/٧). **وأصله في صحيح البخاري (٤١٠١) من حديث جابر** ﷺ، قال: "**إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: "أَنَا نَازِلٌ"، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ...**".

كانت هذه الحادثة عند أهل النفاق مصدرًا للتندُّر وبث الوهن في نفوس المؤمنين؛ كيف يَعِد محمد ﷺ هذه المواعيد، ونحن في حالة محصورة، لا يستطع الواحد منّا أنْ يعود إلى أهله ليقضي حاجته إلّا بعد أنْ يستأذن، فما هذه إلا مواعيد غرور، لا تستقيم على سُنَّة العقل، ولا تقبلها التجارب البشرية؟! ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [الأحزاب: ١٢].

المشهد الثاني؛ أقوام من أهل النفاق يهمسون أحيانًا، ويرفعون أصواتهم أحيانًا، يزعمون النصيحة، ويتدثّرون بالشفقة، ويتزيَّون بالمعرفة؛ يدّعون النفاذ إلى بواطن الأحوال، واستشراف المآلات؛ **وقد كذبوا والله في جميع ذلك، كما كذبوا في قولهم الصّادر من جبنهم وخورهم، وظلمة قلوبهم وعقولهم**: يا أهل المدينة! ليس بهذا المقام بمقام لكم، فلتدعوه؛ إذْ لا طائل فيه، ولا ثمرة له، ولترجعوا إلى منازلكم ودياركم؛ تسلموا ممَّن أنتم واردون عليه من القتل، وهلاك النفوس والديار.

وإذا كانوا هم يدعون إلى ذلك بأقوالهم، فهم يمارسونه بأفعالهم؛ بكثرة الاستئذان، واختلاق المعاذير، تحلُّلًا من المشاركة الفاعلة في حفر الخندق: ﴿ **وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ﴾ [الأحزاب: ١٣]. فالآية كما تكشف عن أفعالهم، فهي تكشف عن دواخلهم؛ فما بيوتهم عورة، وما هم محتاجون للاستئذان، وما بهم خوف على محارمهم وعوراتهم، ولكنه الفرار الذي يتذرعون إليه بالكذب.

وفي المشهد الثالث وصْف لدواخل تلك النفوس؛ فهؤلاء المنافقون معدودون من أهل الإيمان ظاهرًا، ولكن واقع أمرهم أنّ عقيدتهم واهنة ليست بصادقة، فهم يُظهِرون الإيمان، وتعتمل في دواخلهم عقيدة الكفر والشك؛ ولذا لو حصل لأهل الإيمان هزيمة، ودخلت جنود الشرك المدينة؛ لكانوا أسرع الناس إلى الردّة المعبَّر عنها بالفتنة، غير متلبِّثين ولا متردِّدين إلا قليلًا من الوقت، أو إلّا قليلًا منهم يتلبّثون شيئًا ما قبل أنْ يستجيبوا ويرتدُّوا، ثم يقدمون على هذه الفعلة الشنيعة: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾[الأحزاب: ١٤].

وفي المشهد الرابع تذكير بتاريخ هذه الفئة؛ فهؤلاء قوم لم تزل أقدامهم راسخة في النكول والنقض؛ فقد كان منهم في أُحد ما كان؛ حيث رجعوا بثلث الجيش عن رسول الله ﷺ، فلما أدركوا قبح فعلهم، وخافوا على أنفسهم؛ احتموا بعهود ومواثيق أنهم لن يعودوا لمثل تلك الأفعال، وسيكونون عونًا للمؤمنين على أعدائهم؛ فلمّا وقف الأعداء بالباب، نكثوا عهودهم ومواثيقهم، وعادوا لسوء صنعيهم: ﴿**وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا**﴾ [الأحزاب: ١٥].

وفي المشهد الخامس تكثيف الحديث عن المعنى التربويّ الذي يستفيده المسلم من موقف هذه الفئة : ﴿**قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب: ١٦]. الموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه، بل وفي موعده، لا يستقدم ولا يستأخر. ومِن الوهم الذي يمارسه من تغيب عنه هذه الحقيقة، أنْ يظنّ أنه حين يبتعد عن الثبات في موقف يجب عليه الثبات فيه، أنّ ذلك ينجيه من الموت، أو يقرّبه من السلامة؛ فما شأن المؤمن هكذا، ولكنْ شأنه الاستسلام لأمر الله، والطاعة له ولرسوله، والوفاء بالعهد مع الله في السرّاء والضرّاء،

وسيكون الموت أو القتل في ساعتة التي كُتِبَ فيها في اللوح المحفوظ. إنَّ الأمور بيد الله يجريها وَفْق الحكمة الربانية، ولا قوّة أعظم من قوّة الله، ولا مهرب ولا ملجأ من الله إلّا إليه، فلتستقرّ القلوب على الإيمان به، والتوكُّل عليه: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

والمشهد السادس في تعاملهم مع مَن لم يخرج بعدُ إلى موطن المعركة، ولكنه يحدِّث نفسه بالخروج؛ فهم يعوّقونه عن الخروج بالتخويف والتوهين، وأمّا مَن خرج فإنهم يستدرجونه ليعود، وذلك شأنهم الدائم؛ فهم لا يثبتون في مواقف الدفاع، ولا يشاركون في الحروب ولا يدعون أحدًا يشارك إلا اعترضوه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨].

وفي المشهد السابع وصف لدواخل تلك النفوس التي جبلت على الشُّحّ والبخل بكل صوره؛ فهم شحيحون بأنفسهم فلا يشاركون في قتال، شحيحون بأموالهم فلا يشاركون في نفقة، بل شحيحون حتى بمشاعرهم؛ فإذا حمي الوطيس، واشتدّ الخوف؛ انخلعت قلوبهم من أجوافهم، واستدارت أعينهم شأن الذي غشيه الموت؛ كأنهم يستدرُّون بهذا عطف أهل الإيمان. أما إذا ذهب الخوف وزالت الكربة، فتلك نفوس لئيمة أشدّ ما تتصوّره من اللوم؛ فلهم ألسنة كالحديد يَفْرُونَ بها أعراض المسلمين، ويقطّعون بها لحومهم، ويهتكون بها ستورهم. فهم شحيحون بكل خير، ولا غرو؛ فإنهم ليسوا من الإيمان في نقير ولا قطمير: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩].

ألَا يتعلَّم المؤمن أنْ يكون كريمًا لا شحيحًا؛ كريمًا بنفسه يبذلها لله نُصرةً وجهادًا وحضورًا في كل ميدان يحبّه الله، كريمًا بماله يبذله في مراضي اللهِ مِن جهادٍ وبذلٍ للمعروف، ورعاية لفقير أو مسكين، كريمًا بمشاعره وأحاسيسه، يألم لما يألم له إخوانه، ويأسى لما يأسون، ويفرح لما يفرحون، كريمًا في كل موطن ليظفر بكرم الله، لا شحيحًا فيعاقَب بخذلان الله.

وفي المشهد الثامن وصف لحالهم بعد أن زالت هذه الغمة وانكشفت تلك الملمة: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

هُم قومٌ ذَهَبَ الهلعُ بِهِم كل مذهب، حتى بعد أنْ انقمعَ الأحزاب عن المدينة، وقفلوا راجعين خائبين، لم يصدِّقوا بعدُ أنهم ذهبوا، فهم ما يزالون يرتعشون ويتخاذلون، فإنْ قاوموا هذا الخوف، فهم يودُّون مِن كلِّ أفئدتهم ألّا يكونوا في المدينة إن جاء الأحزاب مرة أخرى، بل يكونون في البوادي والصحاري، يتلقطون الأخبار عن محمَّدٍ ﷺ وصحبه، لعلهم يشتفون بخير تبرد به أفئدتهم الحرّى على المؤمنين، على أنهم لو كانوا فيكم وجاء الأحزاب مرة أخرى لن يقاتلوا إلّا قليلًا، وربما كان ذلك القليل ليخادعوا المسلمين أنهم منهم، أو ربما كان ذلك القليل في الدفاع عن ذواتهم إذا مسّهم الأذى المباشر.

على كلٍّ، هذه صورة ترسم الجبن والخوف في أجلى تجليّاته، وتكشف عن نفوس المنافقين في المجتمع المسلم. وإذا كانت هذه النفوس بهذه الدرجة المليئة بالخوف والجبن، فحريّ بأهل الإيمان ألّا يَعُدُّوهم نصيرًا، ولا يعتبروهم ظهيرًا؛ فتبًّا لهم وتعسًا فليسوا ممَّن يُبالَى، بل هم إلى الضُّر أقرب، وبالخذلان أحقّ وأولى، إنّما ينتصر الحقّ بالمؤمنين الصّادقين، وسيأتيك خبرهم بعد حين.

أما المقطع الثالث :

فعن رأس هذه الأُمَّة ومُقدَّمها (رسول الله ﷺ) قائدها إلى كل خير، ودليها على كل فضيلة، وأوّلها إلى كل معروف وإحسان؛ أشجعها قلبًا، وأثبتها موقفًا، وأعظمها يقينًا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ربما كان سبب الاختصار في هذا المقطع، أنَّه ﷺ كان صفحة مكشوفة يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ فهم لا يحتاجون أنْ يحدثوا بتفاصيل عن نفسه؛ فنفسه كفعله، وفعله كنفسه، وإنما يحتاجون إلى حثٍّ وتأكيد؛ لاتخاذه أُسوة يتأسَّون بها، وقدوه يتبعونها.

هو ﷺ أسوة لأصحابه في المساواة؛ ها هو يشاركهم العمل؛ يحفر كما يحفرون، وينقل التراب كما ينقلون، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، حتى يغطي التراب بطنه الشريف من كثرته(١)، ويردِّد معهم الأهازيج:

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

"اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ * فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ"[1]

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَـا * وَلاَ تَصَدَّقْنَـا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْـزِلَـنْ سَكِينَةً عَلَيْنَـا * وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَـا[2]

كم هي السعادة، وكم هو اليقين الذي يعمر قلوبًا ترى قائدها ينخرط في عملٍ يأمرها به؛ لا يُحسِن صناعة التمثيل، ولا يستنكف عن المشاركة في العمل.

هو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في الثقة بالله، واليقين بموعوده؛ يضرب الصخر فيريه الله العلامة المفرحة لأُمَّتِه؛ فيكبِّر بأعلى صوته تكبير الفتح، ويقول لهم: أبشروا. ولقد امتلأت سيرته صلوات الله وسلامه عليه بهذه الثقة في الله في أشدِّ الحالات حلكة واسودادًا، وهكذا شأن المؤمن، لا تزيده الشدائد إلّا ثقة بربه، فهو يعرف أنّ تلك الشدائد تغسل منه أوضارًا، تحول بينه وبين أن يكون نفسًا نقيّة تستحق النصر.

هو أسوة صلوات الله وسلامه عليه حينما يغرس في أُمَّتِه مبدأ الاستشارة؛ فلا يقطع أمرًا دونهم؛ بل ينزل على رغبتهم وما يشيرون به، لا يتعذّر عن ذلك بدعوى أنّه نبي، ولا يستنكف عن ذلك برؤية أنه أكثر خبرة، وأحدّ حُنْكَة، وأبصر بمواقع الأمور. ومِن ذلك ما كان منه ﷺ مِن شأن حفر الخندق[3] وكان الذي أشار بذلك

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٣٤)، ومسلم ١٢٨ - (١٨٠٥) من حديث أنس ﷺ.

(٢) صحيح البخاري(٢٨٣٧، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦، ٦٦٢٠)ومسلم ١٢٥ (١٨٠٣)من حديث البراء.

(٣) ولأهمية حفر الخندق سُمِّيت غزوة الأحزاب به، وبوّب البخاريُّ في كتاب المغازي: "**باب غزوة الخندق وهي الأحزاب**"، ثم أخرج (٤١٠٦) حديث البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، قَالَ: "**لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ...**".

سلمان الفارسيّ ﷺ فيما ذكر أصحاب المغازي(١)، وعدوله ﷺ عن الصُّلح مع غَطَفان بعد استشارة سَيِّدَي الأنصار.(٢)

وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في قوة الاتصال بربّه؛ فقدكانت ليالي الخندق معمورة بالصلاة والدعاء كما دلَّ عليه خبر حذيفة ﷺ(٣)، **كثير الشكر لربّه على ما يصرفه عنه من كيد أعدائه؛ فكَانَ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ".**(٤) والأحزاب هنا في المشهور هي الطوائف التي تحزَّبت عليه ﷺ(٥).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٢٤)، الروض الأنف (٦/٣٠٦)، السيرة النبوية لابن حبان ط. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ (١/٢٥٥)، فتح الباري (٧/٣٩٢ – ٣٩٣).

(٢) روى ابن إسحاق في المغازي (سيرة ابن هشام ٢/٢٢٣) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٤٣٠) أنّ النبي ﷺ لما اشتدّ البلاء، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في الصلح مع غطفان، فممّا قال لهما: "**والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم**". ورواه الطبراني في المعجم الكبير ت: حمدي عبد المجيد السلفي (٦/٢٨-٢٩) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه، قال الهيثمي في المجمع (٦/١٣٣): "**فيه: محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات**".

(٣) وفيه: "**لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصَلَّى رسولُ الله ﷺ من الليل هَوِيًّا**...". أخرجه أحمد (٢٣٣٣٤) والطبري في تفسيره (١٩/٢٦). و(**الهَوِيّ**): بالفتح: **الحين الطويل من الزمان. وقيل: هو مختص بالليل**. النهاية (٥/٢٨٥).

(٤) صحيح البخاري (١٧٩٧) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) انظر: البداية والنهاية (٦/٦٧ – ٦٨)، فتح الباري (١١/١٩٠).

وهو أسوة ﷺ لأصحابه في الرحمة والشفقة، فحين رأى جابر رضي الله عنه مخايل الجوع على وجهه ﷺ عاد إلى امرأته لتصنع طعامًا للرسول ﷺ، فما وجدَت غير طعام قليل يكفي للنبي ﷺ ونفر قليل، فأتاه جابر يخبره بما صنعت زوجته له من الطعام، فيصيح ﷺ في الناس: تعالوا إلى طعام جابر. نعم إنه طعام صنع له وحده، فإن يكن معه أحد فليكن نفرًا قليلًا؛ لكن ما كانت تلك النفس الرحيمة تستطيع أن تضع لقمة في فيها وأصحابه يعانون من الجوع ما يعانون.. أنَّى للنفوس الشريفة أن تستسلم للاستئثار فتعود من نفس أمة إلى نفس رجل واحد. وقد أكرم الله صاحب الكرم بالبركة في ذلك الطعام القليل، فأكلوا وشبعوا، وتركوا لأهل البيت ما يزيد عن حاجتهم، بل يقسمونه على الناس.(١) والمواساة أصل في ديننا، خُطَّة شرعها لنا النبي ﷺ بفعله

(١) أخرج البخاري (٤١٠٢) ومسلم ١٤١ – (٢٠٣٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ**»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ".

و(**السُّور**) بضم السين وإسكان الواو غير مهموز، لفظة فارسية، معناها: الوليمة والطعام الذي يُدعَى إليه. انظر: جامع الأصول ت: عبد القادر الأرناؤوط (٣٥٥/١١)، النهاية ت: الزاوي، الطناحي (٤٢٠/٢)، شرح مسلم للنووي ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٤٧هـ (١٣/ ٢١٦).

وقوله، بل قد تفرض المواساة إجراءات تدبيرية تسلب الفرد بعض الحرية في حقوقه لما تبتغيه من تحقيق معنى الأخوة في الواقع؛ **كما في نهيه ﷺ عن ادّخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث من أجل الفقراء الذين نزلوا بالمدينة**[1].

وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في تدبير أمر الحرب؛ يحسن سياستها، ويعدّ لها عدّتها، فاختار موقع المعركة، ووضع التدابير الوقائية من كيد العدو، ونظم جنده في موقع حريز؛ فظهورهم محميّة بالجبل، ووجوههم محميّة بالخندق، وهم لا يهدؤون ليلًا ولا نهارًا؛ يحرسون الموقع ويكافحون الأحزاب حتى لا يصيبوا غرّة بل إنه يبعث من يكشف له عن حال عدوه طلبًا لتوافق التدبير مع الكيد من العدو والتخطيط.[2] على أنه ومع صلابته وقوته وإعداده للأمر عدّته، لا يمتنع من أن يبحث عن منفذ ينفس به عن أصحابه، ويدرأ به عنهم خطر الحرب؛ فالحرب في تعليماته ﷺ ليست هدفًا في ذاتها، بل هي مكروهة جدّ مكروهة، إلا في حالة الاضطرار، وخاصّة إذا كان في العدو قوة ظاهرة، وأعظم ما يكون في رد قوة العدو إيجاد الفرقة في صفّه، وغرز الشكّ بين فئاته؛ إنْ بالرغبة وإن بالرهبة؛ وكلاهما استعمله ﷺ في هذه الغزوة؛ أمّا الرغبة فتلك التي سلكها مع غطفان حين راوضهم على أن يأخذوا ثلث

---

(١) روى مسلم ٢٨ - (١٩٧١) من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَاقِدٍ، قَالَ: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ**»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ، فَقَالَتْ: صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ادَّخِرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ**»، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا**». وروى البخاري (٥٥٦٩)

(٢) **مِن ذلك ما كان منه ﷺ مِن بعث العيون والطلائع لكشف خبر العدو**؛ كما في بعْث الزُّبير عند البخاري (٣٧٢٠)، وبعْث حذيفة رضي الله عنه عند مسلم ٩٩ - (١٧٨٨).

– وفي بعض الروايات: النصف – ثمار المدينة تلك السنة، على أنْ يعودوا إلى ديارهم، ويتركوا قريشًا وما أرادوا. ولقد سال لعاب غطفان لهذا الإغراء، وأبدوا الموافقة عليه، بل إنّ بعض الروايات جاء فيها أنه قد كتب الكتاب، ولكنه كتاب مراوضة لم يُشهد عليه، ولم يُعزم عليه العزيمة التامة؛ انتظارًا منه ﷺ لرأي أصحابه، وقد كادت تتم الخُطَّة لولا إباء السَّعدين –سعد بن معاذ وسعد بن عبادة– لها، فإنهما لم يستمرئا أن يكون للأعراب الذين كانوا لا يفرحون بشيء من ثمار المدينة إلا بِشِرًى أو قِرًى أنْ يحصلوا على ما يبتغون بغير ذلك؛ على أن هذه الخُطَّة –لو تمت– تحمل في طيّاتها قَدْرًا من الاستسلام والذُّلّ لمن أعزّهم الله بالإسلام ورفع عنهم ذل الجاهلية، فكيف يحصل لغطفان في وقت عزة الأنصار ما لم يحصل لهم في وقت شركهم، وإنما الإسلام يزيد أهله ولا ينقصهم[1].

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٨) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: "**حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ**"، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: "**إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ**"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرًى، أَوْ قِرًى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٣٣) "**فيه محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات**". وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٩٧١) من طريق أبي معشر، قال: "جاء الحارث بن عوف، وعيينة بن حصن، فقالا لرسول الله ﷺ عام الخندق: نكف عنك غطفان، على أن تعطينا ثمار المدينة، قال: فراوضوه حتى استقام الأمر على نصف ثمار المدينة ....". وفي سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٣) أنَّ النبي ﷺ أعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفان، ثلث ثمار المدينة على أنْ يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك ....". إلخ. وانظر: الروض الأنف (٦/٢٧١).

وأما الرهبة، فكانت في تلك الخطة العجيبة التي دبّرها نعيم بن مسعود بإشارة منه ﷺ بتفريق صف الأحزاب وقريضة الناكثة في قصة يكبر فيها المرء دهاء نعيم، ولقد أفلحت تلك الخُطَّة، فزرعت الشكّ بين الفريقين، وفتَّت الصفَّين بإذن الله(١).

وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في معاملة الكاشحين بالعداوة، الناقضين للعهد من اليهود الآتي ذِكرهم؛ فهو صلوات الله وسلامه عليه رحيم جدّ رحيم، لكن

---

(١) قال ابن إسحاق: حدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، ولم يعلم بي أحد من قومي، فمرني أمرك، فقال له رسول الله ﷺ: "**إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنّا ما استطعت؛ فإنما الحرب خدعة**"، فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، فقال لهم: يا معشر قريظة! – وكان لهم نديمًا في الجاهلية– إنِّي لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك، فقالوا: صدقت، فقال: تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وإنَّ قريشًا وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل، فلا طاقة لكم به، وإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوهم، حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، تستوثقون به منهم أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمّدًا، فقالوا له: لقد أشرت برأي ونصح. ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال: يا معشر قريش! إنكم قد عرفتم وذي إياكم، وفراقي محمّدًا ودِينه، وإني قد جئتكم بنصيحة، فاكتموا عليّ، فقالوا: نفعل، ما أنت عندنا بمتَّهَم، فقال: تعلمون أن بني قريظة من يهود، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد. فبعثوا إليه ألَا يرضيك عنّا أن نأخذ لك من القوم رهنًا من أشرافهم، وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك عليهم، حتى تخرجهم من بلادك؟ فقال: بلى! فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرًا من رجالكم، فلا تعطوهم رجلًا واحدًا واحذروا. ثم جاء غطفان، فقال: يا معشر غطفان! قد علمتم أني رجل منكم: قالوا: صدقت. فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش، فلما أصبح أبو سفيان، وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ، بعث إليهم أبو سفيان بن حرب عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش، إنّ أبا سفيان يقول لكم: يا معشر يهود! إنّ الكراع والخف قد هلكا، وإنّا لسان بدار مقام، فاخرجوا إلى محمد نناجزه، فبعثوا إليه: إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمّدًا، فقال أبو سفيان: قدْ والله حذرنا هذا نعيم، فبعث إليهم أبو سفيان: إنّا لا نعطيكم رجلًا واحدًا، فإن شئتم أن تخرجوا، فتقاتلون وإن شئتم فاقعدوا، فقالت يهود: هذا والله الذي قال نعيم، والله ما أراد القوم ألا يقاتلوا معهم، فإن أصابوا فرصة، انتهزوها، وإلا مضوا فذهبوا إلى بلادهم، وخلوا بيننا وبين الرجل فبعثوا إليهم، إنا والله لا نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنًا، فأبى أن يفعل؛ فبعث الله الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان وجنوده التي بعث، فخذلهم الله. دلائل النبوة للبيهقي (٤٤٥/٣)، سيرة ابن هشام (٢٢٩/٢ – ٢٣١).

حين يصل الحال إلى موقف تستأصل فيه بيضة الإسلام، ويستباح فيه حماه، فلا هوادة حينئذ، ولتنل كل نفس عقوبة جنايتها، فسيان في ميزان الدين والعقل من حيث سوء التدبير أن توضع العقوبة في مواطن الرحمة أو توضع الرحمة في مواطن العقوبة.

المقطع الرابع:

في وصف حال أهل الإيمان: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٣].

أولئك الذين أنزل الله لهم قبل عام سُنَّته في أوليائه وكيف يتعهّدهم بالتربية والرعاية من خلال ما يسوقه إليهم من الأحداث ليصفِّي تلك النفوس ويستخرج منها ما ليس لله، وليمحِّص صفوفها لتنفي المتعلقين الطامعين والهزالى الخوارين الذين لا يستقيمون على المبادئ إلا بمقدار ما تحقق لهم من نفع أو تدفع عنهم من مكروه، ذاك الوعد هو ما جاء في **سورة البقرة**: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

لقد وعت هذه القلوب المؤمنة ذلك الدرس جيِّدًا، فهاهم يُزَلزَلون، وتأتيهم الأحزاب مِن فوقهم ومن تحت أرجلهم، إذًا فنصر الله قريب، وفرجه سريع، ووعده حقّ لا مرية فيه. ولا تنافي بين ما تقرره هذه الآية، وما سبق في وصف الكرب والخوف؛ فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ "ناسًا من البشر؛ لا يملكون أن يتخلصوا

من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوبًا منهم أنْ يتجاوزا حدود جنسهم البشري، ويفقدوا خصائصه ومميزاته. خلقهم الله ليبقوا بشرًا، لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجرًا، كانوا ناسا من البشر يفزعون ويضيقون بالشدة ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، لكنهم كانوا مع هذا مرتبطين بالعورة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل وتحرسهم من القنوط".(١)

والدرس الإيماني الذي ينبغي أنْ نستفيده، أنَّا إنْ ضعفنا مرة، وزُلزلنا مرّات، وتفوّق علينا أعداؤنا بالعُدَّة، أو فاقونا بالتدبير، أو أحكموا علينا الخطة؛ فعلينا أنْ لا نفقد الثقة في ربنا وديننا وأنفسنا، ونعتقد أننا لم نعد نصلح لشيء أبدًا؛ علينا أنْ نَعُود لربِّنا؛ نستمسك بديننا، وندافع عن عقيدتنا في غير توانٍ ولا كسل، وسيحقِّق الله لنا ما وعدنا؛ فإنَّ وعده حق وصِدق.

هذه الكُرَب التي تنزل بأهل الإيمان، يسوقها الله ﷻ لحِكَم عظيمة، لا ينجح فيها إلّا الصادقون، فيصطفي الله من عباده أقوامًا يرفعهم إليه، ويكرمهم لديه، ويدَّخِر أقوامًا ليقودوا سفينة الإسلام إلى مواطن أخرى، وبيئات أخرى، ونجاحات أخرى. ومن ذهب إلى الله وهو بهذه النية فهو صادق، ومن أبقاه الله وهو بهذه النية فهو صادق. الذين ذهبوا في معركة الخندق لا يصلون إلى عشرة في أكثر التقادير؛ ذهبوا إلى ربهم وهم صادقون، والذي بقوا يشدُّون عضد النبي ﷺ صادقون..

وختام مَن ارتقى إلى ربه من الصادقين في هذه الغزوة؛ سعد بن معاذ بعد أنْ دعا ربه هذا الدعاء الخفيّ: "**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ**

---

(١) الظلال (٥/٢٨٤٤).

الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا". فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ .. فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه.(١)

ومن أعظم ما يتربَّى المؤمن عليه، البصر بحكمة الله في تدبير الأحوال؛ فما كان من شيء من الأمور إلا وفيه حكمة التدبير من الحق جلا جلاله؛ فما وقع في الخندق وغيره إنما هو وَفْق هذه الحكمة: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وجزاء الصادقين ليس بالنصر فقط، بل مَن استشهد فقد جوزي بصدقه، ومن بقى وأظهره الله على الكافر فقد جوزي بصدقه. وأما المنافقون؛ فالأحداث تظهر ما خفي من أحوالهم، فيبقى بعضهم على غشه ودغله؛ فيعذّبه الله، ويريد الله لقلوب بعضهم الخير فتهتدي، وتترك التردُّد والشكّ والريب، فيكرمها بصدق الإيمان والتقوى.

المقطع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

---

(١) صحيح البخاري (٤١٢٢). و(**يَغْذُو**): يعني: يسيل دمًا. انظر: جامع الأصول (٨/ ٢٧٥).

فيصف ختام هذه المعركة في جانبها الخارجي الذي أشار إليهم بوصف: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ والداخلي الذي أشار إليهم بوصف: ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾[الأحزاب: ١٠]، هاهي قريش وأتباعها، وغطفان وأتباعها، تجر أذيال الهزيمة، يعودون بأشد الخسار، وبأشدّ ما يعالجون من الغيظ؛ فلا جموعهم أفلحت، ولا خططهم نجحت، ماذا بقي معهم وقد خسروا معركة جمعوا فيها كل طاقاتهم من ساحل البحر الأحمر إلى أعالي نجد، وتواصلوا مع اليهود في شمال الجزيرة، وتخللوا المجتمع الإسلامي، فأغروا اليهود بالنكث والغدر؛ إنها الخسارة التي ليست بعدها خسارة، بل النهاية التي ليست بعدها نهاية، وهنا يقرأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المستقبل بحسِّ السياسي الخبير، والقائد الملهم: "**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا**".[١] وقد كان الحال كما قدّر ﷺ، فلم تقم لتلك القبائل قائمة بعد ذلك اليوم سوى حركات ضعيفة هي أشبه بحركات الذبيح منها بإقدام المعافى. لكن هذا الانتصار يجب أن يبقى في حسّ المؤمن مقرونًا بتوفيق الله وتدبيره؛ ولهذا ينسب الحقّ سبحانه النصر له والرد لهم منه، وامتن على المؤمنين بأنْ حقَّق لهم ذلك دون أنْ ينزلوا ساحة المعركة، أو يتقاتلوا مع أولئك الأقوام: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ الآيات. [الأحزاب: ٢٥ – ٢٧].

ولا عجب فهو سبحانه القويّ العزيز، ردّ أولئك، وحفظ هؤلاء، وكفاهم الشرور بقوّته وعزّته، وهكذا يذكرهم سبحانه بكرمه ومِنَّتِهِ في أول آيات الغزوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ

(١) رواه البخاري (٤١٠٩ ، ٤١١٠) من حديث سليمان بن صرد ﷺ.

﴿تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، وآخرها: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ...﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وأما يهود بني قريظة الذين نكثوا العهد وخفروا الذمة ووقفوا مع الأحزاب في حربهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين؛ فقد أذلهم الله وأخزاهم وانقلب مكرهم عليهم.

وما ينقم هؤلاء من المؤمنين، وهم لم يروا منهم إلا البر والإحسان باعتراف زعيمهم كعب بن أسد الذي تردّد في أول أمره أن يستجيب لإغراءات حيي بن أخطب بالنكث والنقض، مدفوعًا إلى ذلك التردُّد بشيئين: الأول: أنه لا مبرِّر لهذا النكث، فهم لم يروا في جوار رسول الله ﷺ إلا الخير، ومن ناحية أخرى، لا يدرى ما تصير الأمور إليه؛ أتى حيي بن أخطب النضري كعب بن أسد القرظي، فلما سمع كعبٌ بِحُيَيٍّ أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبَى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب! افتح لي، قال: ويحك يا حيي: إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمَّدًا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلّا وفاءً وصدقًا...فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب(١)، حتى لَانَ له، وقال: ارجع عني يومك هذا حتى أشاور رؤساء اليهود. فقال: قد جعلوا العهد والعقد إليك فأنت ترى لهم. وجعل يلح عليه حتى فتله عن رأيه.. فنقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ..(٢)

لقد كانت جريمة كبرى بكل ما تعنيه تلك الجريمة، فهي خيانة لله وللرسول ولجماعة المؤمنين، وهي تآمر مع العدو الخارجي على من كان يستحق الوفاء؛ عهدًا

---

(١) **لم يزل يفتل في الذروة والغارب**: هذا مثَل، وأصله في البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك؛ فضرب هذا الكلام مثلًا في المراوضة والمخاتلة. الروض الأنف (٦/٣١١).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٤٥٦)، سيرة ابن هشام (٢/٢٢١).

وخُلقًا وجوارًا، لكن هذا هو مسلك بني إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديما وحديثًا؛ فالقوم لا يراعون المواثيق؛ فكما لا تدع الأفعى لدغها لا يدع اليهوديّ نكثه، حتى انسلخوا من طبقة الإنسانية إلى خلق آخر أبلغ وصف له ما قاله الحق سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، كانت عقوبة الله لهم أنْ وَفَّق سعدًا ليحكم فيهم بذلك الحكم الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه حُكم الله، وهو كذلك كما تدلّ عليه هذه الآيات التي نزلت بعد حكم سعد: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧] أنزلهم الله من حصونهم، وملأ قلوبهم رعبًا، وسلَّط عليهم المؤمنين؛ يقتلون من بلغ، ويأسرون من لم يبلغ، ويرثون أرضهم وديارهم.

وإن أعظم درس يتعلمه أهل الإيمان، أنَّ الغدر والنكث لا يعود بالضرر إلّا على أهله، فهو ثمرة ، وخزي دائم، وهلاك ماحق.

ما بين نكثهم وذلهم إلا وقت قصير ليس بشيء في حساب الزمان، انتقلوا به من جوار الوفاء والرحمة إلى ذلِّ القتل والأسر، واللعنة الدائمة إلى يوم الدين.

لقد كان لقريظة عبرة في إخوانهم بني قينقاع يوم فعلوا ما نقضوا به العهد بعد معركة بدر، فأجلاهم رسول الله ﷺ، فإنْ لم يكن لهم في ذلك عبرة، فليكن لهم من إخوانهم بني النضير الذي أجلاهم رسول الله ﷺ بعد أُحُد، ولكن اليهودي رجل لا يعرف الوفاء مهما عُومِل بالوفاء، ولا يعرف الرحمة مهما أسبغت عليه من الرحمة، ولا

يراعي العهد وإن احتملت ما احتملت في سبيل الوفاء له بالعهد؛ **فهل يتعلم أبناء الأمة اليوم من درس الأمس، وهل يستيقنون المنهج الحق في التعامل مع اليهود؟!**

وربّ ضارّة نافعة؛ فإن الله جعل هذا الحدث سببًا لاجتثاث آخر جرثومة يهوديّة من المدينة بأسوأ عاقبة، وأقبح منتهى.

على أنّ مِن دروس هذا الحدَث أنْ يكون المؤمن وقّافًا عند حدود الله؛ فهؤلاء القوم حلفاء للأوس وسيدهم سعد بن معاذ وقد بذل جهده ألّا يستجيبوا لمكر حيي بن أخطب، وأنْ يستمروا على الوفاء، وأن يخشوا عواقب الأمور، ولكنّهم ردُّوا عليه بأقبح ردّ يستحيي الأمر من ذِكره؛ سعد هذا كان مثالًا للمؤمن الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد قالها صراحة: "**قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ**"، فحكَم فيهم بما حكم.(١)

وبعد، فما هذه إلا شذرات من دروس إيمانيّة وتربويّة، يمكن أنْ يستلهمها المرء وهو يقرأ غزوة الأحزاب في كتاب الله، أرجو أن تلقي ضوء على ثمرة معالجة الحدث من أحداث السيرة من خلال القرآن، وأن تساهم في إيضاح أن السيرة النبوية معين لا ينضب في استنباط دروس الإيمان، ومورد عذب في تثبيت دلائل التقوى في قلب المؤمن، ودليل هاد للمسلم وهو ينافح عن دينه عدوان المعتدين، وتسلط الظلمة القاهرين، وليعلم أن في كل عصر أحزاب فإن تكن الأحزاب فليكن أوس وخزرج، وليكن سلع وخندق، وقبل ذلك وبعده ليكن هناك إيمان راسخ وعطاء ممتد وعزيمة لا تلين وثقة في الله لا تهتز؛ فالذي نصر محمّدًا وصحبه وَعَدَ بالنَّصرِ مَن اتّبَعَه وسار على نهجه؛ فاجعلنا اللهُمّ منهم، ووفِّق أُمَّتَنا لكلِّ خيرٍ، وادرأ عنها كل شر.

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥١١)، صحيح ابن حبان (٧٠٢٨)، جوامع السيرة (ص١٩٤).

المثال الثاني

المعالجة القرآنية لمعنى تربوي قُرِّر في مناسبات متعددة من أحداث السيرة

(توجيه المربِّي إلى تقديم العناية بالراغبين في الهداية على الراغبين عنها)

من أمثلة المعالجة القرآنية لمعنًى تربويٍّ بالتنبيه إليه في مناسبات متعدِّدة؛ متشابهة المعنى والصورة، متقاربة الظروف والملابسات؛ تلك الآيات التي أرشدت النبي ﷺ إلى العناية بالراغبين في الهداية، وتقديمهم على الراغبين عنها الذين لا يزالون يصدفون ويعاندون..

وفي ذلك من الآيات؛ قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١ - ٣]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، **وفي جملة هذه الآيات توجيه العناية بالذين يجيئون طلبًا للهداية، ورغبةً في التزكية، وحُبًّا في الإيمان والإسلام.**

وقد كانت دعوة النبي ﷺ في أوَّلها مفزع الضعفاء، وجُنَّة الفقراء؛ ولم يُرَ مع النبيِّ ﷺ في بداية الإسلام إلّا قِلَّة مِن الأعبد وامرأتين وأبي بكر[1]؛ وكان النبي ﷺ يجالسهم، ويأنس بهم، ويأنسون به. وهو ﷺ حريص كلَّ الحرص على هداية النّاس جميعًا إلى الإسلام؛ غنيّهم وفقيرهم، قويّهم وضعيفهم؛ حتى كاد أنْ يُذْهِب به هذا الحرص؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦]، وقوله: ﴿ **لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ**[2] **أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٣]، وقوله: ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ** ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وكان عظماء قريش يرون مع النبي ﷺ الضعفاء والأعبد والفقراء؛ فكانوا يمتنعون من الجلوس للاستماع إليه ﷺ فيما يدعوهم إليه استكبارًا واستصغارًا لشأن أولئك المؤمنين؛ وكان ﷺ يرغب في إسلام هؤلاء؛ ليكونوا قدوة لقومهم، ولعِلمه أنَّ أصحابه يحرصون حرصه، ولا يوحشهم أنْ يقاموا مِن المجلس إذا حضره عظماء قريش؛ لأنهم

---

(١) في صحيح البخاري (٣٦٦٠، ٣٨٥٧) عن عمّار بن ياسر ﵁: "**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ**". والأعبد المذكورون، هم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة، وأبو فُكَيْهَة، وياسر والد عمّار، والمرأتان: خديجة، وسميّة والدة عمّار أو أمّ أيمن. مقدّمة فتح الباري (٣٠٠/١) وانظر: الفتح (٢٤/٧).

(٢) يعني: قاتِل نفسك ومهلكها إنْ لم يؤمن قومك بك، ويصدِّقوك على ما جئتهم به. تفسير الطبري (٥٤٣/١٧).

آمنوا يريدون وجه الله لا للرياء والسُّمعة، ولكنَّ الله نهاه عن ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].(١) عن سَعْد بن أبي وقّاص ﷺ في سبب نزول هذه الآية: " **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا** – وفي رواية: **تُدْنِي هَؤُلَاءِ؟!** – **قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ** ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.(٢)

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ط. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م (٧/ ٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم ٤٥، ٤٦ – (٢٤١٣). وأمّا سعد بن أبي وقّاص ﷺ، فكان من أوّل النّاس سبقًا إلى الإسلام، ففي صحيح البخاري (٣٧٢٧) أنه قال: "**مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي اليَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَامِ**". وفي هؤلاء الستة ممَّن سمَّى سعد: بلالٌ ﷺ وقد كان مِن الأعبد السابقين إلى الإسلام اشتراه أبو بكر وأعتقه، كما في في صحيح البخاري (٣٧٥٤)، وكان ابن مسعود يرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط. رواه أحمد (٣٥٩٨، ٧٠٦١). قال مجمع الزوائد (١٧/٦): "**رجالهما رجال الصحيح**". وعن ابن إسحاق أنه قال: (**كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعَفون من أصحابه**: خبَّاب، وعمَّار، وأبو فَكيهة يسار مولى صفوان بن أُمَيَّة بن مُحَرَّث، وصهيب، وأشباههم من المسلمين، هَزِئت بهم قريش، وقال بعضُهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحقّ! لو كان ما جاء به محمّدٌ خيرًا ما سَبَقَنَا هؤلاء إليه، وما خصّهم اللهُ به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ..} الآيات [الأنعام: ٥٢ – ٥٤]). سيرة ابن هشام (٣٩٢/١). وانظر: تفسير الطبري (٢٥٨/٩، ٢٣٨/١٥، ٢٤٠). وروي في ذلك عن خبّاب ﷺ حديثًا مُفصَّلًا؛ خرّجه ابن ماجه (٤١٢٧). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢١٩/٤ – ٢٢٠): "**إسناده صحيح .. وأصله في صحيح مسلم وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص**".

ومن المناسبات التي تكرَّر فيها التأكيد على هذا المعنى التربويّ، ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١- ٣]، وقد ذكر غير واحد من المفسِّرين أنَّ هذه الآيات نزلت في عبد الله بن أمّ مكتوم(١)، وفي سيرة ابن إسحاق: "كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده عتبة بن ربيعة، وابن أم مكتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله علمني القرآن، فعبس رسول الله ﷺ في وجهه وصرفه عنه كراهية أنْ يزهد إقباله عليه عتبة في الإسلام، يقول: إنما يتبع هذا العميان والمساكين، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ عتبة ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩﴾ ابن أم مكتوم".(٢) وكان مِن آثار هذا العتاب بعد نزول هذه الآيات ما روي عن النبي ﷺ مِن إكرام ابن أمّ مكتوم(٣)، ثم تجلَّى هذا

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن ت: محمد عبد القادر عطا (٣٦٢/٤): "**لا خلاف أنها نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى**". وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٩).

(٢) سيرة ابن اسحاق (ص٢٣٠ - ٢٣١). وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٣ – ٣٦٤). وفي الموطأ رواية يحيى ت: عبد الباقي (٢٠٣/١) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَتْ ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى**} فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ **جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ اسْتَدْنِينِي، وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ**...

(٣) تفسير عبد الرزاق ت: د. محمود محمد عبده ١٤١٩هـ (٣٤٩٣) من قول قتادة، وكذا في نسختين خطيتين لمسند أبي يعلى ت: حسين سليم أسد كما في حاشيته (٤٣١/٥). وعزاه ابن كثير في تفسيره (٣١٩/٨) والسيوطي في الدر المنثور (٤١٦/٨) إلى مسند أبي يعلى، من رواية أنس. وفي سير أعلام النبلاء (٣٦١/١): "**وقد كان النبي ﷺ يحترمه**".

الإكرام في استخلافه على المدينة يؤمّ بالنّاس[1]، واتخاذه **مؤذِّنا**[2]، ثم صيّره ﷺ مع مصعب بن عمير إلى المدينة يُقرِآن النّاس القرآن[3]، بل روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: **أنها كانت تكرمه؛فتُقَطِّعُ لَهُ الْأُتْرُجَّ،وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ**،فقال لها مسروق في ذلك؟ فَقَالَتْ: **هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللهُ فِيهِ نَبِيَّهُ** ﷺ.[4]

وهكذا؛ يؤسّس القرآن الكريم في المربّي أولويّة الإقبال على الذين أبدوا رغبة في الهداية والتزكية ولو كانوا ضعفة وفقراء ومساكين في أقوامهم، أكثر من أولئك الراغبين عن هذه المعاني الطيبة ولو كانوا أولي شوكة ومكانة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) مسند أحمد (١٢٣٤٤)، سنن أبي داود (٥٩٥).

(٢) مع بلال بن رباح وسعد القَرَظ وأبي محذورة.سير أعلام النبلاء ط.الرسالة (١/٣٦٠).وفي البخاري (٦١٧) من حديث ابن عمر،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:«**إِنَّ بِلاَلًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ،فَكُلُوا وَاشْرَبُواحَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**».

(٣) صحيح البخاري (٤٩٤١).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ت: عبد العلي عبد الحميد حامد ١٤٢٣هـ (١٠/٤٧٧).

فهرس المصادر والمراجع

علوم القرآن:

- **أحكام القرآن**، لابن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا.
- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، ط. دار الفكر ١٤٢٠هـ.
- **التحرير والتنوير**، ط. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ط. طيبة ١٤٢٠هـ.
- **تفسير عبد الرزاق** ت: د. محمود محمد عبده ١٤١٩هـ.
- **جامع البيان للطبري**، ط. دار هجر.
- **في ظلال القرآن**، ط. الشروق – القاهرة.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط. دار الفكر.
- **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية .
- **مناهل العرفان** في علوم القرآن، للزرقاني ط. الحلبي.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للواحدي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت ١٤١٥هـ.

علوم الحديث:

- **صحيح البخاري**، ط. دار طوق النجاة عن السلطانية مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- **صحيح مسلم**، تحقيق وترقيم عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٤١٢هـ.

- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لابن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط.
- **فتح الباري**، لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة — بيروت.
- **شرح مسلم**، للنووي، ط. دار إحياء التراث العربي — بيروت ١٣٤٧هـ.
- **شعب الإيمان**، للبيهقي، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد ١٤٢٣هـ.
- **مسند أبي يعلى**، ت: حسين سليم أسد.
- **مسند أحمد**، ط. مؤسسة الرسالة.
- **مجمع الزوائد، للهيثمي**، ط. مكتبة القدسي.
- **المعجم الكبير**، للطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي.
- **الموطأ لمالك رواية يحيى**، صحّحه ورقّمه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير**، ت: الزاوي، الطناحي.

السِّيَر والتواريخ:

- **البداية والنهاية**، لابن كثير، ط. دار هجر.
- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، حسين بن محمد بن الحسن الدّيار بكري، دار صادر - بيروت.
- **دلائل النبوة**، للبيهقي ت: عبد المعطي قلعجي ١٤٠٥هـ.
- **الروض الأنف**، ت: عبد الرحمن الوكيل.
- **زاد المعاد**، لابن القيّم، ط. مؤسسة الرسالة.
- **جوامع السيرة**، لابن حزم، ت: إحسان عباس.
- **سبل الهدى والرشاد للصالحي**، ت: عادل عبد الموجود، علي معوض.
- **سير أعلام النبلاء**، ط. مؤسسة الرسالة.

- **سيرة ابن هشام**، ط. مكتبة الحلبي.

- **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، لابن حبان ط. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

- **السيرة النبوية**، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير — دمشق، ١٤٢٥هـ..

- **السيرة النبوية في القرآن الكريم**، د. عبد الصبور مرزوق، ط. الهيئة العامّة المصرية للكتاب.

- **الطبقات الكبير**، لابن سعد ط. دار صادر.

- **مغازي الواقدي**، ت: مارسدن جُونس ١٤٠٩هـ

- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** للقسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر.

البلدان والجغرافيا:

- **أطلس السيرة النبوية**، د. شوقي أبو خليل ط. دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – دمشق. ١٤٢٣هـ.

- **الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين**، محمد غالي الشنقيطي، عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

- **معجم البلدان لياقوت** الحموي، دار صادر – بيروت، ١٣٩٧هـ.

- **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، عاتق بن غَيث البَلَادي، ط. دار مكّة – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ

التربية بالقرآن في مدرسة النبوة

إعداد

د. هاشم بن علي الأهدل

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

١٤٣٦هـ

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بين هذا البحث أهمية التربية بالقرآن، وضرورة الاستفادة من آيات القرآن في التوجيه وتعديل السلوك، واستعرض بعض معالم التربية بالقرآن في مدرسة النبوة. ومن أهداف البحث العودة بالتربية المعاصرة إلى أصولها الإسلامية الأولى، وتوجيه المعلمين والمربين إلى اتخاذ آيات القرآن بألفاظها الربانية، منهجاً وأسلوباً في التربية. وقد ناقش البحث الموضوعات التالية: مفهوم التربية بالقرآن، المعلم والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، المنهج التعليمي والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، الطلاب والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، الأساليب النبوية والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، والآثار التربوية لمنهج التربية بالقرآن.

وبذكر الأدلة الصحيحة تبين أن النبي ﷺ مارس التربية القرآنية بمفهومها الدقيق، الذي يعني استخدام الآيات القرآنية في التربية والتوجيه الإيجابي للسلوك، وكان عليه الصلاة والسلام يستثمر المواقف والأحداث، وينتهز الفرص لتربية أصحابه بالآيات القرآنية، يتلوها عليهم ويبينها لهم، ويجيب عن تساؤلاتهم. وكان المنهج التعليمي في مدرسة النبوة ينبثق من أساسيات ثابتة وقيم عالمية، منطلقها الكتاب السماوي الخالد، وآياته الباقية.

وبين البحث أن التربية بالقرآن في مدرسة النبوة شملت جميع أنواع التربية التي تنادي بها التربية الحديثة اليوم، وأعدت طلابا ذوي شخصيات متكاملة من النواحي الاعتقادية، والإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، والعقلية، والصحية، والاقتصادية، والإرادية، والإبداعية، والذاتية، والجماعية وغيرها.

وأبرز البحث كثيراً من الأساليب التربوية في مدرسة النبوة، استخدمها النبي ﷺ في تربيته لأصحابه، وتأكيد أقواله الشريفة بآيات من كتاب الله، فتربى الصحابة رضوان الله عليهم على القرآن، وعلى آيات القرآن، فاستخدم ﷺ أسلوب المحاورة والتشويق والوسائل التعليمية، واستخدم الطريقة المباشرة وغير المباشرة.وخاتمة البحث كانت عن آثار التربية بالقرآن، ومنها: العودة بالأمة للقرآن الكريم، وإنقاذ البشرية من الضلال والتخبط الذي تعيشه، وبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة والمتوازنة، التي تسعى لتحقيق العبودية لله بجميع جوانبها، وفي شتى مجالات الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعى المربون على اختلاف مللهم، إلى التأثير الإيجابي في سلوك من يربوهم ويصلحونهم، وتتفاوت المناهج في الطرق المؤدية إلى هذا الهدف، والمسلمون يتفردون بمنهجهم المتميز، وبالرسالة الخاتمة، الباقية إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[المائدة٣]، يقول القرطبي: "(أكملت لكم دينكم) أظهرت دينكم على الدين كله، ...، (وأتممت عليكم نعمتي) أي بإكمال الشرائع والأحكام، وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم"(١).

وعدتكم"(١).

ومعجزة الإسلام الخالدة هي القرآن، يقول النبي ﷺ : (مَا مِن الأَنبِياءِ نبيٌ إلا أُعطِيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتِيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرَهُم تابعاً) (٢)، يقول ابن حجر رحمه الله: "أي إن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن،...، ومعجزة القرآن مستمرة"(٣).

وكان القرآن وآياته المباركة تتنزل على الرعيل الأول فتؤثر فيهم، وتغير من حياتهم، وترتقي بسلوكهم، وكان النبي ﷺ يمارس قولياً وعملياً التوجيهات القرآنية أمام الصحب الكرام، فيقتدون بها ويتمثلونها في واقعهم. فنصوص الوحي بقسميه (القرآن والسنة) تزيل ما بنفوسهم من اعتقادات وتصورات خاطئة، وتمحو ما يمنعهم من تزكية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٣ص٦٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بابكيف نزل الوحي، وأول ما نزل.

(٣) فتح الباري، ج٩ ص٦.

شخصياتهم، وفي نفس الوقت تحليها بالفضائل والقيم، وترشدها لمعالي الأمور والغايات، وجماع ذلك كله في تحقيق العبودية المطلقة للخالق سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات٥٦)،يقول ابن سعدي: "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه"[١].

ونرى اليوم حال المسلمين ليس كحالهم بالأمس، ونرى بُعداً عن المنهج القرآني الذي أثر في نفوس الصحابة، وتستند التربية في نظرياتها واتجاهاتها على غير المنهج القرآني، بل ربما نرى اتكاءً على المناهج البشرية، وأقوال المفكرين أكثر من استفادتها من الآيات القرآنية، "ومن الملاحظات أيضاً، استخدام مصطلحات حديثة غير محررة وإلصاقها بالقرآن"[٢].

وقد تجد رسائل وأبحاثاً في التربية الإسلامية تخلو من الاستشهاد بآيات القرآن، وأكد بعض الباحثين أن الخلل والقصور في الدراسات التربوية يرجع إلى عدة أسباب منهجية، منها: "عدم الرجوع للمصادر الأصيلة، وعدم الإلمام بمنهج الاستنباط من القرآن والسنة"[٣]. إن أي أسلوب تربوي مهما زعم انتماءه إلى التربية الإسلامية أو المنهج الإسلامي، ثم يخلو من الاعتماد على القرآن الكريم، وتطبيقاته النبوية، ومعانيهما ومفهوماتهما، فهو أسلوب خاطئ وبعيد عن الصواب.

إن هذا الواقع يؤكد على ضرورة العودة بالتربية إلى القرآن، واليقين بأنه لن تصلح هذه الأمة إلا بالسير على هدى القرآن الكريم وآياته، والنهل من ذلك المصدر، الذي فيه عزها، ومنه قوتها، وبه تعود إلى سالف مجدها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٥٨.

(٢) الدراسات التربوية للقرآن الكريم، ص٣٥٠.

(٣) الدراسات التربوية للقرآن الكريم، ص٣٧٢.

أهمية البحث :

- تعلقه بالقرآن الكريم وبسيرة الرسول القدوة ﷺ .
- بيان أهمية التربية بالقرآن، والاستفادة من آيات القرآن في التوجيه وتعديل السلوك.
- التعرف على بعض معالم التربية بالقرآن في مدرسة النبوة.
- الاستفادة من منهج النبي ﷺ في التربية بالقرآن .

أهداف البحث :

- التركيز على التربية بالقرآن وآيات القرآن في الإصلاح والتوجيه.
- العودة بالتربية المعاصرة إلى أصولها الإسلامية الأولى.
- توجيه المعلمين والمربين إلى اتخاذ آيات القرآن بألفاظها الربانية منهجاً وأسلوباً في التربية.

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي لذكر مفهوم التربية بالقرآن، وبيان المنهج التعليمي ، وأساليب التربية بالقرآن في مدرسة النبوة، ثم استخدم المنهج الاستنباطي في اختيار الأدلة من الأحاديث النبوية لاستخدام النبي ﷺ لمنهج التربية بالقرآن. ولطبيعة البحث فقد اقتصر الباحث على بعض الأدلة الواردة في صحيحي البخاري ومسلم، مع أن كتب السنة مليئة بالأدلة الصحيحة المؤكدة لهذا المنهج.

وسوف نبين التربية بالقرآن في مدرسة النبوة من خلال المباحث التالية: مفهوم التربية بالقرآن، المعلم والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، المنهج التعليمي والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، الطلاب والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، الأساليب النبوية والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة، والآثار التربوية لمنهج التربية بالقرآن، ونختم بذكر أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : مفهوم التربية بالقرآن

التربية هي تعديل السلوك، وتهدف إلى الوصول بالمتربي إلى كماله البشري حالاً فحال، أي بالتدريج. وهي تتم في البيئات التربوية، سواءً كانت في المنزل أو المدرسة أو المسجد أو غيرها. ويتبنى المجتمع المسلم مفهوم التربية الإسلامية الذي يُبنى على القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وفهم السلف الصالح، ويستفيد من الفكر التربوي لعلماء الإسلام ومجدديه، وتعرف التربية الإسلامية بأنها: "تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية، في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها"(١).

إن أهم عنصر في التربية الإسلامية هو القرآن الكريم، وكل المصادر الأخرى تتبع له، وتسير في فلكه، ولا تخرج عن مفهوماته، لذا كان لا بد من الانطلاق من القرآن، والتربية بالقرآن، كما فعل نبيا محمد ﷺ في دعوة البشرية.

التربية بالقرآن هي التربية التي تقوم على اتخاذ القرآن الكريم منهجاً وسبيلاً، وتؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات، وتنقلهم من الواقع السيء إلى عالم السداد والرشاد، الذي يجد فيه الجميع راحتهم وطمأنينتهم وسعادتهم، وهي تربية مرجعها آيات القرآن، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (البقرة٢٥٢).

والتربية بالقرآن تعتمد أولاً على الآيات القرآنية، وتسعى إلى ربط المتربين بالقرآن، وبألفاظه ومعانيه. كما أنها توجه المربين إلى استخدام آيات القرآن في إرشادهم

---

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٢٦.

وتربيتهم، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾(الفرقان٥٢). وفي هذه الآية توجيه إلى الجهاد الكبير بالقرآن، والجهاد الكبير يكون ضد الكفار، وأهل الأهواء والبدع، وضد أهل المعاصي والمقصرين، ومادة الجهاد الكبير هو القرآن الكريم بآياته وسوره. يقول ابن سعدي: "(وجاهدهم) بالقرآن، (وجاهدهم كبيرا) أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل، إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت، فابذل جهدك، واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم، ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم"(١).

إن من أسرار تلك النهضة الحضارية في حياة الرعيل الأول، هو منهج التربية بالقرآن، وهو التربية بتلك الآيات القرآنية، بألفاظها الربانية، المرسلة من لدن الحكيم الخبير، بواسطة أمين السماء جبريل عليه السلام، إلى أمين الأرض محمد بن عبدالله ﷺ، وتربى عليها الصحابة رضي الله عنهم، في مدرسة النبوة الأولى.

ولأهمية وضرورة الاستفادة من منهج النبي ﷺ في التربية بالقرآن، فإن على المربي مراعاة ضوابط استخدام هذا المنهج، ومنها ما يلي:

أ – أن يكون المربي قريباً من القرآن، ومتصلاً به على الدوام، بتلاوة آياته، واستماع تسجيلاته، وقراءة تفسيره، وفهم معانيه، وتدبر مدلولاته، وتطبيق أحكامه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه.

ب – أن يتزود المربي بحصيلة علمية ثقافية، من منهج النبي ﷺ في تربية أصحابه، من خلال الاطلاع على كتب السنة المطهرة، والسيرة العطرة، وسير الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٨٤.

ج – أن يرجع المربي إلى المواطن والمواقف التي استشهد فيه النبي ﷺ بالآيات القرآنية، فيضمنها في استدلالاته التربويه، ومثال ذلك الاستشهاد على نعيم الجنة بما ذكره النبي ﷺ من آية السجدة.

د – أن يحسن المربي الاقتباس من القرآن الكريم في توجيهاته وإرشاداته، وأثناء توضيح المعاني التربوية. وقد اقتبس النبي ﷺ بالقرآن، عندما قال: (الله أكبر، خرِبت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ، فَسَاءَ صباحُ المُنْذرين)[1].

هـ – ألا يتكلف المربي لوي النصوص، واعتساف الآيات، لتوافق فكرته التربوية، بل ينبغي أو يكون واثقاً من صحة الدليل، وسلامة الاستشهاد.

و – أن يكون متوازناً في الاستفادة التربوية من منهج التربية بالقرآن، والإفادة من أسلوب النبي ﷺ مع أصحابه، ويستفيد أيضاً من الفكر التربوي، سواء كان معتمداً اعتماداً مباشراً على فهم القرآن والسنة، أو مأخوذاً من التراث البشري ، والعلوم التجريبية، والحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها أنى وجدها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد.

المبحث الثاني : المعلم والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة

المعلم عبر التاريخ أساس لنجاح العملية التربوية، وعليه واجبات كثيرة ومهام متعددة، ولا يمكن الاستغناء عن دوره مهما تنوعت مصادر المعرفة، "وللمعلم مكانته المعروفة على مر العصور والأزمان،...، ويكفي هذه المكانة فخراً أن نبي الإسلام سيد الخلق محمداً، ﷺ ، قد حث عليها في أكثر من حديث نبوي شريف، واختار أن يجلس مع من يتعلمون"(١)، بل ومارس ﷺ بنفسه مهنة التعليم، وكانت وظيفته الأساسية.

والمعلم الناجح ينبغي أن يقوم بوظيفته حق قيام، وأن يسعى إلى تزويد طلابه بالأمور النافعة، ويحذرهم من الأمور الضارة، ومن واجبه "ألا يقتصر على مجرد تزويد التلاميذ بالمعلومات، وإنما يتعداها إلى تكوين العادات، وإكساب المهارات، وتكوين الاتجاهات، وتعويد التلاميذ طريقة التفكير العلمي السليم"(٢).

ومن أهم خصائص المعلم المسلم هو أن يمثل الإسلام منهجاً وسلوكا في نفسه، ويسعى للرقي بطلابه، وتزويدهم بما يفيدهم في دينهم ودنياهم، ولذا فهو يحثهم دائماً على ممارسة الأوامر الربانية والتوجيهات النبوية، سواء في اللقاءات النظامية، أو في الأنشطة اللاصفية. ليس ذلك فحسب، بل يمارس فعلياً ما يدعو طلابه إليه، وذلك حتى لا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون.

وكان المعلم الأول ﷺ ممتثلاً لكل المبادئ والقيم الإسلامية التي أمر بها الشرع الحنيف، فكان القدوة والأسوة. وكان عليه السلام قريباً من أصحابه على الدوام،

---

(١) دليل ممارسة التدريس، مقدمة المترجم.

(٢) المدرسة الابتدائية، ص١٠.

ولذلك عرف قدراتهم ومواهبهم، فوجه كل منهم إلى ما يحسنه، وأثنى على من تفوق وأبدع، وساعد من احتاج العون والإرشاد. "وهذا الدور ينبغي أن يقوم به المعلم القائد مع طلابه، بتفعيل دور كل طالب، وتوجيهه إلى الأداء الأمثل الذي يساهم في تطوير شخصية، وذلك عن طريق المعرفة الحقيقة لقدرات كل فرد"(١).

وفي مدرسة النبوة تمثلت التربية بالقرآن في حياة المعلم الأول ﷺ، فهو المربي الذي لا يضاهيه بشر، ولا يساويه مخلوق، وقد اتصف عليه الصلاة والسلام بالخصائص الشخصية للمعلم المثالي، وعرف الصحابة رضي الله عنهم صفاته ﷺ من القرآن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سئل عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(الأحزاب٤٥)، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا سخابٍ في الأسواق...، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفا"(٢).

إن منهج النبي ﷺ في التربية بالقرآن هو المنهج الأمثل بين جميع المناهج والنظريات، وهو الذي ينبغي أن تتبناه المؤسسات التربوية في المجتمع المسلم، فهو المنهج الذي أخرج خير أمة، وأعد أفضل المتربين لقيادة العالم. يقول الدكتور خالد القرشي: "لقد اختلفت مصادر الناس في استمداد مناهجهم التربوية، واختلفت تبعاً لذلك طرائقهم، وكثرت الأخطاء والسلبيات فيها، وكان من اللازم دراسة منهج النبي ﷺ في توجيهه لأصحابه رضوان الله عليهم"(٣).

---

(١) القيادة المدرسية والقيادة التربوية، ص١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق.

(٣) تربية النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم في ضوء الكتاب والسنة، ص٦.

واستخدم ﷺ التربية القرآنية بمفهومها الدقيق، الذي يعني استخدام الآيات القرآنية في التربية والتوجيه الإيجابي للسلوك. كان عليه الصلاة والسلام يستثمر المواقف والأحداث، وينتهز الفرص لتربية أصحابه بالآيات القرآنية، يتلوها عليهم ويبينها لهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، قال تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(الطلاق ١١)، "وكان ﷺ يربي المؤمنين بالقرآن، وبما آتاه الله من الخلق العظيم والعرفان"(١). ومن قرأ في سيرة المصطفى مع أصحابه وتربيته لهم، واستعرض كتب الصحاح والسنن، ودرس كتب التفسير بالمأثور، يجد هذه الحقيقة ماثلة للعيان.

وفي مدرسة النبوة طُبق المنهج التربوي بمفهومه الواسع، وكان المعلم الأول ﷺ يمارس التربية بالقرآن في مختلف المناسبات والأماكن، فمرة في المعركة، ومرة في المقبرة، ومرة في المسجد وهو جالس مع أصحابه، ومرة على المنبر وهو يخطب، ومرة في بيته مع زوجاته، والأمثلة في ذلك كثيرة والنماذج متعددة.

فعلى سبيل المثال عن عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: "سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال ٦٠)، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"(٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله...، فقال: (اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥

(١) خلاصة السيرة المحمدية، ص٦٢

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾(الليل٥-١٠)" [(١)].

واستمر النبي ﷺ يربي بالقرآن وآياته طوال عمره، وظل على هذا النهج، التربية بالقرآن، حتى آخر لحظات حياته، بل تقول عائشة رضي الله عنها: "كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحة يقول: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ (النساء٦٩) ، فظننت أنه خُيِّر "[(٢)].

المبحث الثالث: المنهج التعليمي والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة

يسعى المهتمون للارتقاء بمستوى العملية التعليمية، من خلال رفع مستوى الدارسين منذ صغرهم وحتى بلوغهم نهاية السلم التعليمي، وهذه الجهود "تشمل كافة عناصر العملية التعليمية بدءاً من المبنى المدرسي ومرافقه، والمناهج الدراسية وتطويرها، والمعلم وإعداده، والإدارة المدرسية وتحديثها"[(٣)]. وللمنهج خصوصاً أثره الذي يغير الأفراد والمجتمعات.

المنهج التعليمي هو المحتوى الدراسي، الذي يزود به الدارسون من خلال لقاءاتهم مع معلميهم، وهو جميع ما تقدمه المؤسسة التعليمية لطلابها "تحقيقاً لرسالتها الكبرى في بناء البشر، وفق أهداف تربوية محددة وخطة علمية سليمة، بما يساعد على تحقيق نموهم الشامل جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً[(٤)]".

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٣) الجودة الشاملة في التعليم، ص١٠٥.

(٤) المناهج المعاصرة، ص١٥.

والمنهج بمفهومه الواسع يعتمد أساساً على الموضوعات الدراسية، التي تُضمن في الكتب والمراجع التي يستخدمها الدارسون.

والمنهج التعليمي في مدرسة النبوة ينبثق من أساسيات ثابتة، وقيم عالمية، منطلقها الكتاب السماوي الخالد وآياته الباقية. فالقرآن هو "آية الله الكبرى، الحجة الباقية إلى آخر الزمان، المعجز للخلق بقوة هدايته، وببلاغة عبارته، وبأساليب بيانه، وبصحة حجته وبرهانه، وبما فيه من أخبار الغيب الماضية والحاضرة، في عهد التنزيل والآتية، وباشتماله على أكمل الأديان الإلهية، وأعدل الشرائع المدنية، الجامع بين الفضائل الروحية، والمصالح الجسدية، الفردية منها والاجتماعية، اللذين يحتاج إليهما النوع الإنساني للدخول في سن الرشد، وكمال استقلال العقل، وبنائهما على سنن الفطرة، وموافقتهما لمقتضى الحكمة"(١).

فالقرآن بآياته صالح للتربية في كل زمان ومكان، وفيه الكفاية والغنية لمن أراد المنهج الصحيح، يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت٥١). يقول ابن عاشور: "القرآن مع كونه معجزة دالّةً على صدق الرسول ﷺ ومرشدة إلى تصديقه مثل غيره من المعجزات، وهو أيضاً وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم، وبذلك فضَل غيره من المعجزات التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها. ... وفي قوله﴿وذكرى﴾ فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر وتعريف بعواقب الأعمال ، وإعدادٍ إلى الحياة الثانية ، ونحو ذلك مما هو تذكير بما في تذكره خيرُ الدارين"(٢).

---

(١) خلاصة السيرة المحمدية، ص٤٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير.

والمنهج في التربية الإسلامية يتجاوب مع الفطرة السوية، ويلبي حاجات الدارسين، ويسعى لحل مشكلاتهم، ويراعي ميولهم وقدراتهم، ولا يغفل مبدأ الفروق الفردية، وتنوع الاهتمامات الشخصية، ويراعي تنوع المجتمعات، واختلاف البيئات، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أي شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، واو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب:﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر٣٦)، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"(١).

وكما إن من أساسيات المنهج التعليمي في مدرسة النبوة تفاعله مع المجتمع والبيئة، وما فيهما من مؤسسات مختلفة، ويهتم بصلاحه وخيريته، وسلامته من السلبيات والنقائص، قال تعالى : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾(آل عمران١١٠).ولا يهدف المنهج إلى تزويد الدارسين بالمعلومات والحقائق فقط، بل يحرص على أن يجعلها واقعاً ملموساً في حياتهم.

وفي مدرسة النبوة، كان المعلم الأول ﷺ حريصاً على أن يلتزم أصحابه والمسلمون من بعدهم بالمنهج القرآني، المتمثل في الآيات القرآنية التي تتنزل عليهم، ويُسمعها إياهم في الصلوات، أو في مجالسه الإيمانية ولقاءاته التربوية معهم. فكان ﷺ يربيهم على منهج التلقي الذي ارتضاه الخالق سبحانه، وعلمه ﷺ للأمة. وفي تربيته ﷺ بالقرآن "يسن لهم الطريق ويرسم لهم المحجة، وحين يرى خللاً في هذا المنهج أو

---

(١) رواه البخاري، في كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن.

اعوجاجاً فإنه يأخذ بيد صاحبه"(١)، ويبين لهم المنهج الحق الذي يجب أن يتبعوه، ويذكرهم بالآيات القرآنية التي يعرفونها، أو ربما يسمعونها لأول مرة.

وحين رأى ﷺ مع عمر ابن الخطاب ﷺ صحيفة من التوراة غضب ﷺ، ونهاه عن ذلك، وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)(٢). ولقد جاء ﷺ بالرسالة كاملة واضحة، لا غموض فيها ولا إبهام، وليس فيها مجال للحيرة أو الشك، وهي صافية نقية كالشمس في رابعة النهار، لا شبهة فيها ولا بدعة، ولا نقص فيها يحتاج إلى تكميل، ولا عيب فيها يحتاج إلى إصلاح.

وقد أمر القرآن بالثبات على المبادئ، وعدم التأثر بالأفكار والأهواء المنحرفة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة٤٨)، فكلٌ قد اتخذ طريقة وسبيلاً، ولكن المسلمين لديهم المنهاج الرباني الخاتم، الذي فيه هداية البشرية وسعادتها ونجاتها، وهو صراط الله المستقيم الذي من تمسك به هُدي ورشد، ومن ضل عنه فقد هلك. يقول القرطبي: "معنى الآية أنه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات، والأصل التوحيد لا اختلاف فيه"(٣).

وبين ﷺ المنهج القرآني في التعامل مع أخبار أهل الكتاب (أو ما يسمى بالإسرائيليات)، عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، ص٢٧.

(٢) رواه أحمد، ج٣ص٣٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٣ص٢١٠

ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾(البقرة٢٨٦) [١].

ولا يعني ذلك أن المنهج التعليمي لم يستفد من تجارب الأمم الأخرى في الأمور المادية والتجريبية والعسكرية، فيما لا يخالف محكمات الشريعة، بل إن الحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها أنى وجدها، وقد استفاد النبي ﷺ من سلمان الفارسي ﵁ فكرة حفر الخندق في غزوة الأحزاب.

المبحث الرابع : الطلاب والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة

إن المتتبع للأحاديث التي رواها صحابة رسول الله ﷺ يتبين له أنها ملئت بالآيات القرآنية، وكان رسول الله ﷺ كثيرا ما يستشهد بالآيات القرآنية في تربيته وتوجيهاته لأصحابه رضي الله عنهم. وكانت هذه الآيات مؤثرة أشد التأثير في عقيدتهم و عبادتهم وأخلاقهم. وكونوا بذلك خير مجتمع ظهر في الأرض، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ (الفتح٢٩). يقول ابن كثير رحمه الله: "فالصحابة رضي الله عنهم، خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه فب سمتهم وهديهم"[٢].

ومنهج التربية بالقرآن هو المنهج الذي اتبعه الصحابة رضوان الله عليهم في تربية أنفسهم، فكانوا يسمعون الآيات ويتعلمونها ويعملون بها، عن أبي عبدالرحمن السلمي رحمه الله قال: "حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن: عثمان بن عفان ﵁، وعبدالله بن

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله عزوجل{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا}.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١٢٩٨.

مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات،لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا أي الصحابة: فتعلمنا العلم والعمل"(١).

والنبي ﷺ المؤيد بالوحي من رب العالمين، يرسم لنا منهجاً في التربية، وذلك بتضمين الآيات القرآنية في التوجيهات التربوية، التي يربي عليها أصحابه الكرام. وقد شملت التربية بالقرآن في مدرسة النبوة جميع أنواع التربية التي تنادي بها التربية الحديثة اليوم، وأعدت طلابا ذوي شخصيات متكاملة من النواحي الاعتقادية، والإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، والعقلية، والصحية، والاقتصادية، والإرادية، والإبداعية، والذاتية، والجماعية وغيرها. وسوف نكتفي في هذا المبحث بالأنواع الثلاثة الأولى وهي :

١ — التربية العقدية بالآيات القرآنية.

٢ – التربية الإيمانية بالآيات القرآنية.

٣ – التربية الخلقية بالآيات القرآنية.

أولا– التربية العقدية بالآيات القرآنية

العقيدة هي التصور الكلي عن الله المعبود، والإنسان، والحياة والكون، وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على العقيدة الصحيحة، سواء في إفراد الله بالعبادة، أو حماية جناب التوحيد، أو تذكيرهم باليوم الآخر وأشراط الساعة، وأحداث يوم القيامة، أو في النظرة للمخلوقات في هذا الكون. وفيما يلي نماذج من تربيته ﷺ بالقرآن في المجال العقدي:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج١٠ص٢٦٠.

أ – تذكيره ﷺ المستمر باليوم الآخر وأشراط الساعة، ففي بعض روايات حديث جبريل أنه سأل : متى الساعة؟ فقال النبي ﷺ : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها...، ثم تلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾، ثم أدبر"[1].

ب – بيان ما يتعلق بالموت وفترة البرزخ، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أُتيَ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ (إبراهيم٢٧)[2].

ج – توضيح مفهوم الإله المعبود، ومنزلة التحاكم إلى غير الله، عن عدي بن حاتم أنه دخل على رسول الله ﷺ، وفي عنقه صليب من فضة، وهو يقرأ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(التوبة٣١)، قال: فقلت : إنهم لم يعبدوهم، فقال : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم،..."[3].

د – التحذير من أفعال المشركين من الأمم السابقة، عن أبي واقد الليثي قال :خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

(٣) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، في باب : ومن سورة فاتحة الكتاب، ج٥ص١٨٦، وقال هذا حديث حسن غريب.

اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السُّنن، قُلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(الأعراف١٣٨)، لتركبن سنن من كان قبلكم"[١].

هـ – الحث على الثبات على الدين، وعدم الزيغ والانحراف، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾(الأنبياء١٠٤)، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾إلى قوله﴿الحكيم﴾(المائدة١١٧-١١٨)[٢].

ثانياً – التربية الإيمانية بالآيات القرآنية

الإيمان اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان، ويدخل في التربية الإيمانية ما يتعلق بالأمور التعبدية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، كما يشمل فعل الأوامر واجتناب النواهي. وفيما يلي نماذج من تربيته ﷺ بالقرآن في المجال الإيماني:

أ – بيان أركان الإيمان، "حين سأل أبو ذر ﷺ النبي ﷺ عن الإيمان فتلا عليه قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾(البقرة١٧٧)"[٣]. وبين ﷺ أن التفاضل بالإيمان، ولا اعتبار

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سن من كان قبلكم، ج٤ص٤١٣، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب.

(٣) فتح الباري، ج١ص٥٠.

للموازين الدنيوية، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾(الكهف ١٠٥)[1].

ب – الحث على العناية بصلاتي الفجر والعصر، عن جرير ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة، فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (ق،٤٩) [2].

ج – الإشادة بأمر الصلاة، وعدم التفريط فيها في جميع الظروف والأحوال، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه ١٤) [3].

د – في التأكيد على دفع زكاة الأموال للمستحقين من أهلها، عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني بشدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾. ورواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب من ترك العصر.

(٣) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت.

﴿بَلۡ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾(آل عمران ١٨٠) (١).

هـ - من المواقف التربوية خشوعه ﷺ عند سماع الآيات أمام أصحابه، سواء أثناء قراءته لها في الصلوات أو في القراءة العادية، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي النبي ﷺ : (اقرأ علي) قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: (إني أحب أن أسمعه من غيري)، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ النساء٤١، قال: (أمسك) فإذا عيناه تذرفان"(٢).

و - كان ﷺ كثيرا ما يردد بعض السور في صلاته، مثل سورة الإنسان وسورة السجدة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة﴿الم تنزيل﴾ و ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾"(٣).

ثالثاً - التربية الخلقية بالآيات القرآنية

الأخلاق تشمل فضائل الأعمال جوامع الآداب، مثل الصدق والكرم والحلم والأمانة والشجاعة وغيرها، والتربية الخلقية هي التربية على طريقة تعامل الإنسان مع سائر المخلوقات، وقواعد السلوك التي يجب أن يقوم بها نحو الآخرين، وفيما يلي نماذج من تربيته ﷺ بالقرآن في المجال الخلقي:

أ - كان ﷺ يتعاهد أصحابه ويزور أهل بيته، ويذكرهم بالفضائل الخلقية عن طريق الآيات القرآنية، فمن ذلك أنه زار ابنته وزوجها، وحثهم على العبادة، ثم ذكر نهيه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله عزوجل{فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد}.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

عن صفات الجدل، تلميحاً لا تصريحاً، عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال: (ألا تصليان؟) فقلت: يارسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ البتة،ثم سمعته يقول وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف٥٤)[1].

ب – من التربية الخلقية بالقرآن، تربية النبي لأصحابه ﷺ على خلق الكرم وصلة الرحم، وبذل الأموال لذوي الأرحام والأقارب، فلما أُنزلت هذه الآية ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(آل عمران٩٢)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال فقال رسول الله ﷺ : (بخ ذاك مار رابح ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، و إني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[2].

ج – من التربية الخلقية بالقرآن الحث على التزام عفة النفس، والاستغناء عن الآخرين قدر الإمكان، روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، واقرؤوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة٢٧٣)"[3].

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله عز وجل{لا يسألون الناس إلحافا}.

د – من الأخلاق الفاضلة التي ربى عليها النبي ﷺ أصحابه خلق الشجاعة والإقدام والجهر بالحق، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(آل عمران١٧٣)[1].

هـ – من الأخلاق خلق العدل وتجنب الظلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ (هود١٠٢)[2].

و – من الأخلاق التي حث عليها الشارع الحكيم صلة الأرحام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك، قال أبو هريرة: فاقرؤا إن شئتم﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، وفي رواية: قال رسول الله ﷺ(اقرؤا إن شئتم﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ (محمد٢٢)[3].

ز — يعطي ﷺ قاعدة عامة في فعل الأوامر واجتناب النواهي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر؟ فقال: ما أنزل عليّ فيها شيء، إلا هذه الآية

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله عزوجل {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم}.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى{وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى}.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {وتقطعوا أرحامكم}. ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها.

الجامعة الفاذة: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة٨،٧) "[١].

الطالبات والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة

لم يغفل النبي ﷺ النساء من تربيته بالقرآن، وكانت له معهن مواقف مشهودة، وليس الأمر مقتصراً على نساء بيته، وإنما شمل نساء المجتمع الإسلامي في ذلك العصر. وفيما يلي نماذج مختصرة لتلك التربية النبوية:

أ – تعريفهن بالآيات القرآنية، ومناقشته لهن مع ما لديهن من المعلومات السابقة، كانت عائشة رضي الله عنها تسمع الآيات تتنزل على رسول الله، فحفظت وروت وناقشت، وكانت رضي الله عنها لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: (من حوسب عذب)، قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق٨) قالت: فقال: (إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)[٢].

ب – عن أم مبشر رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم٧١)، فقال النبي ﷺ : (قد قال الله عز وجل﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم٧٢) [٣].

(١) رواه البخاري في كتاب المساقاة باب شرب الناس وسقي الدواب.

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه. ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

ج – عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أي شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا، واو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺوإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(القمر٣٦)، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"(١).

يقول الدكتور خليل حدري: "ولقد كان هذا ديدن الآيات التي نزلت في مكة، لتزرع في النفوس المؤمنة هذه العقيدة التي يثبت معها المؤمن أمام المحن والشدائد فلي مواطن يعز فيها الثبات"(٢).

د –كانت له ﷺ مجالس خاصة بالنساء، يذكرهن ويعلمهن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شهدت صلاة الفطر مع نبي الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب، قال: فنزل نبي الله ﷺ كأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء ومعه بلال، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾(الممتحنة١٢)، فتلا هذه الآية حتى فرغ منها، ثم قال حين فرغ منها: (أنتن على ذلك؟) فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها منهن: نعم يا نبي الله، لا يُدرى حينئذٍ من هي، قال: (فتصدقن) فبسط بلال ثوبه، ثم قال: هلمّ ،فدًى لكنّ أبي وأمي، فجعلن يلقين الفَتَخ والخواتم في ثوب بلال"(٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن.

(٢) التربية الوقائية، ص٦١٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين.

المبحث الخامس : الأساليب النبوية والتربية بالقرآن في مدرسة النبوة

استخدم النبي ﷺ في تربيته لأصحابه كثيراً من الأساليب التربوية، وكان يؤكد أقواله الشريفة بآيات من كتاب الله، فتربى الصحابة رضوان الله عليهم على القرآن، وعلى آيات القرآن، فاستخدم ﷺ أسلوب المحاورة، والتشويق، والوسائل التعليمية، واستخدم الطريقة المباشرة وغير المباشرة.

ونستعرض فيما يلي عدداً من الأساليب النبوية، ومؤكداتها من التربية بالقرآن الكريم، كما اتبعها المعلم الأول محمد بن عبدالله ﷺ:

من الأساليب النبوية الطريقة المباشرة، عن أبي سعيد المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله كنت أصلي، فقال: (ألم يقل الله﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال٢٤)، ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد)، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)"(١).

ومن الأساليب النبوية، التربية بالقرآن بطريقة غير مباشرة، حيث يقر النبي ﷺ الصحابة على استخدام القرآن في مواضع مختلفة، وفي حديث الرقية بالقرآن وعلاج ذلك الذي لدغ بعقرب، من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "فانطلق يتفل عليه،

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

ويقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الفاتحة١)، فكأنما نشط من عقال"، وفي خاتمة الحديث قوله ﷺ : (وما يدريك أنها رقية) ثم قال : (قد أصبتم)[١].

وفي حديث أبي هريرة مع الشيطان، قال: "فقلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله"، قال : ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة٢٥٥)، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ : (أم إنه قد صدقك وهو كذوب)"[٢].

ويستخدم النبي ﷺ أسلوب التشويق، ويستشهد بالآيات القرآنية، عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخراً بلْه ما أُطلِعتم عليه، ثم قرأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(السجدة١٧)[٣].

ومن الأساليب تبيين معاني مفردات بعض الآيات التي يتلوها عليهم، عن أنس ﵁ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى لإغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أنزلت عليّ آنفاً سورة) فقرأ : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم. إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإجارة باب ما يعطى في الرقية.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير...)[١].

ومن الأساليب التربية على تصحيح المفاهيم، والتوازن في العلم والعمل، عن علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها في الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أوسعيدة)، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ ...، قال: أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ (الليل)"[٢].

ورباهم ﷺ على الرجوع إلى القرآن، واستحضار آيات القرآن قبل اتخاذ القرارات، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة، أو كلمة نحوها ليقطع عليّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾(ص،٣٥)"[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلةً في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُري عنه، قالت: فعرَّفْته

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

(٢) رواه البخاري برقم ١٣٦٢، في كتاب الجنائز باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة ، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد.

ذلك، فقال: (وما أدري لعله كما قال قوم﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ (الأحقاف٢٤)[1].

ومن الأساليب النبوية في التربية بالقرآن تشجيعه ﷺ لأصحابه ﷺ ، ورفع روحهم المعنوية، وخاصة في الشدائد والملمات، وأثناء الحروب والغزوات، فمن أحداث غزوة بدر ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال النبي ﷺ وهو في قبة: (اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم)، فأخذ أبوبكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر٤٥-٤٦)"[2].

ومن الأساليب النبوية في التربية بالقرآن استخدام السؤال، ثم الإجابة من القرآن، روى أبو ذر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ حين غربت الشمس (تدري أين تذهب)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها،.،فذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (يس٣٨)[3].

وقد يذكر النبي ﷺ الآية القرآنية، ثم يدع المجال لصحابته للتفكير فيها والسؤال عنها، وهذا من الأساليب التربوية، التي تخرج مكنونات المعلومات، وتثير الأذهان للإستيعاب، عن أبي هريرة ﷺ قال: "كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى(وهو الذي يرسل الرياح بشراً ...).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب.

(٣) رواه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان.

الجمعة، فلما قرأ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾، قال رجل من هؤلاء: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرةً أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء)"[١].

ومن الأساليب مناقشتهم فيما يشكل عليهم من معاني الآيات، ويوضح لهم ما يجهلون، ويصحح لهم ظنونهم الخاطئة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى) فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(التوبة٣٣)، أن ذلك تاماً، قال: (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم)[٢].

و كان ﷺ يجيب عن الأسئلة، ويوضح الإشكالات التي يوردها الصحابة رضي الله عنهم، لحرصهم على تعلم القرآن فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرأون﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مريم٢٨) ، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: (إنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخَلَصَة.

(٣) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء.

وفي استخدام الوسائل التعليمية، ما رواه عبدالله بن مسعود ﷺ قال: "خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيما) قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرآ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾"(١).

المبحث السادس : الآثار التربوية لمنهج التربية بالقرآن

إن تلك الآيات التي سمعها المصطفى ﷺ من جبريل عليه السلام، وتلاها النبي عليه الصلاة السلام، وسطرها الكتبة في صحفهم، وسمعها الصحابة ﷺ من رسولهم القدوة، كانت تجد آذاناً صاغية، وقلوباً مفتوحة، وجوارح مستجيبة، ونفوساً متفاعلة. وكانت المحصلة لتلك التربية القرآنية هو ذلك الجيل الفريد، الذي لم يأت الزمان بمثله، ولن يتكرر حتى يُنزع القرآن من قلوب الرجال، وإلى أن يُرفع القرآن من الأرض. وقد امتدحهم النبي ﷺ بقوله: (خير أمتي القرن الذي يلوني ثم الذين يلونهم)(٢)، ويبين الإمام النووي معنى الحديث بقوله: "قوله ﷺ (خيركم قرني)، وفي رواية (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم) إلى آخره، اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد به أصحابه"(٣).

كونت التربية بالقرآن لدى الصحابة رضي الله عنهم الإيمان العميق، والعلم الغزير، والفهم الدقيق، والعمل الدؤوب، الذي أسس الحضارة الراقية، وبنى أجيالاً نشرت الهدى والنور في أرجاء المعمورة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٦،ص١٩٩، وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩ ص٨٤.

ومن آثار التربية بالقرآن تلك الحصيلة العلمية التي ساعدت الصحابة على فهم القرآن، والقدرة على الإجابة عن أي تساؤلات تتعلق بآيات القرآن، والأمثلة في ذلك كثيرة، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:٦) ، قالت: "أنز لت في والي مال اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه"[١].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾(النساء٩٣)، فرحلت إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: "لقد أنزلت آخر ما أنزل ثم ما نسخها شيء"[٢].

ومن الفقه التربوي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومتابعته العلمية لمجالس الرسول ﷺ، ما أورده طارق بن شهاب قال: قالت اليهود لعمر: لو علينا معشر يهود نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة٣) ، نعلم اليوم الذي نزلت فيه لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: فقال عمر: "فقد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والساعة، وأين رسول الله ﷺ حين نزلت، نزلت ليلة جمع ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات"[٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب التفسير.

(٢) رواه مسلم في كتاب التفسير.

(٣) رواه مسلم في كتاب التفسير.

ومن آثار التربية بالقرآن أنهم كانوا يعملون بما عرفوه وفهموه من تلك الآيات، عن عثمان رضي الله عنه قال: ألا أحدثكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ويصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها، والآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا ﴾ (البقرة١٥٩)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ (البقرة١٥٩-١٦٠)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أباهريرة رضي الله عنه كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون"[٢].

ومن أثر التربية بالقرآن حرصهم على الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع شئونه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "صحبت النبي ﷺ فلم أره يسبح في السفر، وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(الأحزاب٢١) "[٣].

إن من الواجب والأمة تتطلع أن يكون لها دور بين الأمم، أن تعود إلى القرآن، وترتشف من معينه ، وتستقي من ينابيعه ، وتربي أفرادها على آياته وأحكامه ، وتستفيد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء ، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً.

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب تقصير الصلاة ، باب من لم يتطوع في السفر بعد الصلاة.

من منهج معلمها الأول ﷺ في التربية بالقرآن، من أجل "تقويم النفوس، وتهذيب السلوك، وتجويد الأخلاق، وصناعة الفرد المسلم، ليكون عذواً صالحاً في أمته، إيماناً يعصمها، ودرعاً يحميها، وظِلّةً تقيها، ويداً تبني وتعمر في حقولها الواسعة، ومجالاتها المتعددة، حتى تكون أمةً مرهوبة الجانب، تأخذ مكانها من رأس القيادة وصدر العالم"(١).

إن التربية بالقرآن في عصرنا الحاضر ضرورية ومهمة، ومن آثارها ما يلي:

- عودة الأمة للمنبع الصافي والمعين الذي لا ينضب، القرآن الكريم، لجلب السعادة والطمأنينة في الكون.

- إنقاذ البشرية، لحاجتها إلى من ينتشلها من الضلال والتخبط الذي تعيشه اليوم في ظل المادية المقيتة.

- بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة والمتوازنة، وتركيز طاقاته وقدراته نحو تحقيق الولاء لله وحده، والسعي لتحقيق العبودية بجميع جوانبها، وفي شتى مجالات الحياة.

- بناء المجتمع الحضاري الذي ينشر السلام في الأرض، ويعيد للأمة مجدها وسؤددها.

---

(١) خصائص مدرسة النبوة، ص١٠.

النتائج والتوصيات

أ – نتائج البحث

– كان القرآن وآياته المباركة تتنزل على الرعيل الأول فتؤثر فيهم، وتغير من حياتهم، وكان النبي ﷺ يمارس قولياً وعملياً التوجيهات القرآنية أمام الصحب الكرام فيقتدون بها وتمثلونها في واقعهم.

– إن أهم عنصر في التربية الإسلامية هو القرآن الكريم، وكل المصادر الأخرى تتبع له، وتسير في فلكه، ولا تخرج عن مفهوماته، لذا كان لا بد من الانطلاق من القرآن، والتربية بالقرآن، كما فعل نبيا محمد ﷺ في مدرسة النبوة.

– استخدم ﷺ التربية القرآنية بمفهومها الدقيق الذي يعني استخدام الآيات القرآنية في التربية والتوجيه الإيجابي للسلوك، وكان عليه الصلاة والسلام يستثمر المواقف والأحداث، وينتهز الفرص لتربية أصحابه بالآيات القرآنية، يتلوها عليهم ويبينها لهم، ويجيب عن تساؤلاتهم.

– المنهج التعليمي في مدرسة النبوة ينبثق من أساسيات ثابتة وقيم عالمية، منطلقها الكتاب السماوي الخالد، وآياته الباقية. فالقرآن بآياته صالح للتربية في كل زمان ومكان، وفيه الكفاية والغنية لمن أراد المنهج الصحيح

– النبي ﷺ المؤيد بالوحي من رب العالمين، يرسم لنا منهجاً في التربية، وذلك بتضمين الآيات القرآنية في التوجيهات التربوية، التي يربي عليها أصحابه الكرام. وقد شملت التربية بالقرآن في مدرسة النبوة جميع أنواع التربية التي تنادي بها التربية الحديثة اليوم، وأعدت طلابا ذوي شخصيات متكاملة من النواحي الاعتقادية، والإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، والعقلية، والصحية، والاقتصادية، والإرادية، والإبداعية، والذاتية، والجماعية وغيرها.

– في مدرسة النبوة، استخدم النبي ﷺ في تربيته لأصحابه كثيراً من الأساليب التربوية، وكان يؤكد أقواله الشريفة بآيات من كتاب الله، فتربى الصحابة رضوان الله عليهم على القرآن، وعلى آيات القرآن، فاستخدم أسلوب المحاورة والتشويق والوسائل التعليمية، واستخدم الطريقة المباشرة وغير المباشرة.

– كونت التربية بالقرآن لدى الصحابة رضي الله عنهم الإيمان العميق، والعلم الغزير، والفهم الدقيق، والعمل الدؤوب، الذي أسس الحضارة الراقية، وبنى أجيالاً نشرت الهدى والنور في أرجاء المعمورة.

– من آثار التربية بالقرآن: العودة بالأمة للقرآن الكريم، وإنقاذ البشرية من الضلال والتخبط الذي تعيشه، وبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة والمتوازنة، التي تسعى لتحقيق العبودية لله بجميع جوانبها، وفي شتى مجالات الحياة.

ب – توصيات البحث

– حث المعلمين والمربين على استخدام منهج التربية بالقرآن في التوجيه وغرس المبادئ والقيم.

– ضرورة أن تتضمن بحوث التربية الإسلامية استشهاداً بآيات القرآن الكريم، وتوضيح معانيها.

– إعداد دراسة علمية عن التربية بالقرآن من أحاديث النبي ﷺ في الصحاح والسنن.

– إعداد دراسة علمية عن التربية بالقرآن من سيرة الرسول ﷺ .

– إعداد دراسة علمية عن التربية بالقرآن من سير الصحابة رضي الله عنهم.

– إعداد دراسة علمية عن التربية بالقرآن من سير التابعين والمجددين رحمهم الله تعالى.

– إعداد دراسة علمية عن المبادئ والأساليب التربوية في منهج التربية بالقرآن.

فهرس المصادر والمراجع

- تربية النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم في ضوء الكتاب والسنة، د خالد بن عبدالله القرشي. الأردن: دار المعالي، ومكة: دار التربية والتراث، ط١٤٢١.

- التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، د خليل بن عبدالله حدري. مكة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها، ط١٤١٨.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الرياض: مكتبة دار السلام، ومجلة البيان، د.ت.

- الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري. الرياض: دار عالم الكتب، ط١٤٢٣.

- جوانب التربية الإسلامية الأساسية، أ.د مقداد يالجن. موسوعة التربية الإسلامية، ج١، ط١٤٠٦.

- الجودة الشاملة في التعليم، نجاح زكي عبدالرحيم. عمان: دار البداية، ط١٤٣١.

- خصائص مدرسة النبوة، د كمال محمد عيسى. جدة: الشروق، ط١٤٠٢.

- خلاصة السيرة المحمدية، السيد محمد رشيد رضا، منشئ المنار. بيروت: المكتب الإسلامي، ط١٤٠١.

- الدراسات التربوية للقرآن الكريم.. الواقع والمأمول، د سلطان مسفر الصاعدي. ضمن بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، ٦ربيع ثاني ١٤٣٤، الجزء الثالث، المحور التعليمي. الرياض: جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم وعلومه، ١٤٣٤.

- دليل ممارسة التدريس، تأليف لويس كوهين وآخرون، ترجمة أ.د. محمد محمد سالم. الرياض: جامعة الملك سعود، ط١٤٣١.
- صحيح الإمام البخاري.
- صحيح الإمام مسلم.
- صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة: دار الريان للتراث، ط١٤٠٧.
- فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني، راجعه قصي محب الدين الخطيب. القاهرة: دار الريان للتراث، ط١٤٠٧.
- القيادة المدرسية والقيادة التربوية، سعد ماجد العتيبي. الكويت: دار المسيلة، ط٢٠١٤.
- المدرس ومهارات التوجيه، د محمد بن عبدالله الدويش. الرياض: دار الوطن للنشر، ط٤: ١٤٢١.
- المدرسة الابتدائية ... أنماطها الأساسية واتجاهاتها العالمية المعاصرة، د محمود شفشق و د محمود طنطاوي و د حسن جميل ود أحمد عبدالباقي. الكويت: دار القلم، ط١٣٩٦.
- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار صادر، د.ت.
- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله. إعداد: جماعة من العلماء. الرياض: دار السلام ، ط٢: ١٤٢١.
- مصنف ابن أبي شيبة، د.ت.
- المناهج المعاصرة، د الدمرداش عبدالمجيد سرحان. الكويت: مكتبة الفلاح، ط١٤٠١.
- موقع الدرر السنية، Dorar.net.

الأسس المنهجية للتربية بالقرآن
وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية

إعداد

د/ آمال محمد حسن عتيبة

أستاذ الأصول الإسلامية للتربية المشارك

كلية التربية – جامعة أم القرى

ملخص البحث بعنوان:

"الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية"

د/ آمال محمد حسن عتيبة

أستاذ مشارك بكلية التربية جامعة أم القرى

يحمل القرآن الكريم منهجاً فريداً في طرحه الموضوعي الشمولي التكاملي المتوازن؛ فهو كتاب الله الخالد، الذي جاء لإصلاح الكون والحياة؛ فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، ووهبها مقومات الخيرية والعالمية والخاتمية، فصارت خير أمة أخرجت للناس، وقد شهد المولى عز وجل لها بذلك؛ فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ولقد أنزل الله – عزّ وجلّ– القرآن الكريم لتّتخذه منهجَ تربيةٍ وواقعًا يُعاش ودستورَ حياةٍ، تسعد البشريّة بالأخذ بتوجيهاته وتشريعاته، بما حوى من مفاهيم ومبادئ تربويّة صالحة لتربية البشر مهما تنوّعت أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم وقدراتهم. فالقرآن الكريم بما تضمنه من هداية إلهية وتشريعات سماوية؛هو مصدر التربية الأول الذي يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة،كل عوامل الطمأنينة والسعادة والأمن والاستقرار.

ورسول الله – ﷺ – هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل من الصحابة والتابعين؛ فكان ذلك الجيل (الرعيل الأول) ظاهرة فريدة عجيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلا بحيث استطاع النبي الكريم – ﷺ – أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ويخرجه من ظلمات الكفر والضلال والجاهلية ، إلى نور الإيمان والمعرفة

وسمو الخلق ؛قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (**الجمعة: ٢**) .

ومن الأهمية بمكان الرجوع إلى هذا النبع الطاهر الصافي الأصيل، وإلى معين التربية الأول، إلى القرآن الكريم ، حيث المجد والسؤدد في الدارين؛ فبرامج التربية ومناهجها وواضعي المناهج التربوية لأبنائنا وشبابنا ، في حاجة ماسة لترسم المنهج القرآني في التربية والإصلاح تأصيلاً وتطبيقاً من السيرة النبوية العطرة.

لذا فقد جاء هذا البحث الذي **يهدف** لإظهار دعائم الأسس المنهجية التي اعتمدها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم- ﷺ - في تربيته لأصحابه وتعليمهم؛ لاستنباط القيم العليا والمبادئ السامية والأسس المنهجية الفاضلة التي يجب أن نربي عليها الأجيال الجديدة؛ ؛لبناء المجتمع المسلم الفاضل.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام الغر المحجلين، نبينا (محمد ﷺ)، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً...أما بعد:

يحمل القرآن الكريم منهجاً فريداً في طرحه الموضوعي الشمولي التكاملي المتوازن؛ فهو كتاب الله الخالد، الذي جاء لإصلاح الكون والحياة؛ فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، ووهبها مقومات الخيرية والعالمية والخاتمية، فصارت خير أمة أخرجت للناس، وقد شهد المولى عز وجل لها بذلك؛ فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ولقد أنزل الله –عزّ وجلّ– القرآن الكريم لنتخذه منهجَ تربيةٍ ودستورَ حياةٍ، تسعد البشريّة بالأخذ بتوجيهاته وتشريعاته، بما اشتمل على مفاهيم ومبادئ تربويّة صالحة لتربية البشر مهما تنوّعت أجناسهم وألوانهم ومشاربهم وقدراتهم. فالقرآن الكريم بما تضمنه من هداية إلهية وتشريعات سماوية؛ هو مصدر التربية الأول الذي يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة، كل عوامل الطمأنينة والأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

ورسول الله ﷺ هو المربي الأول لهذه الأمة بمنهج الله، فقد أشرف على تربية جيل من الصحابة والتابعين؛ فكان ذلك الجيل (الرعيل الأول) ظاهرة فريدة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، بحيث استطاع النبي الكريم ﷺ أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي،

ويخرجه من ظلمات الكفر والضلال والجاهلية، إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الخلق ؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

فكان رسول الله ﷺ هو القدوةَ التي تترجم المنهج الإسلامي إلى حقيقة وواقع، قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولما سُئِلَت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت: (كان خُلُقُهُ القُرآنَ) (١).

وبهذا الأسلوب التربوي الفريد، استطاع القرآن أن يربي الرعيل الأول على هذه التربية العلياء. ومن الأهمية بمكان الرجوع إلى هذا النبع الطاهر الصافي ، وإلى معين التربية الأول، إلى القرآن الكريم، حيث المجد والسؤدد في الدارين.

إن برامج التربية ومناهجها وواضعي المناهج التربوية لأبنائنا وشبابنا، في حاجة ماسة لتتبع المنهج القرآني في التربية والإصلاح واستلهامه تأصيلاً وتطبيقاً من السيرة النبوية العطرة؛ لاستنباط القيم العليا والمبادئ السامية والأسس المنهجية الفاضلة التي يجب أن نربي عليها الأجيال الجديدة؛ ؛ لبناء المجتمع المسلم الفاضل.

موضوع البحث:

إن تربية الإنسان والأخذ بيده إلى ، منازل السمو والرفعة أمر يشغل بال المربين والناصحين العاملين والدعاة المخلصين؛ فبصلاح هذا الإنسان تصلح–بإذن الله– الأرض ويعمر الكون؛ لأنه يوجه طاقاته حينئذ إلى ما فيه صلاحه وصلاح مجتمعه؛

---

(١) أخرجه الألباني عن السيدة عائشة رضي الله عنها، في :صحيح الأدب المفرد – الصفحة أو الرقم234 : وقال صحيح لغيره. (تم الاعتماد في تخريج الأحاديث على موسوعة الدرر السنية "مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة" الموسوعة الحديثية: تيسر الوصول إلى أحاديث الرسول ﷺ).

فيكون عضواً نافعاً في هذا الكون العامر، وبفساده وانحرافه تتوجه هذه الطاقات إلى الفساد والإفساد، . والعلاج في ضبط هذه القدرات، وتوجيهها نحو الصلاح والإصلاح. باقتفاء منهج القرآن في الإصلاح والتعليم والسير على درب المصطفى ﷺ في التربية والتوجيه.

وهذا المنهج الرباني يتميز عن غيره من المناهج البشرية بجملة من المميزات وينفرد عما سواه بكثير من الإيجابيات؛ إنه منهج شامل متكامل متوازن، منهج عملي، يستوعب كل المستجدات والمستحدثات في حياة الإنسان؛ وهو بهذا يفتح أمام الناس باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق هذا الكون إلى الحد الذي تطيقه قدرة الإنسان وطاقته. وهو أيضا منهج يقوم على هذه الأسس ويعتمد على تلك الركائز،منهج يحمل في جنباته الشمول والعموم والدوام والاستمرار، ولا غرابة في ذلك فهو منهج جاء من عند خالق البشر وموجدهم وهو أعلم سبحانه بما يُصلح أحوالهم ويُقَوِّم اعوجاجهم ويلبي حاجاتهم.

كما تعد السنة النبوية صورة مجسدة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، وهي نموذج لإصلاح الحياة، تستوعب طرائق التربية والتعليم؛ يستفيد منه المعلم والداعية المسلم، فقد كان ﷺ معلماً ناجحاً ومربياً فاضلاً لم يأل جهداً في تطبيق أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم، خلال مختلف مراحل دعوته. ومن خلال سيرته العطرة ﷺ ظهر جيل الصحابة الفريد، الذي كان صدى للقرآن، والتطبيق العملي لحكم الله أمراً ونهياً (١).

---

(١) منال موسى علي دبابش: منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية ، فلسطين: رسالة ماجستير، غزة – الجامعة الإسلامية–كلية التربية – ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.ص٣.

ولو أن الناس جميعاً التزموا بهذا المنهج وطبقوا هذا الأمر في واقعهم، لاستقامت حياتهم وصارت كلها هناء ورخاء ورغد. ولم تبرز الظواهر الخطيرة في حياتهم من القلق والاكتئاب وفقدان السعادة ومعيشة الضنك والبؤس؛ مما يدفعهم في كثيرٍ من الأحيان إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم، وأن يوجهوا طاقاتهم، وما منحهم الله من قوة إلى الإفساد في الأرض بدل إصلاحها، وإهلاك الحرث والنسل بدل عمارة الأرض واستصلاحها. إن السبب في كل ذلك هو البعد عن منهج القرآن والسنة في التربية والاعتماد على المناهج البشرية القائمة على الفلسفة المغرقة بالمثاليات أو الماديات فهي دائماً على طرفي نقيض.

ويكمن الحلّ الأمثل في العودة إلى تلك المنابع الصافية –كتاب الله وسنة رسوله ﷺ – والأخذ من تلك المنابع واستخلاص الدروس والعبر؛ ففيها بإذن الله العلاج النافع والناجع. لذا فقد أرادت الباحثة الكتابة في هذا الموضوع: "**الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية**"؛ لإظهار دعائم الأسس المنهجية التي اعتمدها القرآن الكريم، وطبقها الرسول العظيم ﷺ في تربيته لأصحابه وتعليمهم؛ لاستنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم.

أسئلة البحث:

ومن هنا يتبلور موضوع البحث في السؤال الرئيس التالي:

(ما الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وما تطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية؟)

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم التربية بالقرآن وما أهميتها؟

٢. ما منهج القرآن في العهد المكي والعهد المدني في التربية والتعليم؟

٣. كيف طبق الرسول ﷺ دعائم الأسس المنهجية للقرآن الكريم في تربيته لأصحابه وتعليمهم؟

٤. ما المبادئ التربوية السامية المستنبطة من تطبيق الرسول ﷺ دعائم الأسس المنهجية للقرآن الكريم في تربيته لأصحابه وتعليمهم والتي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم؟

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على مفهوم التربية بالقرآن والتعرف على أهميتها.

٢. إبراز منهج القرآن المكي والمدني في التربية والتعليم والتعلم.

٣. إظهار دعائم الأسس المنهجية التي اعتمدها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) في تربيته لأصحابه وتعليمهم.

٤. استنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم.

أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث من شرف الموضوع الذى يتناوله؛ حيث يتعلق ببيان الأسس المنهجية للتربية بالقرآن، وتطبيقاتها في ضوء السنة النبوية؛ لاستنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم. فالقرآن الكريم معين لا ينضب تستفيد منه المؤسسات التربوية في المجتمع المسلم كافة ؛ من أجل إعداد وبناء جيل واع قادر على البذل والعطاء والإسهام في نهضة الأمة وتقدمها.

منهج البحث :

يستخدم البحث **المنهج الاستنباطي**: الذي يعد طريقة من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وفق ضوابط وقواعد محددة متعارف عليها؛ "وهي الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة

النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(١). وفي ضوء هذا المنهج سوف تقوم الباحثة بتحليل النصوص ذات الصلة بموضوع الدراسة والمعتمدة على الكتاب والسنة وتفسيرها؛ من خلال كتب التفاسير المعتمدة وكتب شروح الأحاديث.

كما تستخدم الباحثة **المنهج الوصفي**: باعتباره المنهج المناسب لطبيعة هذا الموضوع، وقد عرفه عبيدات وآخرون بأنه: "وصف الظاهرة التي يريد الباحث دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفيًّا أو تعبيرًا كميًّا"(٢). كم عرف أيضاً بأنه: "المنهج الذي يعنى بوصف ظاهرة معينة في الموقف الراهن فيقوم الباحث بتحليل خصائص تلك الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها"(٣).

وتستخدم الباحثة هذا المنهج عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع البحث.

مصطلحات البحث :

تتحدد مصطلحات البحث على النحو التالي:

١)**الأسس**: هي "جملة المنطلقات العقدية والتشريعية والفكرية التي ينبثق عنها نظام تربوي متكامل ومتوازن يهتدي بهديها ويتحدد في ضوئها"(٤).

---

(١) حلمي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله: المرشد في كتابة الأبحاث، ط ٦، جده: دار الشروق، ١٤١٢هـ، ص٤٣.

(٢) عبيدات، ذوقان وآخرون، البحث العلمي النوعي والكمي، ط١، ١٤٢٣هـ، ص ٩٥.

(٣) أحمد الصباب: الأسلوب العلمي في البحث، جدة: دار عكاز، ١٤٠١هـ، ص ١٠٧.

(٤) أبو دف، محمود خليل: مقدمة في التربية الإسلامية، غزة: مكتبة آفاق، ٢٠٠٧م، ص٣٥.

ويقصد بالأسس في البحث الحالي؛ المنطلقات العقدية والأخلاقية والفكرية التي تضمنها القرآن الكريم وطبقها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه.

٢) **المنهجية**:هي:"مجموعة القواعد العامة التي يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة"(١).

وتعرف في البحث الحالي: بمنهج القرآن الكريم في تربية الإنسان والذي يشتمل على مجموعة القواعد والمبادئ والقيم التي أقرها القرآن الكريم كمنهج لتربية الإنسان وطبقها الرسول في تربيته لأصحابه.

محاور البحث :

من أجل الإجابة على أسئلة البحث وتحقيق أهدافه؛ تعرض الباحثة الموضوع وفقا للمحاور التالية:

المحورالأول: مفهوم التربية بالقرآن وأهميتها.

المحور الثاني: دعائم منهج التربية في القرآن المكي والمدني.

المحور الثالث: نماذج تطبيقية من تربية الرسول ﷺ وتعليمه لأصحابه وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن.

المحور الرابع: المبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول (عليه الصلاة والسلام) لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه وتعليمهم.

وأخيرًا : نتائج البحث وتوصياته.

---

(١) الرفاعي، عبد الجبار: أصول البحث، مجلة التوحيد، ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

المحور الأول

مفهوم التربية بالقرآن وأهميتها

لتوضيح معنى التربية بالقرآن تجلي الباحثة هذا المفهوم من خلال: توضيح معنى القرآن لغة واصطلاحاً، وكذلك مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح، ثم تقدم على إثره مفهوما للمصطلح (التربية بالقرآن)، وتختم المحور بأهمية التربية بالقرآن؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً : تعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً:

وردت عدة أقوال في معنى القرآن في **اللغة:**

فالقرآن في اللغة العربية مصدر مشتق من "قرأ" يقال قرأ قراءة وقرآنًا، والمصدر يدور على الجمع والضم، ومنه قوله تعالى : **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة١٧-١٨). ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علمًا،** "قال أَبو إِسحق النحوي[١]: يُسمى كلام الله تعالى الذي أَنزله على نبيه ﷺ ؛ كتابًا وقُرْآنًا وفُرْقانًا، ومعنى القُرآن معنى الجمع، وسمي قُرْآنًا؛ لأَنه يجمع السُّوَر، فيَضُمُّها. وقوله تعالى : إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فَإِذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ [٢].

(١) إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي النحوي، قال ياقوت: كان من العيان في اللغة والنحو، قيماً بالكتابة وقرض الشعر؛ أخذ عن الفارسي والسيرافي، وورد بخاري فبجل، فأخذ عنه أبناء رؤسائها، ولى التفصح بديوان الرسائل، وصنف وأملى، وشرح كتاب الجرمي، وناقض المتنبي، وحفظ الطم والرم، مات سنة نيف وستين وستمائة.. راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - حرف الهمزة ج١ ص٣١٧

(٢) ابن منظور الأفريقي:لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٥/ ٦٩باب القاف.

وقال الإمام الزرقاني[١] في كتابه (مناهل العرفان)" أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسمًا للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله...". [٢] أي أنه ليس بمشتق ولكنه علم على كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ " وكان يقول: القُران اسم، وليس بمهموز، ولم يُؤْخذ من قَرَأْت، ولكنَّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإِنجيل، ويَهمز قرأْت ولايَهمز القرانَ." [٣].

القرآن هو التنزيل العزيز، أي المقروء المكتوب في المصاحف وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه. قرأه وقرأ به بزيادة الباء كقوله تعالى: تنبت بالدهن، وقوله تعالى: يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، أي تنبت الدهن ويذهب الأبصار. [٤].

ولقد تعددت آراء العلماء في تعريف القرآن **اصطلاحًا** ؛ وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر منها العلماء إلى القرآن الكريم.

---

(١) هو الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرقاني بضم الزاي وتشديدها، ولد في قرية زرقان بمحافظة المنوفية بمصر، وينسب إليها، وكان مولده في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وقبره معروف في قرية الجعفرية. عاش في مصر، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمًا دينيًا، ثم التحق بالأزهر، وتخرج في كلية أصول الدين، وعمل بالتدريس، بالمعهد الأحمدي في مدينة طنطا، ثم بكلية أصول الدين في الأزهر بالقاهرة. وكان شاعرا، و هـ قصائد نشرتها جريدة سفينة الأخبار بـ(طنطا)، منها: قصيدة «تحية الدين لنادي جمعية الشبان المسلمين» – أكتوبر 1928. ، . وفي شعره حكمة وموعظة وتأمل في أحوال الدنيا والآخرة، ودعوة إلى العلم والدين، وإعلاء للقيم الإسلامية، وحض عليها، مع المحافظة على وحدة الوزن والقافية. وله كتابان مطبوعان: مناهل العرفان في علوم القرآن، وفي الدعوة والإرشاد. توفى سنة ١٣٦٧هـ ووقبره معروف في قرية الجعفرية مركز السنطة محافظة الغربية من أعمال مصر. راجع: – خير الدين الزركلي: الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٩٠، – فهارس المكتبة الأزهرية – القاهرة – ١/١٩٤، ٧:٤٧٧.

(٢) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن)– بيروت: دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، ١/ ١١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٥/ ٦٩باب القاف.

(٤) محب الدين المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية للنشر والتوزيع)، ١/١٨٦.

ومن تلك التعريفات، ما يلي:

-"القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المبدوؤ بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس"(١).

-"هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ بلفظه ومعناه والمنقول إلينا بالتواتر"(٢).

هذا الإطلاق "ينسب إلى علماء الأصول والفقه واللغة العربية، ويوافقهم عليه المتكلمون أيضا، غير أن هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزل اختلفوا في تعريفه فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر كثير من خصائص القرآن الفريدة، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنم من اقتصد وتوسط

ثانياً: مفهوم التربية لغة واصطلاحاً(٣):

كلمة "تربية" من حيث **مدلولها اللغوي** تنتمي إلى الجذر الثلاثي "رَبَ"، والفعل منه "رَبْىَ"؛ وبالرجوع إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة التربية: وهو رَبَ ورَبْيَ، نجد أنها ترجع إلى أصول ثلاثة:

---

(١) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ص١٥.

(٣) زينب الحسن أبو علي:أسس التربية بين التأصيل الشرعي والمفارقات الحداثية، موقع تربيتنا (نحو تربية إسلامية واعية)، ١/١٢/١٤٣٥هـ.

الأصل الأول :رَبَا، يَربْوُ، رُبُواً، ورِبَاءً: أي نما وزاد، وأَرْبَيْتُه:نميته[١] وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ..﴾ (الروم:٣٩)، أي فلا يزداد[٢].

وسمي الربا ربا لما فيه من الزيادة على رأس المال. وقوله تعالى: ﴿...وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ...﴾ (البقرة:٢٧٦)، أي ينميها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة إلى سبعمائة ضعف[٣] وإلى اضعاف مضاعفة لا يعرف مداها إلا الله تعالى.

وقوله تعالى:﴿... وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ...﴾(الحج:٥)، أي ارتفعت وانتفخت[٤].

والربوة ما ارتفع من الأرض، وسميت بذلك لما فيها من الزيادة التي بها ارتفعت عما جاورها. والفعل "ربّى" مضعّف يتضمن معنى التدرج والتعهّد المستمر؛ يقول رسول الله ﷺ: "لاَ يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلاَّ أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ حَتَّى تكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ"[٥]. وتربية الفلو إنما تكون بتعهّده بما يصلحه في غذائه وصحته ورياضته على ما يريده منه مربيه حتى يصل في نموه وإتقانه إلى منتهاه.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٤/١٤، ٣٠٦، (مادة:ربا).

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٥/٢١.

(٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمدبن فرح الأنصاري، ت/٦٧١هـ:الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، مج٢٠، ط٢، القاهرة:دار الشعب، ١٣٧٢هـ، ٣٦٢/٣.

(٤) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت / ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم، مج٤، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ، (د.ط)، ٢٠٩/٣.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة -الصفحة أو الرقم1014 :

والأصل الثاني: ربَاَ، يُرْبِي: بمعنى نشأ وترعرع، ورَبَوْتُ ربُوُاً ورَبْواً، ورَبَيْتُ رَبَاءً ورُبِياً: أي نشأ فيهم، ورَبَيْتُ فلاناً أُرَبيه تَرْبِيةً: أي غذوته[(١)].

أما الأصل الثالث: رَبَ يَرُبُ بمعنى ربّاه وأصلحه ومتّنه وحضنه، ورَبَ زيد الأمر: إذا ساسه وقام بتدبيره، وربّاه: أي أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولة، ومنه قيل للحاضنة رَابّةٌ ورَبِيْبةٌ لأنها تصلح الشئ وتقوم به. وقد ورد ذكر التربية بهذا المعنى في القرآن الكريم؛ يقول الله تعالى على لسان فرعون مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء:١٨). ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿...وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٤). ورَبَبْتٌ الأمر أَرُبه رَبّاً: أي أصلحته ومتنته وأجدته وطيبته[(٢)].

وفي الحديث الشريف: (هل لك عليه من نعمة تَرُبُهَا؟)[(٣)]. أي تقوم بأسباب دوامها وإصلاحها[(٤)].

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٧/١٤، (مادة:ربا)، مرجع سابق. الفيروز أبادي: محمدبن يعقوب، ت/٨١٧هـ، القاموس المحيط: تحقيق العرقسوسي، ط٥، بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، ص١٦٥٩، (مادة:ربا).

(٢) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، ت/١٧٥هـ:كتاب العين، تحقيق: المخزومي والسامرائي، ج٨، مكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت)، ٢٥٧/٨، ، (باب:رب). ابن منظور: لسان العرب، ٤٠١/١، (مادة:ربي)، مرجع سابق.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحصحه، كتاب البر والصلة، باب(فضل الحب في الله)، ح(٢٥٦٧).

(٤) ابن الجوزي، بو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت/٥٩٧هـ: غريب الحديث، ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ٣٧١/١، . والنووي:يحيى بن شرف، ت/٦٧٦هـ:شرح النوويعلى صحيح مسلم، مج١٨، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ، ١٢٤/١٦

والرَب: المصلح والمدبر والقائم والمربي[١].

والرباني من الرب بمعنى التربية[٢].

أي العالم الذي يربي الناس بصغار العلوم قبل كبارها[٣].

وقال الطبري: "الرباني: الجامع إلى العلم والفقه البَصَر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم[٤].

وقد استند بعض المتخصصين[٥]. انطلاقا من هذه الأصول اللغوية إلى أن **التربية تتكون من مجموعة من العناصر أهمها** مايلي:

١. المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

٢. تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهي كثيرة ومتنوعة.

٣. إيصال كل مربي إلى درجة كماله الخاصة التي هيأه الله لها.

٤. توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب للعمل في الأرض والقيام بحق الخلافة فيها عن الله عز وجل.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، ت/٣٩٥هـ: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مج٦، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م/٢/٣٨١، ٣٨٢. والزبيدي، محمد مرتضى، ت/١٢٠٥هـ: تاج العروس، تحقيق: علي شيري، مج٢٠، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م، ٢/٤، ٦، (مادة:ربب).

(٢) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت/٦٠٦هـ: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مج٥، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٩٧م، ٢/١٨١.

(٣) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت/٢٥٦هـ: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المشهور بالجامع الصحيح، تحقيق:مصطفى ديب البغا، مج٦، ط٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م، ١/٣٧، كتاب العلم، باب (العلم قبل القول والعمل).

(٤) الطبري: جامع البيان، ٣/٣٢٧، مرجع سابق.

(٥) علي أحمد مدكور، مناهج التربية – أسسها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٩.

٥.التدرج في هذه العملية وهو ما يشير إليه الراغب الأصفهاني بقوله: "حالا فحالا".

وفي الاصطلاح: فإن مفهوم التربية له علاقة وثيقة بالمفهوم اللغوي، ومن آراء العلماء قول الراغب الأصفهاني في معجمه(١): "الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"، يقال ربه ورباه ورببه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن، فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله تعالى: ﴿... كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ (سبأ: ١٥). وقول البيضاوي: "الرب: مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً"(٢).

وبالرجوع إلى الأصول اللغوية نجد أن لكلمة التربية معنى الزيادة والنماء، وهو مشتق من ربا يربو ربا وربابة، وهذا المعنى يعاضد ما ذكر قبلا من الإنشاء حالا فحالا والإصلاح تدريجيا.

وقد اختلف العلماء والباحثون المحدثون في تعريف مفهوم التربية، ومرد هذا الاختلاف يرجع إلى خلفياتهم الثقافية واتجاهاتهم الفكرية والتربوية وتخصصاتهم، واختلاف نظرتهم نحو أغراض التربية وأهدافها؛ فمنهم من عرفها بمعني التثقيف(٣).

---

(١) الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط ١،، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ص ٢٠٨،، (مادة:رب):

(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، ت/٧٩١هـ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج٢، ط٢، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٥م، ٣/١.

(٣) شلبي، أحمد: التربية الإسلامية، ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م، ص٧.

ومنهم من قدمها بمعني التعليم[١]. أو التأديب والتهذيب[٢]. أو تزكية النفس[٣]. ومنهم من قدم لها تعريفاً على إنها عملية اجتماعية[٤].

وعرفها جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢م)، -الفيلسوف والمربي الأمريكي- بأنها: "عملية تكوين ذات الفرد وخبراته بضبط النفس والسيطرة عليها"، كما وصفها بأنها:" عملية تجدد ونمو وإعداد وتوجبه مستمر"[٥].

ويمكن ملاحظة سيطرة النظرة الجزئية على المفاهيم السابقة التي قُدمت للتربية، كما يمكن من خلالها التعرف على المفهوم الشامل الذي قدم لها بأنها: "تلك العملية التي تساعد على تشكيل عقل الفرد وخلقه وجسمه"[٦].

ثالثاً: التربية في الفكر التربوي الإسلامي:

والتربية بمعناها الشمولي في الفكر الإسلامي تهتم بالفرد منذ سنين عمره الأولى بادئة بالحفاظ على مقومات الفطرة السليمة والبراءة الأصلية التي خلقه الله عليها، وتنمية مواهبه واستعداداته الفطرية؛ بصقلها وإضافة مهارات مكتسبة من الخبرات المختلفة التي تزخر بها الحياة. وتوجيه ذلك كله بشكل تدريجي لصياغة كيان الإنسان، بشكل إيجابي في كل مناحي الحياة، جسديا وعاطفيا واجتماعيا وفكريا

---

(١) السيد، محمود أحمد: معجزة الإسلام التربوية، الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٨م، ص٢١. و بدران، شبل: التربية والنظام السياسي ، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ص٦٤. وجرادات، عزت: تربية الطفل في الإسلام، عمان: المركز الثقافي الإسلامي، ١٩٨٣م، ص٧.

(٢) خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد: الفكر التربوي وتطبيقاته، مصر: مكتبة وهبة، ١٩٨٤م، ص١٣١.

(٣) عرعور آل، عدنان بن محمد: صفات الطائفة المنصورة، ط٢، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٩٩٥م، ص٧٥.

(٤) جرادات، عزت، وهيفاء أبو غزالة: مدخل إلى التربية، عمان: دار الفكر، ١٩٨٣، ص٩.

(٥) ديوي، جون: الديمقراطية والتربية، ترجمة: نظمي لوقا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م، ص٥٢.

(٦)العلواني، طه جابر: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، ٨٨٦/٣.

وفنيا وأخلاقيا وروحيا وثقافيا؛ بالاستعانة بجميع الوسائل والطرق والأساليب المشروعة؛ لتهذيب السلوك وصقل المواهب؛ بغية إيصال الفرد إلى حالة الكمال الإنساني، التي تمكنه من القيام بالتكاليف الشرعية، وتحمل مسؤولية عمارة الأرض وحمايتها من الفساد؛ لتحقيق خلافته عن الله فيها، والغاية من ذلك كله الحصول على رضى الله تعالى[1].

ومما سبق يتضح أن معنى التربية في الفكر الإسلامي هو استثمار للفطرة السليمة التي خلق عليها الإنسان مع اتباع الأخلاق والقيم الإسلامية التي تنمي الفطرة السليمة في النفس البشرية، إضافة إلى اكتساب خبرات ومهارات خارجية تنمي شخصية الفرد وتوجه مداركه وتصقل مواهبه، فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه وربما يتعداه إلى غيره من المجتمعات الإنسانية.

كما أن التربية في الفكر الإسلامي أسلوب لبناء الإنسان بناءً شاملاً متكاملاً بوصفه فرداً مسلماً وبوصفه جزءاً من المجتمع الإسلامي؛ ويتحقق ذلك من خلال النضج الكامل في شخصيته[2].

رابعاً : مفهوم التربية بالقرآن[3]:

عالج القرآن الكريم المسائل التربوية بكثير من الاهتمام والوضوح، وركّز على بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تتفاعل فيها عوامل التيقن والتدبر والتقوى. وكذلك السعي للوصول بالإنسان إلى مراحل النضج والكمال ليخوض تجربته في

---

(١) علي مدكور، مناهج التربية –أسسها وتطبيقاتها، القاهرة:دار الفكر العربي،١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٣.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان: التربية والتجديد، مكة: دار الاستقامة، بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٧م، ص١٧.

(٣) الموسوعة الإسلامية، إنعام الكاظمي: مفاهيم في التربية القرآنية، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٨م، مجلة الطاهرة/ العدد ١٩٢ لسنة ٢٠٠٨م.

الحياة بجدارة واقتدار، باعتبار أنّ صياغة المحتوى الداخلي للإنسان هي الأساس لعملية التغيير الاجتماعي، والقاعدة التي تستند عليها كل المظاهر الخارجية والأبنية العلوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد: ١١).

أما إذا كانت عملية التربية تستهدف المظاهر والقشور الخارجية ولا تنفذ إلى القلب وأعماق الروح، فإنّها إذن ستتحول إلى مجرد تصورات وكلمات وألفاظٍ جوفاء بلا مضمون أو محتوى. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥).

وتستهدف عملية التربية في المفهوم القرآني بناء الجانب الخيّر في الإنسان، وهدم مظاهر السلبية والانحراف والفساد في حياته، وتوجيه طاقاته نحو الخير والبناء والإعمار، بعد تعريف الإنسان بربه الكريم تعريفاً يقوم على أساس من الفهم والمنطق السليم، وتوضيح طبيعة هذا العالم الهائل المترامي الأطراف وكنهه، وتفسير جوهر الحياة الدنيا والغايات الكامنة وراءها؛ من أجل أن يدرك دوره على هذه الأرض وواجباته المستحقة عليه وحقوقه المترتبة له.

وينطلق منهج التربية في القرآن الكريم من حقيقة أنّ كلّ إنسان يولد على الفطرة، وأنّه يمتلك في نفسه الأرضية الصالحة التي تعينه على فعل الخيرات واجتناب المعاصي والآثام؛ قال عز من قائل: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠).

لذلك فقد عمل الإسلام على إبقاء فطرة الإنسان نقية سليمة، وتوفير الأجواء المناسبة من أجل أن يختار سبيل الصلاح والرشاد؛ ذلك لأنّ الإنسان على خلاف كل المخلوقات الأخرى يملك قوة واعية مدركة قادرة على التشخيص والاختيار، وهو مسؤول عن هذا الاختيار ويجازى عليه ويحاسب عليه، وهو يستطيع أن يستخدم هذه القوة لتنمية استعدادات الخير في نفسه، كما أنّ له الحرية أيضاً في الانسياق وراء الشر والالتحاق بجموع الضلال، والسقوط في هاوية الشذوذ والإنحراف.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(الشمس: ٧-١٠)، كما يقول أيضاً:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾(البلد: ٤-١٠)، ويقول تعالى في موضع آخر:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠-٤١)، كما قال عز من قائل:﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ (القيامة: ١٤-١٥).

فقد رفع الله من قيمة الإنسان حين جعله أهلاً لاحتمال تبعة أعماله، ووضعه في المكان الذي يليق به كمخلوق نفخ فيه من روحه، وفضّله على العالمين. قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء: ٧٠).

لذا فإن مسألة التربية بالمفهوم القرآني تتعلق في جزء كبير منها بالإنسان نفسه، فقد فاز من نجح في ترويض ذاته وإصلاحها وإبعادها عن مواطن المعصية والجريمة، في حين خسر كل من تركها عرضة لإغواء الشيطان وإغراءاته ووساوسه يقودها كيفما أراد، وأنى رغب أو شاء.

وبما أنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، وعن تهذيبها وتخليصها مما قد يعلق بها من شوائب وأدران، فإنّه لابدّ إذن أن يحتاج إلى دليل عمل وثقافة ومعرفة تعينه على الثبات والاستقامة، ومواصلة الطريق الصعب رغم كل المزالق والعقبات، وهذا الدليل هو **القرآن** الذي يهدي للتي هي أقوم، وفيه **تبيان** لكل شيء وهو هدى ورحمة وبشرى للمسلمين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩)، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩)، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١).

ولم تقتصر المفاهيم القرآنية التربوية على المسائل النظرية والتوضيح والتوجيه فحسب، وانما طلبت من الإنسان استقراء الحوادث التاريخية، والاستفادة من تجارب الآخرين والتعلم من أخطائهم وعثراتهم. ودعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في المصائر التي آلت إليها الأقوام السابقة من الذين مضت فيهم سنة الأوّلين لاستخلاص النتائج والعبر ومن ثمّ مواصلة المسيرة على هدى وبصيرة؛ قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (محمد: ١٠)، ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٥-٤٦).

وعلى ذلك فإن القرآن هو العامل الأساس في تربية الإنسان المسلم، فهو ليس مجرد معارف يحصل عليها الإنسان من أجل الترف الفكري، إنما جملة من الأصول والقواعد التي تمكّن الإنسان من استيعاب الحياة وكيفية العيش فيها والتعايش معها وفق منهج الله تعالى، ومن ثم تشذب سلوكه وترسم له معالم الصراط المستقيم.

وقد بيّن القرآن الكريم للإنسان المسلم المثل الأعلى الذي عليه أن يتشبه به ويقترب منه، وذلك لأنّ الإشارة إلى النموذج والقدوة يمنح المفهوم مثلاً حسياً ملموساً وقوة حركية تجسّد الأفكار على صعيد الواقع والعمل، وتتمثل القدوة بالرسول الأكرم محمد ﷺ الذي يعد مثالا للشخصية الإنسانية المتكاملة التي تتصف بكل الخصائص النبيلة السامية كالصدق والشجاعة والثبات والروح الحانية والنفس السخية الكريمة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(الأحزاب: ٢١).

وقد تكون التربية مسؤولية جماعية حيث حرص القرآن الكريم على تحفيز العناصر الخيّرة في الأُمّة، إلى مهاجمة المنكر وإزالة آثاره من صفحة الوجود، وطلب من الطليعة المؤمنة أن تقف يقظة حذرة تجاه أيّة بدعة، وكل ما يخلّ بالنظام السليم

للحياة الاجتماعية والاستمرار في الوقت نفسه، بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإحسان. قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (التوبة: ٧١).

وبناء على ما سبق يتضح أن التربية القرآنية جزء من التربية الإسلامية، بل هي أساسها وأصلها؛ باعتبار أن القرآن الكريم هو روح التربية الإسلامية وأساسها[(١)].

فالتربية القرآنية هي: "التربية الشاملة القائمة في كل جانب منها على القرآن الكريم والمنبثقة من تعاليمه ومفاهيمه"[(٢)]. وهي أيضا: "المنهج القرآني الذي أودعه الله عز وجل في كتابه الكريم لصياغة الإنسان وتوجيهه ورعاية جوانب نموه المختلفة بما ينسجم مع فطرته وضمان سعادته في الدنيا والآخرة"[(٣)].

---

(١) رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢، ص١٩.

(٢) طه جابرالعلواني، مرجع سابق.

(٣) اعمير، أنور أحمد داود: التربية القرآنية في سورة النور، فلسطين: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٢٣.

خامساً : أهمية التربية بالقرآن :

تنبع أهمية التربية بالقرآن من كونها تربية نابعة ومستنبطة من كتاب الله عز وجل، وأنها أحكام وتشريعات من عليم حكيم، خلق الإنسان وهو أعلم بما يحقق له السعادة والخير والصلاح، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

ومن خلال التعمق في المنهج القرآني تتضح **أهمية التربية بالقرآن وذلك على النحو التالي**(١):

١. **أنها تحقيقاً لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه:** فإن الله تعالى لم ينزل القرآن الكريم كتاباً للتلاوة فقط، ولكن ليكون المنهاج الحي لتربية أبناء الأمة وإعدادها لدور القيادة الراشدة. فهذه هي المهمة الرئيسة للقرآن الكريم والتي تبدو جلية واضحة في أكثر من موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١). حيث أخبر ﷻ أنه أنزل الكتاب ليهتدي به الناس ولتكون به حياة قلوبهم وعزهم وشرفهم، وأمرهم فيه بالمكارم ونهاهم عن اقتراف الآثام والحرمات.

٢. **أنها تمثل خلاصة منهج الرسل عليهم السلام في تغيير أحوال أقوامهم:** لقد بعث الله الرسل لتعريف الناس بخالقهم وحثهم على طاعته وعبادته، وإرشادهم إلى طريق الحق وتزكية نفوسهم. وقد بعثهم الله تعالى بهذه الرسالة وولاهم هذه المهمة وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى

(١) انظر على سبيل المثال: محمد بن عبد الله آل عمرو، ومحمود يوسف الشيخ: أصول التربية الإسلامية، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. وأيضاً: سعيد إسماعيل علي: الأصول الإسلامية للتربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وأيضاً: أحمد الحمد: التربية الإسلامية، الرياض: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾(الجمعة: ٢).

٣. **أن العمل بها ضرورة وفريضة:** فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية البشر وتطبيق أحكامه والتزام شريعته وحمل رسالته، والعمل بالشريعة يقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه وتهيئته حتى يصلح لهذه المهمة، وهذا التطوير والتهذيب هو التربية بعينها. فلا تحقيق لرسالة القرآن الكريم وشريعة الإسلام إلا بتربية الفرد والمجتمع على الإيمان بالله وتحكيم شرعه والإئتمار بآوامره والانتهاء عما نهى عنه، يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾(النساء: ٦٥).

٤. **أنها تمثل منهجاً تربوياً متميزاً وفريداً: حيث** تتفرد التربية القرآنية بمنهج تربوي متميز بخصائص لا توجد في أي منهج آخر على وجه الأرض، ومن تلك الخصائص؛ أنه منهج رباني المصدر والغاية، صادر من الله ﷻ للإنسان، وهدفه حسن صلة العبد بربه. كما أنه منهج عالمي؛ صالح للبشرية جمعاء؛ فالإسلام رسالة عالمية وشريعته شريعة كونية. وهو يتلائم مع الفطرة الإنسانية ويواكبها ويقدر مطالب النفس البشرية وحاجاتها.

المحور الثاني

دعائم منهج التربية في القرآن المكي والمدني

لعل أبرز ما يمتاز به منهج التربية في القرآن هو اهتمامه بمختلف النواحي المادية والروحية، فهو منهج شامل للجسم والروح وللعقل والعاطفة، يهدف إلى إعداد أجيال سليمة من الناحيتين النفسية والبدنية، مع تربية الغرائز الإنسانية كغريزة الجنس والتملك والاجتماع، وحب العلم؛ بإعطائها حقها المشروع وحمايتها من مظاهر الشذوذ والانحراف والحرمان. قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(القصص: ٧٧).

ولقد وصف القرآن الكريم النعم التي أخرجها الباري لعباده بالطيبات من الرزق، يتمتعون بها في الحياة الدنيا وهي خالصة للمؤمنين في الدار الآخرة قال تعالى:﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٣٢).

كما يرسخ القرآن في نفس المسلم ضرورة البحث والتأمل في مختلف فروع الحياة حتى يواصل الإنسان مسيرته التصاعدية وكدحه المستمر إلى ربه وبارئه. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(الزمر: ٩)، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ١٣).

وهكذا يفتح الإسلام الآفاق الرحبة أمام الإنسان، ويوفر له كل مستلزمات السير في طريق النور والرشاد ويدعوه إلى الترقي في مدارج العلم والكمال، فيما يملك الإنسان بدوره الوسائل الكافية للتلقي والاستجابة، وإدراك الأشياء والحكم عليها، ومن ثمّ فإنّه يجتاز الابتلاء وفق ما يريد ويختار.

ولقد تميز القرآن الكريم بمنهج فريد في التربية أتى أكله على خير ما يرام، وظهر ذلك جلياً في جيل الصحابة الكرام خير أمة أخرجت للناس. ومن سمات عظمة منهج القرآن الكريم في التربية أنه كان يختار الزمان والمكان والحدث والبيئة المناسبة لإحداث التغيير، بالإضافة إلى ظروف وأحوال الفرد والجماعة محل التغيير والتربية، ففي العهد المكي بظروفه وملابساته اتبع القرآن الكريم منهجاً معيناً يتناسب مع ذلك العهد، وفي العهد المدني كان للقرآن الكريم أيضاً منهجاً يتناسب مع ذلك العهد وذلك على النحو الآتي(١).

أ- دعائم منهج التربية في مرحلة العهد المكي: (ثلاث عشرة سنة):

قامت عملية التربية التي تبناها منهج القرآن الكريم في العهد المكي وفق دعائم محكمة ومتدرجة وذلك على النحو التالي:

١- إيقاظ الحس البشري في ذلك الحين؛ الموجه إليه خطاب التغيير القرآني ذلك الحس الذي طال سباته وأطبقت عليه الغفلة وغرق في أوحال الجاهلية. ولقد كانت الطرقات والصيحات والهزات العنيفة التي حملها الخطاب القرآني إلى مسامع المخاطبين في بداية عهده، تتركز جميعها حول النظر والتفكر والتدبر المتعلقة بأمور العقيدة، من توحيد الخالق وإثبات الوحي ولفت الأنظار إلى النشأة الأولى للإنسان،

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط٣- بيروت: دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ج٢، ص٥١.

والأحياء الأخرى في الأرض من نبات وحيوان، وإلى مشاهدة هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح، ومشاهد القيامة؛ الطامة والصاخة والقارعة والغاشية، ومشاهد الحساب والجزاء. صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة مع التقريع بها، والتخويف والتحذير وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين المكذبين[1].

٢- ومن دعائم منهج القرآن الكريم في العهد المكي تعريف الناس بالله واليوم الآخر وبقصص الأنبياء والمكذبين من قبل، وبقصة آدم مع إبليس وبأخلاقيات لا إله إلا الله؛ التي يريد الله ﷻ أن تحل محل أخلاق الجاهلية وكلها دروس في العقيدة[2].

وإلى جانب التنديد بالشرك في العهد المكي ندد القرآن الكريم بأخلاق الجاهلية المنتكسة ومفاهيمها الجاهلية الهابطة، ويضع في المقابل الأخلاق الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان السوي وهي متصلة بالعقيدة في الوقت نفسه؛ لأن العقيدة الإسلامية ليست نظرية أو لاهوتاً يدرس؛ إنما هي واقع سلوكي معين لابد أن يرى أثره في واقع الناس، ومن ثم كانت لها أخلاقيات متصلة بها ومنبثقة عنها تشمل الحياة كلها وتضع لها منهجاً مفصلاً[3]. وهذا يتسق مع منهج القرآن الكريم في التربية الذي ربط كل تصرفات الإنسان وشؤون حياته بالعقيدة لأنه لا يمكن أن يستقيم ذلك إلا بوجود العقيدة الحية الإيجابية المتمكنة من الوجدان والضمير التي تجعل سلوك الإنسان سوياً على الدوام دون انحراف أو زيغ.

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٨٠٠-٣٨٠١.

(٢) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٥١.

(٣) محمد المرجع نفسه، ص٥٦.

٣- كذلك من دعائم المنهج القرآني في التربية في العهد المكي؛ استثارة العواطف والوجدان إلى حقيقة الألوهية وهذه الحقيقة هي البوابة الرئيسة لعقيدة الفطرة التي أودعها الله في الفطرة لتنبهها إلى خالقها وتتوجه لله بالعبادة(١).

لذلك كان القرآن أول ما يباشر اتصاله بالإنسان يبدأ بفطرته فيوقظها ويذكرها بما هو مغروس في أعماقها ليجد أنها معترفة بوجود الخالق العظيم فهي في ذلك لا تحتاج إلى دليل، والقرآن الكريم حين يوجه نداءه للفطرة لتفيق وتعتدل في الطريق فأول جانب يلفت نظرها إليه ويطلب منها فعله هو جانب العقيدة فيأخذ بيدها إلى مظهر الملك؛ يتعمق بها في أسرار الملكوت، ويسألها مع كل لمسة وهمسة ومع كل لفتة وإشارة من مربي هذا؟ فلا تملك إلا أن تقول الله(٢).

لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة (الإنسان) بما في وجوده هو وبما في الوجود حوله من دلائل وإيحاءات، كان يستنقذ فطرته من الركام، ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطل وظائفها، ويفتح منافذ الفطرة لتتلقى الموحيات المؤثرة وتستجيب لها(٣).

هذا بصفة عامة، وبصفة خاصة كان القرآن الكريم يخوض بالعقيدة معركة حية واقعية. ومن ثم لم يكن شكل(النظرية)هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الخاص،إنما شكل المواجهة الحية للحواجز والمعوقات النفسية وغيرها وكان القرآن الكريم يواجه واقعاً بشرياً بكل ملابساته الحية ويخاطب البشرية بجملتها في خضم هذا الواقع(٤).

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ص ٩١.

(٣) سيد قطب: معالم في الطريق –مرجع سابق، ص٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٢، ٤٣.

إن القرآن الكريم وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة، كان يخوض بهذه الجماعة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها، ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة في تجمع عضوي حيوي، وتكوين تنظيمي مباشر للحياة ممثل في الجماعة المسلمة نفسها، وكان نمو الجماعة المسلمة في تصورها الاعتقادي وفي سلوكها الواقعي وفق هذا التصور[1]. هدم العقائد الفاسدة في القلوب وفي مقدمتها الشرك، وأقام على أثرها بنيان العقيدة الصحيحة الصافية النقية، بأسلوب مقنع سلس يفهمه العامة والخاصة ويفهمه الناس على مختلف مستوياتهم[2]. قائماً على الإقناع العقلي مرتبطاً بإثارة الوجدان والعواطف والانفعالات الإنسانية، إنه طرق العقل والقلب معاً حيث بدأ -أي القرآن الكريم- من المحسوس المشهود المسلم به كالمطر، والرياح، والنبات، والرعد، والبرق، والشمس، والقمر، ثم ينتقل إلى إثبات وجود الله وعظم قدرته وصفات الكمال، مع استخدام أسلوب الاستفهام أحياناً إما للتقريع وإما للتنبيه، وإما للتعجب، والتذكير بالجميل ونحو ذلك مما يثير في النفس الانفعالات الربانية: كالخضوع والشكر ومحبة الله ثم تأتي العبادات والسلوك الرفيع تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية[3].

٤- التدرج في عملية التربية حيث نزل القرآن منجماً حسب ما تقتضيه الأحداث، الأمر الذي كان يترك أثراً كبيراً في تربية نفس الرسول ﷺ وأصحابه، تمثل في تثبيت

---

(١) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص٤٢..

(٢) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – دمشق: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ-ص ص٢٢،٢١.

الفؤاد وترسيخ الإيمان[1]. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (الفرقان: ٣٢).

٥- اعتمد القرآن الكريم في التربية على العبرة والموعظة الحسنة، ولهذا اشتمل القرآن الكريم على الكثير من قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، والعقوبات التي حلت بالأقوام التي كذبت الرسل. ولقد ركز القرآن الكريم على الموعظة الحسنة كمنهج من مناهج التربية التي اتبعها؛ لما لها من إيقاع في القلب وتأثير على السلوك، لذلك أمر الله سبحانه الرسول ﷺ بأن ينتهج سبيل الوعظ الحسن المرغب، غير المنفر فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، ذلك لأن الموعظة الحسنة تزكية للنفس وتطهير لها وبتحققها يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفواحش[2].

٦- كما اهتم القرآن الكريم بضرب الأمثال على مستوى الأفراد؛ مثل قارون الذي كفر بالنعمة فحلَّ عليه غضب الله وعذابه وقد أشار الله إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص ٨١). وأصحاب الجنة الذين حرموا من النعمة نتيجة الشح وعدم الإنفاق في سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾

(١) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص١٩.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص٢٦.

(القلم:١٧-٢٠). وكان من منهج القرآن في التربية تعميق الصبر في نفوس الصحابة وتحمل المشاق بضرب الأمثال مرغباً في الخير وثوابه ومنفراً من الشر وعقابه بصورة فريدة كان لها إيقاعها في نفوس الصحابة، فقد استطاع المنهج القرآني إحياء إنسانية الإنسان وربطه بخالقه وبين علاقته بأخيه الإنسان وكون نظرته إلى الكون والحياة الدنيا وما بعد الحياة الدنيا من خلال العقيدة التي أرسى القرآن الكريم دعائم التربية عليها فاستقرت في القلوب فحولتها وفتحت بصائرها على الكون بما فيه ومن فيه فشعر الإنسان بإنسانيته وأحس أنه جزء من هذا الوجود ذو الرب الواحد والمعبود الواحد[١].

٧- اعتماد المنهج القرآني في التربية على الحجة الدامغة والاستنتاج والملاحظة والاستقراء[٢]. ولقد ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر؛ لقد كان يعالج القضية الأولى والكبرى والأساسية في هذا الدين الجديد؛ قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة؛ الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة. ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التشريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان وأنها استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان[٣].

---

(١) عبد الفتاح عاشور:منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص٢٨٣.

(٢) محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، المنصورة: دار الوفاء ، ١٤١٢هـ- ١٩٨١م، ص٩٤.

(٣) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص٢٤.

ب- دعائم منهج التربية في مرحلة العهد المدني:(عشر سنوات) :

ظل المنهج القرآني في التربية قائم على العقيدة حتى بعد رسوخها في أذهان اتباعها، فلم ينقطع الحديث عن العقيدة بانتهاء الفترة المكية، بل استمر حتى بعد تَكوُّن الدولة المسلمة في المدينة المنورة(١).

والفرق بين منهج القرآن الكريم في التربية في العهدين المكي والمدني يتمثل في إضافة خطاب آخر إلى خطاب العقيدة، ففي العهد المكي كان الخطاب واحداً للمخاطبين بالقرآن الكريم تمثل في العقيدة، أما في العهد المدني فقد أضيف إليه خطاب آخر تمثل في التشريعات والتوجيهات والتوعية السياسية وإعداد العدة للجهاد. وبعد أن كان الخطاب القرآني في العهد المكي يلقن من أجل بناء الأساس، صار في العهد المدني يلقن من أجل تشييد البناء بعد أن ترسخت قواعده في العهد المكي. إلا أن استمرار تلقين الخطاب القرآني للمؤمنين بعد أن آمنوا أمر ذو دلاله مهمة لأن معناه أن هذا الخطاب درس لا ينتهي ولا ينقطع أبداً مهما كانت حالة المؤمن من الإيمان فلا بد من التذكير الدائم حتى للمؤمنين.

والتأكيد على العقيدة حتى بعد رسوخها تعد إشارة واضحة إلى أن الشريعة بما تحمله من تكاليف وتوجيهات لا يمكن فصلها عن العقيدة كما أنها لا يمكن أن تلقى طريقها إلى التطبيق بصورة إيجابية بدون العقيدة. وبارتباط العقيدة والشريعة نتج عنها المعرفة الإيجابية بالله سبحانه وتعالى التي افتقدتها البشرية في جاهليتها قبل الإسلام كما تفتقدها اليوم في كثير من جوانب حياتها المختلفة.

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص٣٠.

ولقد كانت العقيدة في بداية العهد المكي تهيئ الفرد لتحمل الأذى، أما في عهد تأسيس الدولة وتشييد البناء – في العهد المدني –؛ فإن العقيدة ربت الفرد على تحمل المخاطر المتمثلة في الجهاد. والجهاد يتطلب قيادة ولذلك جاءت التوجيهات لاحترام أولي الأمر وطاعتهم في غير معصية لله سبحانه وتعالى والعودة إليهم في كل مشكلة حتى لا تنتشر الفوضى في التصرفات الفردية غير المنضبطة.

وفي العهد المدني عهد بناء المجتمع والدولة والحفاظ عليها بالجهاد، تم وضع أسس للجوانب الأخلاقية التي بينت علاقة المجتمع بعضه ببعض، وأسست للجوانب السياسية التي بينت علاقة الدولة والمجتمع المسلم باليهود والنصارى والمنافقين. بالإضافة إلى العديد من التوجيهات التي شملت جميع جوانب الحياة المختلفة التي كانت تنمو بسرعة في المجتمع الإسلامي الناشئ(١).

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

المحور الثالث

نماذج تطبيقية من تربية الرسول وتعليمه لأصحابه

وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن

ما أحوج الأمة اليوم إلى تلمس خطى الرسول ﷺ في تربيته أصحابه وصقل مواهبهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا باتباع هدي النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(الأعراف:١٥٨). فلقد أفرز منهج القرآن وتطبيقاته في الهدي النبوي في التربية جيلاً فريداً من البشر إنه جيل الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم–. فلنلتمس هديه ﷺ في تربية أصحابه؛ لنتعلم منه ﷺ كيف تكون التربية الصحيحة وطرقها.

لقد كان وضع البشرية يوم بعث النبي محمد ﷺ وضعاً يبعث على الحسرة؛ فالرذيلة والأخلاق الدنيئة هي السائدة، والفضيلة والأخلاق النبيلة مستغربة ومنبوذة، رأى ملوكاً ظالمة ورعية مستعبدة ورهباناً وأحباراً أصبحوا أرباباً من دون الله...، فنظر النبي ﷺ وكما هي طبيعة الأنبياء من قبل بين الرأفة والرحمة فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته رآه يسجد للحجر والشجر والنهر وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر، رأى إنساناً معكوسا قد فسد نظام فكره فإذا النظري عنده بديهي والعكس(١).

وقد استطاع الرسول ﷺ إحداث التغيير في مجتمع هذا وضعه وإنسان هذا طبعه؛ يقول الشيخ أبو الحسن الندوي(٢): "بالإيمان الواسع العميق والتعليم النبوي

---

(١) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ط٦ القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ص٧٨.

(٢)المرجع نفسه – ص ١٠٨-١١١.

المتقن، والتربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة وبفضل القرآن الكريم المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا تخلق جدته، بعث رسول الله ﷺ في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة. واستطاع أن يغير أوضاعها جملة وتفصيلاً، لقد وضع ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب أصاب الجاهلية في قلبها وصميمها فقضى على عقيدتها الفاسدة واجتث أخلاقها الفاجرة وأقام على إثرها عقيدة التوحيد وأخلاق لا إله إلا الله الفاضلة، فأخرج بذلك أمة خير أمة أخرجت للناس. والمنهج الذي أتبعه الرسول ﷺ في التربية هو منهج القرآن فإذا كان منهج القرآن الكريم في التربية يمثل الجانب النظري -إذا صح هذا التعبير- فإن منهج النبي ﷺ يمثل الجانب العملي التطبيقي فقد كان رسول الله ﷺ قرآناً يتحرك، وعندما سئلت عائشة-رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن). لقد كان للتغيير الذي أحدثه رسول الله ﷺ في نفوس جيل الصحابة الرعيل الأول للأمة الإسلامية أثر بالغ في تغيير ملامح مستقبل البشرية.

ويصف الشيخ الندوي(١). هذا التغيير قائلاً: "إن الانقلاب الذي أحدثه رسول الله ﷺ في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشرية، وقد كان هذا الانقلاب غريباً في كل شيء، غريباً في سرعته وفي عمقه وفي شموله وفي وضوحه وقربه إلى الفهم".

لقد استخدم الرسول ﷺ كل الطاقات الإنسانية لنشر دعوته وتحقيق المجتمع الذي أرسل من أجل بنائه وتحمل أنواع العذاب والجراحات للانتصار على الأعداء في كل مظهر من مظاهر الجهاد ضدهم(٢).لأن المعجزات الخارقة لم تكن طريقاً لدعوة

---

(١) المرجع نفسه – ٨٨

(٢) محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري –كتاب الأمة رقم ٦، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – رجب ١٤٠٥هـ- نيسان ١٩٨٥م، ص٦٣-٦٤.

الرسول ﷺ بل كان طريق دعوته تحريك العقل ودفع الإنسان إلى فهم نفسه وفهم ما حوله، وإدراك ما في الوجود من القوانين وأسرار ومحاولة اكتشافها لتسخيرها لصالحه وإقامة مجتمعه العادل عليها(١).

والدراسة الواعية لحياة الرسول ﷺ تعطينا البرهان القاطع على أنه ما من قانون من قوانين الحياة خلقه الله لأداء حق الأمانة والاستخلاف إلا اتبعه ﷺ لبناء المجتمع الإسلامي، سواء أكان ذلك في حياته الفردية أم في حياته الاجتماعية وسواء كان ذلك في سلم أم في حرب(٢).

وقد كان من أهم خصائص منهج الرسول ﷺ في التربية هو توحيد الله في أسمائه وصفاته والإيمان باليوم الآخر وبالعقيدة عموماً. وكان منهجه ﷺ في التربية إلى جانب ذلك موضوعياً موافقاً للفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، وقد كان نتيجة ذلك تزكية نفوس من شملهم ووصل إليهم منهج الرسول ﷺ في التربية.

وكانت **أول خطوة** خطاها الرسول ﷺ هي: زعزعة عقيدة الشرك، وكانت **الخطوة الثانية** هي: غرس عقيدة التوحيد؛ لتحل محل عقيدة الشرك.

وكانت **وسائل هذا المنهج متعددة ومتنوعة** منها: لفت الأنظار إلى بطلان الشرك، وبطلان تعدد الآلهة، وكذا ضرب الأمثال ولفت الأنظار إلى بيان حقيقة عقيدة التوحيد وإثباتها ، وبعد هدم عقيدة الشرك وإقامته ﷺ على أثرها عقيدة التوحيد، كانت **الخطوة الثالثة** وهي هدم سلوكيات وأخلاقيات عقيدة الشرك وإقامته على أثرها سلوكيات وأخلاقيات عقيدة التوحيد.

---

(١) المرجع نفسه – ص٦٤.

(٢) محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري –مرجع سابق، ص٦٤.

وكان القرآن المكي يتنزل بمعاني تربوية عقائدية وكان الرسول ﷺ يحدثهم عن الله عز وجل ويرسخ في نفوسهم جلال عظمته ويبين لهم في شخصه الكريم كيف تكون العبودية لله سبحانه وتعالى(١).

كما كان ﷺ يحدثهم عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال للكافرين وتكريم للمؤمنين وكان يحدثهم عن أخلاق لا إله إلا الله، ويتابع ممارستهم لها حتى تصبح عادة تلقائية، وسار منهجه ﷺ على هذا المنوال، حتى جاء الابتلاء لأن الجاهلية تضيق بدعوة وأخلاق لا إله إلا الله حتى في حالة المهادنة(٢).

الأمر الذي اضطر النبي ﷺ إلى أن يلجأ إلى الدعوة السرية لدعوة الناس واستمر على هذا المنوال حتى أذن له الله بالهجرة إلى المدينة. وقد زاد من فعالية منهج الرسول ﷺ في التربية والتغيير **التدرج في إحداث التغيير**؛ فلم يستعجل الخطى ولم يحاول قطف الثمر قبل أوانه.

وكان خطاب التغيير الذي حمله الرسول ﷺ موجهاً إلى العالم كله وعمل ﷺ على إحداث تغيير نفسي عميق للنفس الإنسانية ولم يقتصر في إحداث هذا التغيير على جانب واحد ولم يركز على داء بعينه بل عمل على إحداث التغيير في جميع جوانب الحياة، وعمل على إزالة كل الأمراض والعلل والأدواء؛ التي كانت تعاني منها البشرية في ذلك الحين واستئصالها ، وبذلك أتى النبي ﷺ التربية من الباب الواسع الذي ينبغي أن يؤتى، وصمم وأخرج مفتاح التغيير للعقل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين؛ الذين حاولوا فتحه بغير مفتاحه(٣).

---

(١) محمد قطب:منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص٥٨.

(٣) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مرجع سابق، ص ٨١-٨٣.

وكان سبيله في إحداث هذا التغيير قائم على العقيدة الخالصة الصحيحة، ورفض كل شيء يفسد ويعكر من صفوها، لأن الدخول في تفاصيل الإسلام تقتضي في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله ورفض ما يخالفها أو يناقضها، والخضوع لله والاستسلام له قبل الحديث عن الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم. لذلك ركز الرسول ﷺ على بيان حقيقة لا إله إلا الله، وكان ينادي في الناس (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) [(١)].

لأنه لا يمكن أن يكون اتباع حقيقي للإسلام وتغيير حقيقي لواقع الناس مطابق لما جاء به الإسلام ما لم يتم في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله، ورفض ما يخالفها أو يناقضها كنقطة بداية وانطلاق. وقد كانت وسلية الرسول ﷺ لإحداث عملية التغيير أداة تربوية متمثلة في عدة جوانب كان في مقدمتها:

١- الحكمة والموعظة الحسنة القائمة على الترغيب والترهيب:

وهي مجموعة أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ التي تربي في النفس دوافع تحبب عمل الخير وروادع تبعد عن عمل الشر اشتملت على كل أمور حياة الفرد المادية والروحية والفردية والاجتماعية والتعبدية والفكرية[(٢)].

٢- القدوة الحسنة:

لقد كان الرسول ﷺ مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي يراعي حاجات الناس على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم ويراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته وفي الكهل كهولته،

---

(١) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٢)عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية -مرجع سابق، ص ٢٢.

ويتلمس دوافعهم الغريزية فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه من كان في قومه ذو مكانة وهو من خلال ذلك يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته لتزكية نفوسهم شيئاً فشيئاً، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم وتوجيهها للعمل استغلالاً لطاقاتهم الجسمية والعقلية لتحقيق الخير والسمو وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع(١).

إن إيجاد منهج للتغيير متكامل قائم على خطة محكمة لنمو الإنسان، وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية، والاستفادة من طاقاته على أكمل وجه، لا يغني عن وجود دافع تربوي صالح للتغيير يمثله إنسان مرب، يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأهداف التي يراد بها إقامة المنهج التربوي(٢).

وهذا هو الذي حدث لجيل الصحابة لقد وجد فيه هذه القدوة بما تحمله الكلمة من معنى وبالتالي كان ذلك التغيير الكامل العظيم للإنسان الذي شمله ذلك التغيير. وقد عبر الله – سبحانه وتعالى – عن هذه القدوة بقوله: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالرسول ﷺ كان يمثل الجانب التطبيقي للقرآن الكريم، ولقد كان سلوكه وأقواله وأفعاله وتصرفاته وأخلاقه ﷺ ؛ قرآناً يشاهده ويلمسه الصحابة بصورة عززت فيهم جوانب التغيير والانفلات من الماضي بكل متطلباته ومعوقاته وترسباته.

والإنسان بفطرته يحتاج إلى قدوة تكون مثار إعجابه واحترامه حتى يرتبط بها في فعلها وقولها، وخاصة عندما يكون الإنسان في موقف غريب عليه لم يألفه بل ربما

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٤.

(٢)المرجع نفسه، ص٢٢٨.

ألف غيره، كما حصل عندما أراد الله – ﷻ – أن يهدم عادة وتقليداً ليس له أساس في منهج الله، وهو: التبني فعندما أراد الله ذلك كان الرسول ﷺ المبلغ عنه خير من ينفذ هذا الأمر، حتى يكون قدوة لمن وجه الخطاب إليهم فأمر الله رسوله ﷺ بالتزوج بمطلقة ابنه من التبني ليبين للناس عملياً بأن زيد بن حارثه ليس له شيء من حقوق البنوة الطبيعية، وتشريعاتها ولأن العادة والتقليد كانا ضاربين جذورهما في البيئة الجاهلية التي كان ينتمي إليها الصحابة قبل انتمائهم للإسلام. فإن ذلك كان سيصعب تنفيذه من قبل الصحابة، ولذلك كان لابد أولاً من القدوة في تنفيذ مثل هذا الأمر حتى يقتدي به الناس فكان الرسول ﷺ القدوة الذي باشر بنفسه بتكليف من الله عز وجل والذي نصه[1] ﴿...فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب:٣٧).

وتتجلى القدوة إلى جانب ما تم ذكره في المواقف التي تحتاج إلى تضحية كالحروب والإنفاق ونحو ذلك وقد مارس الرسول ﷺ بكل فعالية واقتدار أخلاقيات وسلوكيات القدوة الحسنة في شأنه كله في الحرب والسلم؛ ففي غزوة الخندق كان يحفر بيده الشريفة مع أصحابه وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان لهذه القدوة أكبر الأثر في نفوس الصحابة. وتجلت عظمة أثر هذه القدوة عندما أمر الرسول ﷺ أصحابه في صلح الحديبية أن يتحللوا من العمرة فلم ينفذوا وعندما قال رسول الله ﷺ لزوجه أم سلمة (هلك الناس أمرتهم فلم ينفذوا) أو كما قال ﷺ قالت له: (أفعل أنت ذلك حتى إذا فعلت فعلوا) وبالفعل عندما رأى الصحابة رسول الله

---

(١)عبد الرحمن النحلاوي – أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ، ص٢٢٩.

ﷺ باشر ذلك قاموا على الفور وفعلوا مثل ما فعل الرسول ﷺ. وتأثير القدوة في نفوس الناس أمر طبيعي؛ لأنها نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع لأنها رغبة ملحة تدفع الإنسان مهما كان عمره إلى محاكاة سلوك من هو في موضع القدوة(١).

والقدوة الناجح هو الذي يتطابق قوله مع فعله وهذا ما كان رسول الله ﷺ يتميز به، لذلك وصف بأن خلقه كان القرآن وكان قرآناً يتحرك. والقدوة الحسنة في أبسط معانيها تعني الشخصية المتكاملة السوية التي يتطابق قولها مع فعلها، وفي المقابل نجد القدوة السيئة بخلاف ذلك. ولذلك حثَّ الله عز وجل على اتباع القدوة الحسنة ممثلة في شخص الرسول ﷺ وحذر من القدوة السيئة ممثلة في المنافقين في كل زمان ومكان.

٣- البيئة الصالحة :

للبيئة أهمية كبيرة وأثر بالغ في إحداث عملية التغيير، ولذلك فإن أي تغيير لا يمكن أن يحقق أهدافه كاملة بدون إيجاد البيئة التي تتقبل التغيير المطلوب إحداثه. ومن هنا لم يهمل الرسول ﷺ دور البيئة في إحداث التغيير؛ لأن البيئة تترك في نفس الفرد المراد تغييره أثراً كبيراً، فهي المدرسة التي يأخذ عنها الإنسان عاداته وتقاليده.. والبيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد والإنسان بطبعه ضعيف ﴿..وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨).

ويندر أن يقاوم الإنسان عوامل الفتنة والإغراء، ومن الصعب تكليفه بالاعتدال والمجتمع الذي يعيش فيه منغمس في الفسق والفجور لذلك عمل الرسول ﷺ من

(١) المرجع السابق، ص ٢٣١.

الوهلة الأولى لدعوة التغيير على إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته ولم يفرض الله ﷻ ما فرض من حدود إلا بعد أن تم إيجاد هذه البيئة(١).

وقد طبق الرسول ﷺ المنهج القرآني في التربية من أجل إيجاد هذه البيئة على مرحلتين على النحو التالي:

المرحلة الأولى: كانت البيئة التي وجد فيها الرسول ﷺ في مكة، تُعارض بشدة التغيير الذي جاء به الرسول ﷺ (٢)، الأمر الذي جعل النبي ﷺ يفكر في إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته وقد تم إيجاد هذه البيئة على النحو التالي: (٣).

أ- التخلي شيئاً فشيئاً عن البيئة الجاهلية في مكة.

ب- السعي إلى تكوين بيئة خاصة بالمسلمين، وكانت دار الأرقم أبن أبي الأرقم نواة هذه البيئة.

ج- شعب أبي طالب: وهذه البيئة وإن كانت قد فرضت على النبي ﷺ بخلاف دار الأرقم، إلا أنها على الرغم من قساوتها قد أسهمت في تربية جيل الصحابة بصورة إيجابية. والبيئة التي تربى في ظلها الصحابة في العهد المكي، سواء تلك التي تم إيجادها برغبة من النبي ﷺ أو تلك التي فرضت عليهم؛ كانت بيئة خاصة بتكوين الفرد المسلم وتهيئته لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة.

---

(١) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(٢) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج٢، ص٤١٠.، عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص ٢٦٦ وما بعدها، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ، بيروت: دار النفائس – ١٣٩٧هـ، ص ٨٨، ٩٠.

المرحلة الثانية : إذا كانت البيئة التي أوجدها النبي ﷺ في العهد المكي قد اقتصرت على تكوين الفرد المسلم وتهيئته؛ لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة، فإن البيئة التي أوجدها النبي (صلى الله وسلم) في العهد المدني، قد اتسمت بالشمول؛ حيث شملت تكوين الفرد المسلم والمجتمع والدولة المسلمة بفعل الظروف التي توافرت لها وحرمت منها البيئة الإسلامية في العهد المكي.

وقد اختار الرسول ﷺ المدينة لتكون الوعاء الذي احتوى البيئة التي أنشأها الرسول ﷺ ليتم على أرضها استكمال عملية التربية التي بدأها في مكة المكرمة ولم يكن اختيار الرسول ﷺ المدينة قائماً على اختيار عشوائي أو قائماً على الاختيار الاضطراري، وإنما كان قائماً على الاختيار المدروس والمبرمج لتوافر الظروف الملائمة لإقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة(١).

وكان في مقدمة هذه الظروف المناسبة لجعل المدينة أكثر من غيرها داراً لهجرة رسول الله ﷺ وبيئة صالحة ومناسبة لاستكمال عملية التربية توافر الأنصار المؤيدين لدعوة الرسول ﷺ والذين كانوا نتيجة جهود الرسول ﷺ التربوية في العهد المكي والمتمثلة في اللقاءات التي تمت بين الرسول ﷺ من جهة وبين الأوس والخزرج من جهة أخرى؛ والتي تمخضت عن بيعة العقبة الأولى والثانية، التي قدمها الأوس والخزرج لرسول الله ﷺ ، وأرسل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – إلى المدينة سفيراً للرسول ﷺ ومعلماً للمسلمين من الأوس والخزرج وداعياً إلى الله ورسوله ﷺ في المدينة(٢).

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة – مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٣٣.

(٢) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة – مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٣٢.

وقبل أن يعزم الرسول ﷺ على الهجرة إلى المدينة عرض الأمر على المسلمين من الأوس والخزرج وأعطوا الرسول ﷺ عهداً لحمايته وحماية دعوته[1].

أما المرتكزات الأساسية للبيئة الصالحة والمناسبة لاستكمال عملية التربية التي عمل الرسول ﷺ على إيجادها في العهد المدني فقد تمثلت في الآتي:

أ- المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين: ذلك أنه لما قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجراً من مكة، كان أول عمل عمله ﷺ هو مؤاخاته بين الأنصار والمهاجرين، وكانت تلك اللحظة هي ميلاد الأمة الإسلامية، وفي الوقت نفسه ميلاد الدولة الإسلامية؛ حيث امتلكت مقومات قيامها والمتمثلة في الأرض والأمة، بعد طول معاناة استغرقت ثلاثة عشر عاماً. وإذا كان منهج القرآن ومنهج الرسول ﷺ في العهد المكي قد ركزا جهودهما على إيجاد العقيدة النقية الصحيحة القائمة على التوحيد، وهي الأساس الأول للتربية الإسلامية فإن المؤاخاة التي عقدها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار كانت بمثابة تدريب عملي على (الأخوة الإسلامية) التي بعثتها العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها[2]. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(الحجرات: ١٠). وكانت كذلك تدريبا عملياً على التكافل وهو من المعاني العميقة في بناء الجماعة المسلمة؛ حيث يتولى القادرون على أساس الأخوة في الله من جانب، وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر، لأن العقيدة تربي المسلمين على أن المال الذي في أيديهم هو مال الله في الحقيقة، هو الذي وهبه وإن شاء أخذه وهو الذي ملّكه لمن ملكه له، ومن ثم يختفي الجشع، وما دام آمن بهذا الدين، فإن الدين قد جعل

(١) محمد الغزالي: فقه السيرة، مرجع سابق، ص١٥٨، ١٥٩.

(٢)محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج٢، ص٦٩.

للمحتاجين إليه في المجتمع المسلم حقاً، فينفق المسلم جزءاً من ماله برضاء تام وقناعة بل يشعر بالارتياح عندما ينفق ذلك.

وهذا الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة التي لها مقدار محدد، والصدقات المتروكة للتطوع، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم الذي سبق أن تحقق في أول بناء شيد في مدينة رسول الله ﷺ [١].

وبالإخاء بين المؤمنين (مهاجرين وأنصار) الذي بناه الرسول ﷺ وأشرف على تنفيذ البناء بنفسه؛ ذابت العصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بتقواه، وجعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً ارتبط بالتضحية والإيثار، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة[٢]. وهكذا استطاع الرسول ﷺ بهدي القرآن، والحكمة التي أهداه الله إياها أن يوجد هذه الأخوة الحقة التي لم تشهد تكراراً في صورة جيل، وإن تكررت بصورة فردية عبر التاريخ.

ب- بناء المسجد:بعد أن فرغ الرسول ﷺ من بناء العقيدة النقية في نفوس أصحابه، وإيجاد الأخوة الإسلامية، شرع في بناء المسجد الذي تم من خلاله رفع نداء عقيدة التوحيد التي طالما حوربت وإقامة الصلوات التي تربط الإنسان بخالقه، وتنقي القلب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا، ويتردد عليه المسلمون في اليوم والليلة خمس مرات تزيد من ألفتهم وأخوتهم واعتصامهم بحبل الله[٣].وهو إلى جانب ذلك مدرسة للتعليم والتربية والتوجيه الروحي والمادي.

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج٢، ص٦٩.

(٢)محمد الغزالي: فقه السيرة – مرجع سابق، ص١٩٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٩- ١٩٠.

جـ- بناء الأسرة المسلمة: بعد أن تم بناء الفرد جاء الدور على بناء المجتمع وكان الاهتمام بالأسرة كبيراً باعتبارها القاعدة التي يقوم عليها المجتمع، وكان منهج الرسول ﷺ فريداً في بناء الأسرة وربط أفرادها بعلاقات وطيدة قائمة على المحبة والرأفة والمودة والرحمة، وأرسى لها القرآن دعائم ثابتة واضحة المعالم وحدد لكل طرف فيها ماله وما عليه من حقوق وواجبات وضمن للجميع حياة آمنة مستقرة(١).

د- إرساء مبادئ حسن الجوار: لم يكتف الرسول ﷺ بإيجاد العلاقة الطيبة بين المؤمنين بصفة عامة وأفراد الأسرة بصفة خاصة بل عمل على إيجاد العلاقات الطيبة بين أهل الجوار وأوصى الرسول ﷺ بالجار كثيراً وحذر من إيذاء الجار (٢).

هـ- **تحصين البيئة من المخاطر:** بعد أن عمل الرسول ﷺ على إيجاد المرتكزات الأساسية للبيئة الصالحة، عمل ﷺ على تحصينها من أي خلل قد يواجهها؛ سواء كان هذا الخلل من داخلها أم من خارجها، فعمل على تأمينها من داخلها؛ بتأكيده على مرتكزات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعمل على تأمينها من الأخطار المحيطة بها من خارجها؛ وفي مقدمتها الخطر اليهودي، وتم ذلك من خلال عقد المعاهدة مع اليهود المحيطين بهذه البيئة والمتربصين بها(٣).

و- العمل على حماية المجتمع والدولة المسلمة: ولم يقتصر حرص الرسول ﷺ على تحصين البيئة الإسلامية الناشئة من الخطر اليهودي المحيط بها، بل عمل كذلك على إعداد المجتمع المسلم الناشئ، ودولته الناشئة على تحمل مسؤولية الدفاع والقيام بمهمة التربية الإسلامية وإيصالها إلى كل مكان.

---

(١) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص٣١٢.

(٢) محي الدين النووي: رياض الصالحين، بيروت: دار الفكر، ص٩٩-١٠٠.

(٣) محمد الغزالي: فقه السيرة، مرجع سابق، ص١٩٥، ١٩٧.

فبعد أن كان منهج الرسول ﷺ في مكة يقتصر على إعداد الفرد من خلال العقيدة على تحمل الأذى، فقد عمل النبي ﷺ في العهد المدني على إعداد المجتمع من خلال العقيدة أيضاً، على تحمل المخاطر المتمثلة في الدفاع عن دولته الناشئة وكيانه؛ من خلال الغزوات والمعارك التي كان ينفذها الرسول ﷺ [(١)] بين الحين والحين الآخر، لمصلحة عملية التغيير التي قاد لوائها[(٢)]. وهكذا أفرز منهج القرآن الكريم وتطبيقات ذلك المنهج في الهدي النبوي الشريف في التربية جيلاً فريداً من البشر إنه جيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

المحور الرابع: المبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه وتعليمهم[(٣)].

وبعد أن عرضت الباحثة لأسس المنهج القرآني في التربية والتعليم وبعض النماذج التطبيقية من تربية الرسول ﷺ وتعليمه لأصحابه وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن، تعرض في السطور التالية للمبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه، وذلك على النحو التالي:

-اغتنام الفرصة في تربية الصحابة:

وتلك وسيلة مهمة جدًّا من وسائل المربي وهي تحتاج إلى فطنة عالية وتستلزم انتباهاً كبيراً حتى لا يفوت فرصة إلا واستغلها. ولقد كان ﷺ لا يرى شيئا يستحق

---

(١)محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ج٢، ص٧٠

(٢) نقلا عن: د. سليم عبده قائد القباطي: عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة، ص ٤-١٠

(٣) موقع المسلم: التربية الإسلامية بين اهتمام المنهج وتفريط المربين مقال للكاتب:مجدي مصطفى بتاريخ ١٤٢٧/٦/١٣ هـ ١٤٣٥/١٢/١هـ. وانظر أيضاً:منال موسى علي دبابش:منهج الرسول - ﷺ - في التربية من خلال السيرة النبوية، فلسطين: رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

التعليق أو التنبيه إلا وعلق عليه وأشار إليه، وينتهز الفرص والسوانح والمواقف لينصح أصحابه، وكان لذلك الأثر الكبير في نفوسهم ذلك أن النصيحة أو التوجيه من خلال موقف أمر لا ينسي وينطبع في الذاكرة. كما أن ترك النصيحة في وقتها ربما جعل من تقوم بتربيته يظن أن ما فعله صحيحاً. فقد كان النبي ﷺ وهو يتجول في السوق ذات يوم، -كما قال أبو هريرة -: (مرَّ علَى صُبرةٍ مِن طعامٍ فأدخلَ يدَهُ فيها ، فَنالَت أصابعُهُ بللًا . فقالَ : يا صاحبَ الطَّعامِ ما هذَا ؟ قالَ : أصابَتهُ السَّماءُ ، يا رسولَ اللَّهِ. قالَ أفَلا جعلتَهُ فَوقَ الطَّعامِ حتَّى يراهُ النَّاسُ ثمَّ قالَ مَن غشَّ فلَيسَ منَّا)[١].

وفي هذا الحديث انتهز ﷺ هذه الفرصة في تعليم هذا الصحابي وتعليم جميع المسلمين من التجار وغيرهم حرمة الغش في البيع وإخفاء عيب السلعة، وكيف أن من غش المسلمين فليس منهم. وها هو ﷺ يخرج على أصحابه عند الصلاة وكأنه رآهم غير معتدلين في الصف، فماذا فعل؟ هل فوت تلك الفرصة في تعليم أصحابه؟ على الرغم من أن الصلاة قد أقيمت؛ فعن جابر بن سمره -رضي الله عنهما- قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم" فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف" [٢].فهذه نصيحة عمليه منه ﷺ لأصحابه من خلال موقف، وعند أداء فريضة فلعلهم لا ينسون تلك النصيحة أبداً وكلما وقفوا للصلاة تذكروها.

فعلى كل ولي أمر ألا يفوت فرصة في النصح لأولاده أو من يقوم بتربيتهم متحججاً بأنهم مازالوا صغاراً بل ينتهز كل فرصة وكل سانحة وكل موقف ليوجههم ويرشدهم فتنطبع نصائحه في أذهانهم ولا ينسونها.

---

(١) أخرجه الألباني في صحيح :صحيح الترمذي - الصفحة أو الرقم1315، وقال حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه - الصفحة أو الرقم661 :

- **مشاركة المعلم للمتعلمين:**

ومن الشواهد الدالة على ذلك خلال السيرة النبوية العطرة، نجد أنه ﷺ كان يحرص على تأديب صحابته وتعليمهم وغرس القيم الأخلاقية فيهم، بالقدوة الحسنة فقد عمل في بناء المسجد النبوي وشارك ﷺ أصحابه في حفر الخندق حول المدينة بنفسه وهو يربط على بطنه حجراً من الجوع وهو يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة. والصحابة يردون عليه ويقولون :نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً.(١) .فينبغي ألا ينسى أي مربٍ قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

وهو أمر له فعل السحر في القلوب ولقد كان ﷺ في الحرب مثلا في أوائل الصفوف وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يحتمون به إذا حمى القتال في المعركة، هو أمرهم بالقتال ورغبهم فيه وفي بذل نفوسهم لله –سبحانه وتعالى– ثم هو في الصفوف الأولى يقاتل معهم. وقد انعكست تضحيات النبي ﷺ وجهاده وثباته وعلمه وخلقه على أصحابه فضربوا المثل الأعلى في التضحيات.

- **تفقد أحوال المتعلمين:**

ولقد كان ﷺ يعرف أصحابه كلهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عن غائبهم ويتعهدهم جميعا؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ " قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ " قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"(٢).

---

(١) ابن هشام، ج٣: ١٦٣

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم1028 .

وفي هذا الحديث نراه ﷺ قد نشط أصحابه على العمل الصالح بطريقة عملية ومبتكرة ودون أن يلوم أحداً منهم على تقصيره أو يسأله ماذا فعل بالضبط، لكنه كان يسأل سؤالاً عاماً من فعل كذا وكذا فلما اجتمعن في أبي بكر كانت المفاجأة في النهاية أن جائزته هي الجنة، وفي ذلك حافز للجميع على العمل لنيل نفس الجائزة، وهو ما يحتاج إلى جهد وعمل ومواظبة على الخير، كما أن كل واحد من الحاضرين سوف يوبخ نفسه بنفسه ويلومها على تقصيرها فيكون في ذلك دافعا لهم جميعا على الخير .

وهذه قصه يرويها لنا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - تدلل لنا كيف كان ﷺ يسأل ويعرف ويهتم بأخبار أصحابه جميعاً. فقد روى البخاري ومسلم وابن سعد في طبقاته وابن هشام في سيرته عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ (يعنى رجع من الغزو) جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام يذهب في طول الجيش وعرضة يتفقد أصحابة) فقال مالك يا جابر؟، قلت يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا، قال أنخه، فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال أعطني هذه العصا من يدك، ففعلت فأخذها فنخسة بها نخسات ثم قال اركب، فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقه (يعنى يسابقها وقد تغيرت حالته من البطء إلى السرعة والنشاط) وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟، قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا ولكن بِعْنيه، قلت: فثمنيه يا رسول الله (يطلب منه تقدير ثمنه) قال: آخذه بدرهم، قلت: لا إذن تغبنني يا رسول الله، قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية فقلت: أفقد رضيت يا رسول

الله، قال: نعم. قلت: فهو لك، قال قد أخذته، ثم قال: يا جابر هل تزوجت بعد؟، قلت: نعم يا رسول الله، قال أثيباً أم بكراً؟، قلت: لا بل ثيباً، قال: أفلا جارية تلاعبها، قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك لي بناتاً سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن، قال: أصبت -إن شاء الله- أما إنا لو قد جئنا صراراً (وصرار مكان بأطراف المدينة) أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها (يعنى أنها إذا سمعت بمقدمهم أصلحت وسائدها ومنزلها واستعدت) فقلت: والله يا رسول الله مالنا من نمارق قال: إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً.قال جابر: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله -ﷺ- بجزور فنحر وأقمنا عليها ذلك اليوم فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا المدينة.

قال جابر: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريبا منه فخرج رسول الله ﷺ فرأي الجمل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر قال فأين جابر فدعيت له فقال يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ودعا بلالاً فقال له أذهب بجابر فأعطه أوقية فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً فو الله مازال ينمو عندي ويرى مكانه من بيتنا.

ومن هذه القصة ينبغي أن يتعلم كل مرب كيف يهتم بأصحابه وبأحوالهم، فالنبي ﷺ برغم مشاغلة الكثيرة إلا أنه يعرف من أحوال جابر الكثير وكيف ضاحكه وواساه بطريقة لطيفة وحدثه في أمر زواجه وداعبه بمسألة شراء جمله منه ثم هو انتهزها فرصة لمساعدته فأعطاه الجمل والمال في آن واحد.

ينبغي أن يفهم المربى أنه ليس مجرد مصدر للمعلومات البحتة التي يلقيها على من يتعلمون منه وفقط؛ لكنه شخص يهتم بكل أحوالهم وشؤونهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية فكل ذلك يمثل وحدة واحدة لا تتجزأ.

- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

ومن منطلق ما قرره ﷺ من اختلاف الاستعداد. عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[١].

ومن هديه ﷺ رعاية المواقف وحال المتعلم: فقد يتفق أن يسأل المتعلمون سؤالا واحدا، وتأتي الإجابات مختلفة باختلاف المواقف وما يجدي فيها، أو باختلاف السائلين وما يصلح لهم، ومع ذلك يأتي ما يأتي حقا، ويصادف حاجة تربوية، فيكون تأثيره أقوى وغناؤه أوضح. فعن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله) [٢].

(عن أبي يوسف خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) متفق عليه. وسئل ﷺ: (أيُّ العملِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم79.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم84 .

أفضلُ ؟ قال :الصلاةُ في أولِ وقتِها ، قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال :الجهادُ في سبيلِ اللهِ؛ قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال :بِرُّ الوالديْنِ) [١].

- التعزيز بالتكرار:

فقد حرص ﷺ على أن يكرر ما يرى ضرورة لتكراره، حتى يسمع من لم يسمع ويعي من لا يعي، ويزول الغموض عمن التبس عليه شئ، (عن أنس عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثا) [٢].

- التعزيز بذكر الثواب:

فكثيرا ما يأتي الثواب عاملا معززا للحرص على السلوك الديني والإقبال عليه في حماسة. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لقد رأيتُ رجلًا يتقلَّبُ في الجنَّةِ ، في شَجرةٍ قطعَها من ظَهْرِ الطَّريقِ ، كانت تؤذي النَّاسَ) [٣].

ففي الحديث عمل هو إزاحة الأذى عن الطريق، وحافز قوي إليه هو الظفر بالجنة والسعادة المرحة الغامرة بنعميها.

- إتاحة الفرصة للراحة :

فقد كان من مبادئ التربية الإسلامية أن تنظم فترات للراحة من الدرس حتى لا تمل النفس أو يصدأ الذهن. عن عبد الله بن مسعود. قال: "كان ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"[٤]. وعن أبي وائل، قال: كان عبد الله يذكر

---

(١) أخرجه ابن حزم –في المحلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه –الصفحة أو الرقم3/183 :

(٢) أخرجه الألباني في صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم 4694 :

(٣)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم ١٩١٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم ٦٨ .

الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن. لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)

ومن هديه ﷺ الرفق في معاملة المتعلم: فمن مبادئ التربية الإسلامية الرفق بالمتعلم وعدم العنف في معاملته أو رميه بالعجز والجهل؛ لأن ذلك يصدمه صدمة نفسية قد تؤدي إلى كراهة التعلم أو الانصراف عنه انصرافا تاما. فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أُصلِّي معَ رسولِ اللهِ ﷺ . إذ عطَس رجلٌ منَ القومِ . فقلتُ : يرحمُك اللهُ !فرَماني القومُ بأبصارِهم . فقلتُ : واثُكلَ أُمِّياه ! ما شأنُكم ؟ تَنظُرونَ إليَّ . فجعَلوا يَضرِبونَ بأيديهم على أفخاذِهم . فلما رأيتُهم يُصَمِّتونَني . لكني سكَتُّ . فلما صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ . فبِأبي هو وأمِّي ! ما رأيتُ مُعَلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تَعليمًا منه . فواللهِ ! ما كهَرَني ولا ضرَبَني ولا شتَمَني . قال إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ . إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ .أو كما قال رسولُ اللهِ ﷺ . قلتُ : يا رسولَ اللهِ !إني حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ . وقد جاء اللهُ بالإسلامِ . وإنَّ مِنَّا رجالًا يأتونَ الكُهَّانَ . قال فلا تأتِهم قال : ومِنَّا رجالٌ يتطيَّرونَ . قال ذاك شيءٌ يَجِدونه في صدورِهم . فلا يَصُدَّنَّهم (قال ابنُ المصباحِ : فلا يصُدَّنَّكم) قال قلتُ : ومنا رجالٌ يَخُطُّون . قال كان نبيٌّ منَ الأنبياءِ يَخُطُّ . فمَن وافَق خَطُّه فذاك قال : وكانتْ لي جاريةٌ تَرعى غنمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ . فاطَّلَعتُ ذاتَ يومٍ فإذا الذيبُ [الذئبُ ؟ ؟] قد ذهَب بشاةٍ من غنمِها . وأنا رجلٌ من بني آدَمَ . آسَفُ كما يأسَفونَ . لكني صكَكْتُها صكَّةً . فأتَيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ . قلتُ : يا رسولَ اللهِ !أفلا أُعتِقُها ؟ قال

ائتِني بها فأتَيتُه بها . فقال لها أينَ اللهُ ؟ قالتْ : في السماءِ . قال مَن أنا ؟ قالتْ : أنت رسولُ اللهِ .قال أَعتِقْها . فإنها مؤمنةٌ [١].

ومن هديه ﷺ تعليم الناس ما تتقبله عقولهم: فليس من الأسس التربوية في الإسلام الإغراب أو الذهاب بالفكر إلى المجهول ومجابهة المتعلم بما ينكره عقله ولا يستسيغه أو يعجز عن إدراكه. وقال عَلِيٌّ: "حَدِّثوا الناسَ، بما يَعْرِفونَ أَتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسولُهُ" [٢]. وبذلك يدفع إلى اختيار مادة التعلم وعرضها عرضا يحببها إلى القلوب ولا ينفرها منها.

– استمرارية التعلم :

لقد استمر النبي ﷺ في منهجه التربوي، لكي يعلم أصحابه ويذكرهم بالله – عز وجل –ويحثهم على مكارم الأخلاق ويوضح لهم دقائق الشريعة وأحكامها [٣].

كما كان يتعهدهم باستمرار التعليم والتربية وتزكية النفوس ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة. سأله رجل: أي الإسلام خير؟قال:تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (ابن ماجة).

ومن النماذج الدالة على استمرارية التعليم في سيرته وحرصه على تعليم أصحابه ﷺ في مختلف الظروف والأحوال في (المسجد – السوق – البيت – الشارع..) أنه كان يستغل الأوقات للقيام بذلك، كما كان من عادته ﷺ عدم إرهاق الصحابة بالتعليم المركز؛ فقد روي عن ابن مسعود "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمة والملل" [٤].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم537 .

(٢) ذكره البخاري في صحيحه، عن عامر بن واثلة أبو الطفيل، الصفحة أو الرقم127.

(٣) الصلابي، ج١، ٦١٩

(٤) سبق تخريجه.

الخاتمة

وبعد.. فإن كتاب الله -جل وعلا- يحمل في جناباته وبين ثنايا آياته الكثير من الفوائد والفرائد والدرر، والتي تحتاج منا إلى فهم وتدبر وإقبال على هذا الكتاب؛ لاستخراج فوائده وكنوزه والإفادة مما اشتمل عليه. فإن الفوز والفلاح والسعادة في الإقبال على هذا الكتاب، ودراسة ما فيه، ومحاولة الغوص في بحوره، للفوز بدرره والبحث عن أحكامه وحكمه. كما أن الرسول العظيم ﷺ قد تمثل بأخلاق القرآن الكريم؛ فلقد كان منهجه ﷺ في تربية وتعليم أصحابه ينطلق من أسس ربانية متينة في العقيدة والعبادات والأخلاق والعلم.فتارة يعلمهم في مواقف وتارة أخرى يربي فيهم جوانب عديدة.

النتائج

– تفرد القرآن الكريم بمنهج تربوي شامل متكامل متوازن التزم بقواعد وأسس قويمة. منذ فجر هذه الأمة إلى العصر الحاضر، حار العقل عن مكمن تأثيره، ومصدر تغييره للنفوس، وحصر أساليبه التربوية.

– أن نجاح التربية الإسلامية في صدر الإسلام تمثل في طبيعة منهج القرآن الكريم ، ومنهج الرسول – ﷺ – في التربية ، وتعامل الصحابة الإيجابي مع هذين المنهجين. وبذلك استطاعت التربية الإسلامية في عهدها الأول أن تربي جيلاً فريداً وصفه ربه بأنه خير أمة أخرجت للناس.

– إن حاجة الناس ماسة إلى عرض منهج القرآن في التربية والسلوك ، والتوجيه والتقويم لتكون بديل لتلك المناهج التي استقيت من مدارس الغرب وبنيت على نظرياته وأوهامه القائمة على إهمال العلاقة بين الخالق والمخلوق.مما جعلنا نسير في

عشوائية وتخبط، ونستقي مبادئ تربوية قد لا تتفق مع قيمنا وعاداتنا ومبادئ شريعتنا الإسلامية السمحة.

– يمكن للمربين استنباط العديد من المبادئ التربوية والقيم السامية النبيلة من السيرة النبوية العطرة التي أسهمت في بناء مجتمع إسلامي متين استطاع– بأبنائه – أن يصمد في وجه التحديات عبر قرون طوال.

التوصيات

وفي نهاية البحث توصي الباحثة بما يلي:

– توجيه الأنظار والاهتمامات في كنوز المنهج القرآني ودرره النفيسة، وتأكيد صلاحيته لبناء الإنسان السوي، والمجتمع المسلم القوي؛ لتخليص البشرية من عللها وأمراضها.

– تشجيع الباحثين في مجال الدراسات التربوية الإسلامية على دراسة المباحث الإنسانية والاجتماعية والنفسية المختلفة من خلال القرآن الكريم. ودراسة السيرة النبوية العطرة وإبراز عظمة دورها في تربية الرعيل الأول من الصحابه –رضوان الله عليهم أجمعين؛ لتوضيح دورها التربوي في بناء إنسان مؤمن واثق بدينه.

– الاهتمام بالمستجدات التربوية الحديثة والعصرية، والعمل على استثمارها وفق منهج الله –عز وجل– وسنة نبيه ﷺ.

– التوسع في إنشاء مراكز للبحوث التربوية الإسلامية المتخصصة، تهتم بدراسة السيرة النبوية والتراث الإسلامي، وإبراز الجانب التربوي فيهما وتوظيفه في العملية التربوية التعليمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت/٦٠٦هـ:النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق:طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مج٥، بيروت:المكتبة العلمية، ١٩٩٧م، (د.ط)

- ابن الجوزي:أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت/٥٩٧هـ:غريب الحديث، ط١، مج٢، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م

- ابن فارس:أحمد بن زكريا، ت/٣٩٥هـ:معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام هارون، مج٦، بيروت:دار الفكر، ١٩٧٩م، (د.ط)

- ابن كثير:أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت / ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم، مج٤، بيروت:دار الفكر، ١٤٠١هـ، (د.ط)

- ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

- أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ط٦ مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر – مصر، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م

- أبو دف، محمود خليل(٢٠٠٧)، مقدمة في التربية الإسلامية، غزة، مكتبة آفاق

- أحمد الحمد: التربية الإسلامية، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ.

- أحمد الصباب: الأسلوب العلمي في البحث، جدة، دار عكاز، ١٤٠١هـ

- اعمير، أنور أحمد داود:التربية القرآنية في سورة النور، رسالة ماجستير، فلسطين:كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

- الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن.

- بدران، شبل:التربية والنظام السياسي،الاسكندرية:دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م

- البيضاوي:عبد الله بن عمر الشيرازي، ت/٧٩١هـ:أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج٢، ط٢، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٥م
- جرادات،عزت:تربية الطفل في الإسلام،عمان:المركز الثقافي الإسلامي،١٩٨٣م
- جرادات، عزت،وهيفاء أبو غزالة:مدخل إلى التربية،عمان:دار الفكر، ١٩٨٣م
- حلمي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله- المرشد في كتابة الأبحاث، ط ٦، جده، دار الشروق، ١٤١٢هـ
- خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد:الفكر التربوي وتطبيقاته، مصر:مكتبة وهبة، ١٩٨٤م
- ديوي، جون:الديمقراطية والتربية، ترجمة:نظمي لوقا، القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م
- رابح، تركي:دراسات في التربية الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢
- الراغب الأصفهاني:معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط ١، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
- الرفاعي، عبد الجبار(٢٠٠٥)، "أصول البحث"، مجلة التوحيد، ١٢٨.
- الزبيدي:محمد مرتضى، ت/١٢٠٥هـ:تاج العروس، تحقيق:علي شيري، مج٢٠، بيروت:دار الفكر، ١٩٩٤م
- زينب الحسن أبو علي:"أسس التربية بين التأصيل الشرعي والمفارقات الحداثية"، موقع تربيتنا (نحو تربية إسلامية واعية)، ١/١٢/١٤٣٥هـ.
- سعيد إسماعيل علي:الأصول الإسلامية للتربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ

- السيد، محمود أحمد:معجزة الإسلام التربوية، الكويت:دار البحوث العلمية ١٩٧٨م

- شلبي، أحمد:التربية الإسلامية، ط٧، القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م

- الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن

- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – دار الفكر – دمشق، ١٣٩٩هـ

- عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

- عبيدات، ذوقان وآخرون، البحث العلمي النوعي والكمي، ط١، ١٤٢٣هـ

- عرعور آل، عدنان بن محمد:صفات الطائفة المنصورة، ط٢، القاهرة:مؤسسة قرطبة، ١٩٩٥م

- العلواني، طه جابر:المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية

- علي أحمد مدكور، مناهج التربية - أسسها وتطبيقاتها، القاهرة:دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

- علي أحمد مدكور، مناهج التربية -أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

- عماد الدين خليل: دراسة في السيرة -دار النفائس - بيروت – ١٣٩٧هـ

- الفيروز أبادي:محمدبن يعقوب، ت/٨١٧هـ:القاموس المحيط:تحقيق العرقسوسي، ط٥، بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، ص١٦٥٩، (مادة:ربا).

- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمدبن فرح الأنصاري، ت/٦٧١هـ:الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، مج٢٠، ط٢، القاهرة:دار الشعب، ١٣٧٢هـ

- الكيلاني، ماجد عرسان:التربية والتجديدمكة:دار الاستقامة، بيروت:مؤسسة الريان، ١٩٩٧م.
- محب الدين المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(دار الهداية للنشر والتوزيع)
- محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري –كتاب الأمة رقم ٦، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – رجب ١٤٠٥هـ- نيسان ١٩٨٥م
- محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الوفاء – المنصورة مصر ١٤١٢هـ- ١٩٨١م
- محمد بن عبد الله آل عمرو، ومحمود يوسف الشيخ:أصول التربية الإسلامية، ط٤، ١٤٢٩هـ - د.ن ٢٠٠٨م.
- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط٣- دار الشروق - بيروت، ١٤٠٠هـ
- محي الدين النووي: رياض الصالحين، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- منال موسى علي دبابش، "منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية "، رسالة ماجستير، غزة – الجامعة الإسلامية –كلية التربية – ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- الموسوعة الإسلامية، إنعام الكاظمي:(مفاهيم في التربية القرآنية)، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٨م، عن مجلة الطاهرة/ العدد ١٩٢ لسنة ٢٠٠٨م.
- موقع المسلم: التربية الإسلامية بين اهتمام المنهج وتفريط المربين مقال للكاتب:مجدي مصطفى بتاريخ ١٤٢٧/٦/١٣ هـ ١٤٣٥/١٢/١هـ.
- النووي:يحيى بن شرف، ت/٦٧٦هـ:شرح النووي على صحيح مسلم، مج١٨، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة على تدبر القرآن

إعداد

د.عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن من البشائر التي تلوح في الأفق، هذه العودة المباركة للعناية بالدراسات القرآنية عودةً مقترنةً بالتأصيل العلمي لموضوعاتها العلمية والتربوية، والتي منها هذا الملتقى المبارك ـ ملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب)، الذي ينعقد في رحاب جامعة أم القرى، بمكة شرفها الله، والذي يسرني أن أشارك فيه بهذه الورقة، التي عنوانها: **"هدي النبي ﷺ في تربية الصحابة على تدبر القرآن"**، في مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة، وفق الخطة التالية:

المقدمة.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات البحث، وإشارةٌ موجزة إلى فضل التدبر في نصوص الوحيين.

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية على التدبر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبر، والترهيب من الغفلة عنه.

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارسة القرآن.

المطلب الرابع: إزالة الإشكالات.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن.

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغني به.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل.

المطلب الثالث: تكرار الآية التي ينفتح لها القلب، أو التوقف عندها.

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين.

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام.

الفصل الثاني: معالم الهدي النبوي العامة في التربية على التدبر، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تخلّقه العمليّ بالقرآن.

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن".

الخاتمة، ثم الفهارس.

وقد حرصتُ في هذا البحث على تحرير القول في الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمقطوعة التي تحتاج لذلك، فالأحاديث والآثار هي عمدة هذا البحث، أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في الإسهام في تأصيل هذا الموضوع في ضوء السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الباحث

التمهيد

يحسن بنا قبل الولوج إلى ثنايا البحث أن أعرّف بالتدبر، فأقول:

أصل الكلمة اللغوي لكلمة تدبر، جُله يعود إلى أصلٍ واحد ـ كما يقول ابن فارس ـ وهو: "وهو آخر الشيء، وخَلْفَه خلاف قُبُلِه"(١)، ويقال: "ودَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَهَ: نَظَرَ في عاقِبَتِه، واسْتَدْبَرَه: رَأَى في عاقِبَتِه ما لَمْ يَرَ في صَدْرِه، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً: أي بأُخَرَةٍ، قال جريرٌ:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتّى يُصِيبَكُمْ ... ولا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلا تَدَبُّراً(٢)

وقيل: **التَّدَبُّر**: **التَّفكُّر**، أَي: تَحْصِيل المِعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثَالِثَة(٣).

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين التدبر والتفكر، فقال: "**الْفرق بَين التفكر والتدبر**: أَن **التدبر**: تصرف الْقلب بِالنّظرِ فِي العواقب، **والتفكر**: تصرف الْقلب بِالنّظرِ فِي الدَّلَائِل"(٤).

ويضاف أيضاً: أن التفكّر عام في الأمور العلمية والمحسوسة الكونية، كما في أواخر آل عمران: ﴿إن في خلق السموات والأرض... الآيات﴾[آل عمران: ١٩٠].

فتبين من هذا العرض الموجز أن التدبر يدور على معنى مؤخرة الشيء وعاقبته، وكلمات المفسرين لا تكاد تخرج عن هذا، وأقتصر منها على ثلاثة نماذج:

١ ـ قال البغوي : "التدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودُبر كل شيء آخره"(٥).

---

(١) مقاييس اللغة (٣٢٤/٢).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٣١٣/٩)، والبيت في ديوان جرير: (ص:١٨٩).

(٣) تاج العروس (٢٦٥/١١).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (٧٥)، وينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ١٨٥) وما بعدها.

(٥) تفسير البغوي (٢٥٤/٢).

٢ ـــ وقال ابن عطية ؒ: "والتدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء، هذا كله يقتضيه قوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وهذا أمر بالنظر والاستدلال"[١].

٣ ـ وقال الخازن ؒ: "أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها، ثم استعمل في كل تفكر وتأمل"[٢].

ولم أقف في كلام المتقدمين على من عرّف التدبر على صناعة الحدود[٣]، وإذا أردنا أن نحاول استخراج تعريف للتدبر بالمعنى الاصطلاحي، فيمكن القول: **التدبر: "هو تأمل الآيات للاهتداء بما دلّت عليه علماً أو عملاً"**. ولإيضاح هذا التعريف، يقال:

ـــ قولي: "**تَأَمُّلُ**[٤] **الآيات**"، وهذا يعني أن التدبر لا يتأتى في الواضح البيّن، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل؛ لاستنباط المراد.

ـ قولي: "**للاهتداء بما دلّت عليه**"؛ لأن هذه هي الغاية من التدبر، ولأن الله تعالى وصف كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتدبر.

ـ قولي: "**علماً أو عملاً**"؛ لأن التدبر إذا خلا من إحدى هاتين الثمرتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلم أكثر من ظهور العمل بمعناه الخاص، كالتدبر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨٣/٢).

(٢) تفسير الخازن (٤٠٢/١).

(٣) وأما قول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في "مدارج السالكين" (٤٤٩/١): "وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر" فإنه لم يذكره على سبيل التعريف، بل التقريب للمعنى.

(٤) التأمل هو: التثبت في النظر، وطول المدة فيه ، ينظر: مقاييس اللغة (١٤٠/١)، الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٧٥).

الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصـــف بعض الأمور الكونية [1]. والله أعلم.

أما يخص التدبر وفضلَه، فإن النصوص في ذلك متظاهرةٌ ومتواترةٌ؛ بل لا أعلم ـ بعد الأمر بالإيمان ـ أمراً توجّه إلى جميع الناس ـ مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم ـ مثل الأمر بالتدبر، فإن الله تعالى خاطب به الكفار في مكة فقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ـ وفي قراءة: لتدبّروا[2]ـــ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وهاتان السورتان مكيتان، خوطب بالتدبر المؤمنون والكفار، وفي سورتي النساء ومحمد ـــ وهما مدنيتان ـــ خوطب المنافقون بذلك: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وإن أمْراً يُوجّه صراحةً إلى كل أصناف المجتمع –مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم – وتتنوع فيه العبارة، وتُذْكر فيه بعض ثماره: كقوله: ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا...وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وكذا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وتذكر معه أسباب الحرمان منه ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾= لهو أمرٌ ذو شأن، وخليقٌ بأن يعتنى به، وأن للتدبر أثره العظيم في تلقي رســالات الله، والعقْلِ عنه ســبحانه، والتحرر من القيود الاجتماعية والنفسية التي حجبت عقول أولئك عن قبول دعوة الحق، والدين الصحيح.

وثمة معنىً آخر يوجب العناية بالتدبر، وهو أنه لما كانت بعثة الرسل قائمةً على إصلاح القلوب، وتعبيدها لخالقها وحده لا شريك له= أُمِرَ الناس بالتدبر؛ لأنه "مفتاح

---

(١) وإن كان ينبغي أن تورث تلك الآيات إجلالاً وتعظيماً لله تعالى، وهذا من أعمال القلوب.

(٢) ينظر: جامع البيان في القراءات الســبع (١٥٣٢/٤)، وقد وجّه ابن جرير هذه القراءة فقال: "بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك"،تفسير الطبري (٧٩/٢٠).

حياة القلب"(١)، "**ولا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر**، فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والانابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والافعال المذمومة، والتي بها فساد القلب وهلاكه، **فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها**"(٢).

"والعادة المطردة ـ التي جبل الله عليها بني آدم ـ توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد عُلِمَ أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم؟ الذي به هداهم الله، وبه عرّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟! فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه؛ فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه؟ **بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه**، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصّل المقصود، إذْ اللفظ إنما يراد للمعنى"(٣).

وأما الأحاديث الواردة في فضل التدبر، فإن هذا البحث كلّه في تقرير ذلك صراحةً أو إشارةً، فأكتفي بهذه الإشارة لما سيأتي في مواضعه عن تكرار القول فيه.

---

(١) حادي الأرواح، لابن القيم (ص: ٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/١٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١٥٧).

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية على التدبر، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبر والترهيب من الغفلة عنه:

سبقت الإشارة قريباً إلى بعض ما ورد من الآيات الواردة في الحث على التدبر، **وأما السنّة:** فإن الحث على التدبر جاء من جهة المعنى في جملةِ أحاديث، منها:

أولاً: روى الشيخان من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[1].

ولا ريب أن التدبر لآيات الله داخلٌ في هذا دخولاً أوليّاً ، إذْ لا يمكن لأحدٍ أن تكتمل آلة الفقه والفهم عنده، دون إعمال آلة التدبر، فالحديث تضمن الثناء على من فقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهو بالمفهوم متضمن لذم من ترك التدبر، إذْ الفهمُ والفقهُ الذي يراد منه الاستنباط والعمل، مقترنٌ بالتدبر وإعمال النظر .

(١) البخاري ح (٧٩)، مسلم ح (٢٢٨٢).

ثانياً: روى ابنُ ماجه من حديث زياد بن لبيد ﷺ[1]، قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: «**ذاك عندَ أوانِ ذهابِ العلم**»، قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك يا زياد! إنْ كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوَليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما؟**»[2].

فمنطوق الحديث: هو الذم لترك الفهم والتدبر للقرآن، وذمُّ ترك العملِ به، **ومفهومه**: الحثُّ على ذلك، وهو متفق تماماً مع ما ورد في القرآن عن علماء أهل الكتاب ـ واليهود خاصة ـ كما في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وهم ـ كما قال مجاهد ـ: "أناسٌ من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون هو من الكتاب، أماني يتمنونها"[3].

وقال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم[4].

---

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاريّ البياضيّ، شهد بدراً، وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٤/٢)، التقريب: (٢٠٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه ح (٤٠٤٨)، وابن أبي شيبة ح (٣٠١٩٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٣٤٤/٣، وأعلّه البخاري بالانقطاع بين سالم بن أبي الجعد وبين زياد رضي الله عنه ، وكذا قال الحافظ في "الإصابة" ٥٨٧/٢، والبوصيري في "مصباح الزجاجة" (١٩٤/٤). **ويشهد له**: حديث عوف بن مالك عند النسائي في "الكبرى" ح (٥٨٧٨)، وأحمد ح (٢٣٩٩٠)، وصححه ابن حبان ح (٤٥٧٢).

وأما قول الطحاوي ـ في شرح المشكل (٢٨٠/١) ـ عن حديث زياد: "هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها" فإن عنى به السند ـ وهو الظاهر ـ، فقد تقدّم ما فيه، وإن عنى به المعنى، فهذا باب واسع.

(٣) تفسير الطبري (١٥٧/٢).

(٤) تفسير الطبري (١٥٤/٢). وينظر مقدمة الشنقيطي لأول تفسيره، ففيها كلام نفيس حول هذا المعنى.

ويمكن القولُ بأن جميع الآيات التي تأمر بالتفكر والنظر، وإعمال العقل، والأمرِ بالفقه، وذم قلّته، وأمثالها= كلها داخلةٌ في هذا المعنى، وهي آياتٌ تتجاوز المئات في كتاب الله.

ثالثاً: روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: «**يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم**»[1]، وفي معنى هذا تأويلان: الأول: "أي: أنه لم تفقهه قلوبهم ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظٌ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبلُ"[2].

وعلى كلا التأويلين، فهو ذمٌّ بالغ لعدم الفهم، وترك التدبر، والاقتصار على التلاوة، التي لم تعصمهم من فعل الموبقات والعظائم.

وسيأتي في المطلب الخامس من هذا المبحث مزيد بيان في الكلام على ثنائه ﷺ على الذين يعملون بالقرآن[3].

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات :

جبَلَ الله النفوس على الاستجابة للمحفزات، والتأثر الإيجابي بها، ولذا كان من حكمة الله تعالى أن تواترت النصوص من الكتاب والسنّة على مبدأ الترغيب والترهيب؛ لما في ذلك من الأثر الحسن في فعل الفضائل، وترك الرذائل.

---

(١) البخاري ح (٤٣٥١)، مسلم ح (١٠٦٤).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٠٩/٣).

(٣) ص (١٥).

ومن هذا الباب ما يتصل بفضائل السور والآيات، ففيها لفتٌ لنظر القارئ إلى سبب تفضيل هذه السورة، وتلك الآية؛ لأن التفضيل لا بد أن يكون لمعنىً شرعيّ، يقتضي من القارئ التدبر والتأمل والتفكر في سبب التفضيل، ودلالاته.

فمثلاً: حين يسمع القارئ قول النبي ﷺ لسعيد بن المعلّى: «**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢]** «**هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»(١)، فإن له أن يتساءل: ما سبب كونها أعظم سورة في القرآن؟ وما دلالة تسميتها بالسبع المثاني؟ وتسميتها بالقرآن العظيم؟.

وهكذا يقال عندما يسمع حديثاً أو أكثر في فضل سورة البقرة وآل عمران، أو الإخلاص والمعوذتين، أو يقرأ عن فضل آية الكرسي، فظهر بذلك علاقة الفضائل، واثرها في لفت نظر القراء لتدبر كلام الله.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارسة القرآن:

المدارسة مفاعلةٌ من الدرْسِ، "وتدارَسَ القرآنَ: قرأَهُ وتعهّدَه؛ لئلا ينساه"(٢)،وهي تتحقق باثنين فأكثر، **والأصلُ فيها**: حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»(٣). "فعطَفَ التدارسَ على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة"(٤).

---

(١) البخاري ح (٤٤٧٤).

(٢) تاج العروس (١٦/٧٠).

(٣) مسلم ح (٢٦٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٣/٢٩٥).

"ونزول السكينة عليهم كناية عن التباسهم بطمأنينة الإيمان، واستقرار ذلك في قلوبهم؛ لأن من تلا كتاب الله وتدارسه يحصل له بالتدبر في معانيه. والتفكر في أساليبه، ما يطمئن إليه قلبه، وتستقر له نفسه، وكأنه كان قبل التلاوة له والدراسة خاليا من ذلك، فحين تلا نزل ذلك عليه"[1].

والحديثُ دالٌ "على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حُمِلَ على تعلّم القرآنِ وتعليمه، **فلا خلاف في استحبابه،** وإنْ حُمِلَ على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقاً"[2]، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي العمل أفضل؟ قال: "ذكر الله، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه، إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك حتى يفيضوا في حديث غيره"[3].

يقول النووي: "قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة، وأفعال السلف والخلف المتظاهرة"[4].

وأعلى صور المدارسة القرآنية التي رويت في السنّة، تلك التي وقعت بين خير رسولٍ بشري، مع خير رسولٍ ملكي، كما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه**

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٨٢/٢).

(٢) قاله ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠٠/٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٠٣٠٨) وسنده صحيح، وقد روي مرفوعاً، والموقوف أصحّ، كما قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠١/٢).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٠١).

جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

ومما يستدل له لهذا النوع المورث للتدبر: قوله ﷺ : «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»، وفي رواية: «**إن أفضلكم ...**»[2].

وما يؤسف عليه: أن بعض الناس ـ ممن وفّقهم الله لحفظ كتابه ـ تمضي أعمار بعضهم في **المبالغة** في التجويد، **والمبالغة** في تحقيق الحروف ومخارجها، وقد أحسن أبو شامة حين نبّه على ذمّ هذا المسلك بعقْدِ بابٍ في كتابه "المرشد الوجيز" وعنونه بقوله: "بابٌ في الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها" فقال: "لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه وسرعة سرده وتحرير النطق بألفاظه والبحث عن مخارج حروفه والرغبة في حسن الصوت به. **وكلُّ ذلك وإن كان حسناً، ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكر فيه، والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده، وثمرةُ خشيةِ الله تعالى من حُسْنِ تلاوته**"[3].

ولا ريب أن تحقيق الثمرة والغاية من مجالس المدارسة ، لا بد أن يحاط بضوابط وشروط في المتدارسين، حتى لا يقع الخلل والزلل، ومن ثمّ قدُ يقع عكس المقصود منها.

---

(١) البخاري ح (٦)، مسلم ح (٢٣٠٨).

(٢) كلا الروايتين عند البخاري ح (٥٠٢٧، ٥٠٢٨)، وقد وقع في بعض نسخ البخاري (أو علّمه)، وينظر في توجيه ذلك: فتح الباري لابن حجر (٧٧/٩).

(٣) المرشد الوجيز (ص: ١٩٣)، وينظر كلام نفيس في هذا المعنى للغزالي في إحياء علوم الدين (٢٨٢/١- ٢٨٤)، ولابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٠/١٦).

المطلب الرابع : إزالة الإشكالات :

من كمال التدبر أن يبنى على الفهم الصحيح للآية الكريمة، ومن المقرر بداهةً أن التدبر الأتمّ والأكمل للآية فرعٌ عن الفهم الصحيح لها؛ "لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له، ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به! فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره، وهو بمعناه جاهل"(١)؛ لهذا كان ﷺ يحرص على إزالة أي لبس يعرض للصحب الكرام ﵃ في فهمهم للآيات.

والمتأمل في الأحاديث المنقولة عن الصحابة ﵃ في هذا الباب يجدها قليلة، وهذا عائد إلى كمالِ علمهم، وقوةِ فهمهم، وصحةِ مقاصدهم، وكونهم أعلم الأمّة بلغة القرآن، **فإن اجتماع هذه الأسباب الأربع يعني الوصول إلى الحق في فهم النص**، وعلى الضد من ذلك، فغياب واحد من هذه الأربع يؤدي إلى الغلط، يقول ابن تيمية: "فإن الاختلاف تارة ينشأ من: سوء الفهم، ونقص العلم، وتارة من سوء القصد"(٢)، وقد سلّم الله الصحابة ﵃ ـ بتزكية الله لهم ـ من سوء القصد، فبقي نقص العلم، ونقص التصور ـ الذي عبر عنه ابن تيمية بسوء الفهم ـ، ومن ثمّ وردت بعض الإشكالات عندهم في فهم النص القرآني، فسألوا عنه، فأزالها ﷺ(٣)، ومن ذلك:

١) ما رواه الشيخان من حديث ابن مسعود ﵁ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: **"ليس**

---

(١) تفسير الطبري (١/٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٣١٠).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/١١٧).

كما تقولون: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟ [لقمان: ١٣]"(١).

٢) في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة، عذب**» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] ؟ **فقال: "ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب"**(٢).

ولما تأخرت العصور بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم بدأت تزداد الإشكالات، لأحد الأسباب السالفة، فصارت سؤالات التابعين للصحابة أكثر من سؤالات الصحابة للنبي ﷺ ، وسؤالات أتباع التابعين للتابعين أكثر، وهكذا حتى بلغ الأمر منتهاه في القرون المتأخرة(٣)، فتعيّن على ورثة الأنبياء أن يقوموا بهذه المهمة، خصوصاً حين يقتحم هذا الميدان من ليس من أهله ـ وما أكثرهم في عصرنا ـ ممن يبنون أحكاماً خطيرة بناء على مقدمات خاطئة.

ولقد قام الصحابة رضي الله عنهم بهذه المهمّة خير قيام، فمن الأمثلة التي طبقها الصحابة مع التابعين في إزالة الإشكالات، قصة عروة مع عائشة رضي الله عنها في فهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] (٤)، وكذلك ما فهمه بعض

---

(١) البخاري ح (٣٣٦٠)، مسلم ح (١٢٤).

(٢) البخاري ح (١٠٣)، مسلم ح (٢٨٧٦).

وفي الباب حديث أبي بكر عند أحمد ح (٦٨، ٦٩)، وصححه ابن حبان ح (٢٩١٠)، والحاكم (٧٨/٣).

(٣) ينظر: الصواعق المرسلة (٦٥٣/٢).

(٤) البخاري ح (١٦٤٣)، مسلم ح (١٢٧٧).

الناس من قوله تعالى:﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥] في قصة فتح القسطنطينية(١)، وغيرها كثير، وهي ليست من شرط بحثنا هذا، لذا أكتفي بالإشارة إليها فحسب.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن :

العملُ بالقرآن هو ثمرة العلم به، وهو أحد معاني التلاوة التي أثنى الله بها على أهل القرآن، وبقية الكتب السماوية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس: "يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه"(٢).

ومن أدلّ الأحاديث على تقرير هذا المعنى حديثُ أبي موسى الأشعري ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجّة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ**»(٣).

فالقاسم المشترك بين المؤمن والمنافق في الصورة الأولى هي القراءة، لكن الفرق بينهما في العمل، وآفة ذلك عند التأمل تعود إلى فقه مراد الله تعالى بكلامه، كما وبّخهم الله بقوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] ، فالنبيﷺ "جعل طيب الطعم دائراً مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة، والمجدي على المرء هو

---

(١) أبو داود ح (٢٥١٢)، الترمذي ح (٢٩٧٢) ـــ وقال: حسن صحيح غريب ـــ، النسائي في "الكبرى" ح (١٠٩٦١، ١٠٩٦٢)، وصححه ابن حبان ح (٤٧١١)، والحاكم في "المستدرك" (٩٤/٢)، وهو كما قالوا.

(٢) تفسير الطبري (٤٨٨/٢).

(٣) البخاري ح (٥٤٢٧)، مسلم ح (٧٩٧). وينظر تعليق نفيس لابن القيم على هذا الحديث في زاد المعاد (٣٢٧/١).

عمله، أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي، فالمنافق يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار...، **والعملُ بالقرآن يقتضي فهم معانيه**، وكذلك كان المخاطبون بهذا الحديث، فإن القرآن بلغتهم نزل؛ ولهذا لم يقل في الحديث: "المؤمن الذى يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به"؛ لأن ذكر الفهم لأولئك المخاطبين حشو، تتحاشى عنه البلاغة النبوية"[1]، "وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر، فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق"[2].

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعانرضي الله عنه، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران**»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «**كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما**»[3].

فالنبي ﷺ قيد قراءة القرآن بالعمل به؛ "لأن الذين يقرءون القرآن ينقسمون إلى قسمين:

قسم لا يعمل به، فلا يؤمنون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، **وقسمٌ آخر**: يؤمنون بأخباره، ويصدقون بها، ويعملون بأحكامه، فهؤلاء يكون القرآن حجةً لهم يحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ قال: "**القرآن حجة لك أو**

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، لابن باديس (ص: ٢٠٤) باختصار.

(٢) زاد المعاد (٣٢٧/١).

(٣) مسلم ح (٨٠٥).

عليك" وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، أي: يتفهمون معانيها، ويعملون بها، **وإنما أخّر العملَ عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر، إذا إن التدبر يحصل به العلمُ، والعملُ فرع عن العلم**"[١].

وفي مقابل مدح العاملين به، ترد نصوص كثيرة في الوعيد على من قصد بتعلم القرآن غير الله، ومن قصد غير الله، قصّر في العمل به، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: ـ في أول من تسعّر بهم النار ـ قال رسول الله ﷺ: "**ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**"[٢].

وخلاصة ما سبق: أن علاقة هذا الثناء والذم بالحثّ على التدبر تظهر بمدح الذي يفقه معانيه ويعمل به، وذمِّ من يقرؤه دون فقه ولا عمل.

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦٣٨/٤).
(٢) مسلم ح (١٩٠٥).

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغني به :

لا ريب أن الصوت الحسن "نعمة من الله تعالى، وزيادة في الخلق ومِنّة، وأحقُّ ما لبست هذه الحلة النفيسة، والموهبة الكريمةُ: كتابُ الله"(١)، وقد كان النبي ﷺ يشجّع من أوتي من أصحابه حُسْنَ الصوت، كما قال لأبي موسى: «**يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود**»، وقد بوّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث فقال: "باب حُسْنِ الصوت بالقراءة للقرآن"(٢).

ولعظيم أثر حسن الصوت والتغني به في التدبر، جاء الوعيد لمن كان قادراً على تحسين صوته ولم يفعل، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»(٣).

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «**ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أَذِنَ للنبي أن يتغنى بالقرآن**»(٤)، والمعنى: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن، أي يتلوه يجهر به(٥). والمراد بالقرآن هنا: جميع الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء

---

(١) "أحكام القرآن" لابن العربي (٥/٤).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٨)، مسلم ح (٧٩٣).

(٣) البخاري ح (٧٥٢٧). **والأرجح** في تفسير التغني ـ هنا ـ: هو تحسين الصوت به، والترجيع في قراءته، بحيث لا يخرجه إلى لحون أهل الفسق، وتفسيره بالاستغناء مرجوح، وإن كان له وجه في اللغة، فالسياق لا يساعد عليه، بل جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث ــ البخاري ح (٧٥٤٤)، مسلم ح (٧٩٢) ــ : **"ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به"** مما يقوي رجحان القول الأول. وينظر: ينظر: شـرح صـحيح البخارى لابن بطال (١٠/٢٥٨-٢٦١)، فتح الباري لابن حجر (٩/٦٩-٧٠).

(٤) البخاري ح (٥٠٢٣)، مسلم ح (٧٩٢).

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/٣٣).

والرسل[١]، فكلها مقروءة، فعبّر عنها بالمصدر، وإلا فالقرآن عند الإطلاق، لا يراد به إلا ما نزل على قلب نبينا محمد ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ محققاً لهذه الفضيلة ـ أعني: تحسين الصوت بالقرآن ـ ففي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه،قال: "سمعت النبيﷺيقرأ:﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء،وما سمعت أحدا أحسن صوتا منه أو قراءة"[٢]، ومع كون الصوت الحسنِ هبةً من الله، إلا أن المؤمن يجتهد في تحسين صوته بالتلاوة ما استطاع، فهذا مناط التكليف.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير رضي الله عنه ـ وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ـ بينما هو ليلةً يقرأ في مربده، إذْ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ ،... الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»[٣].

والشرعُ والعقلُ دالان على أثر ذلك في التدبر؛ فلا غرو أن تواطأت السنة النبوية على **الثناء** على صاحب الصوت الحسن وتشجيعه، **والوعيد** لمن قدر على التغنّي ولم يفعل[٤].

---

(١) يدل لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه ــ عند البخاري ح (٣٤١٧) ــ عن النبي ﷺ قال: «**خُفّف على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده**»، قال ابن الجوزي في "كشف المشكل" (٥٢٩/٣): "يعني: القراءةَ لكتابه الزبور"اهـ.

(٢) البخاري ح (٧٦٩)، مسلم ح (٤٦٤).

(٣) البخاري ح (٥٠١٨)، مسلم ح (٧٩٦). وقد ورد وصْفُه بحُسْنِ الصوت عند النسائي في الكبرى ح (٧٩٦٢)، ولم يرد في الصحيحين.

(٤) وقد ذكر الخطيب البغدادي في "تاريخه" في ترجمة أبي بكر الأدمي (٥٢٦/٢) قصةً طريفة في أثر حُسْنِ الصوت في الدعوة إلى الله، وإنكار المنكرات.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل :

من جوانب عظمة هذا القرآن، أن الله تعالى تولى بيان كيفية قراءته؛ لعظيم أثرها على تحقيق التدبر، وقد اتفقت جميع الآيات على الأمر بالترتيل، والثناء على من يتلونه حقّ تلاوته، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والملاحظ في آية المزمل أن الأمر بالترتيل جاء التأكيد عليه من جهتين: **الأولى**: من جهة الأمر: ﴿وَرَتِّلِ﴾، **الثانية**: ذكر المصدر ﴿تَرْتِيلًا﴾.

ويلاحظُ ـ أيضاً ـ أن هذا الأمر جاء، مع أنه لم ينزل من القرآن إلا القليل من السور والآيات، لا تتجاوز صفحاتها في المصحف عدد أصابع اليد، مما يدلُّ على عظيم أثر هذه الصفة ومحبة الله لها.

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر الإلهي له بالترتيل، ففي صحيح مسلم من حديث حفصة رضي الله عنها قالت: «**ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحته قاعداً، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها**»[1].

وفي سنن أبي داود من حديث أم سلمة رضي الله عنها لما سئلت عن قراءة النبيﷺ؟

(١) مسلم ح (٧٣٣).

"**فنعتت قراءته: حرفاً حرفاً**»[1]، "وإنما كان يفعل ذلك ـ والله أعلم ـ لأمر الله له بالترتيل، وأن يقرأه على مكث، وألا يحرك به لسانه ليعجل به، فامتثل أمر ربه تعالى فكان يقرؤه على مهل ليبين لأمته كيف يقرءون، وكيف يمكنهم تدبر القرآن وفهمه"[2].

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مغفل ﵁ قال: «**قرأ النبي ﷺ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته، فرجّع[3] في قراءته**»[4]، وفي لفظ البخاري: "**قراءة لينة يقرأ وهو يُرَجّع**"[5].

وروى أهل السنن من حديث عبدالله بن عمرو ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**"[6].

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان ﵁ ـ حديثه الطويل في قيام الليل ـ وفيه: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت:

---

(١) أبو داود ح (١٤٦٦)، والترمذي ح (٢٩٢٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه ابن خزيمة ح (١١٥٨)، وابن حبان ح (٢٦٣٩) ـ وليس في لفظه نعت القراءة، بل اقتصر على قصة قيام الليل ـ، والحاكم (٤٥٣/١). وقد أعلّه بعض العلماء بجهالة **يعلى بن مَمْلك** ـ على وزن جعفر ـ، وهو الذي سأل أم سلمة، وفي تصحيح الترمذي وابن خزيمة له، نوع توثيق ضمني، خاصةً وهو في طبقة التابعين، ومثل هؤلاء جهالتهم محتملة عند الأئمة، وحديثهم لا بأس به، بشرط ألا يأتوا بما يستغرب.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢٧٤/١٠).

(٣) الترجيع هو: ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وقيل: هو تقارب ضروب الحركات في الصوت، كما في "النهاية" (٢٠٢/٢).

(٤) البخاري ح (٤٢٨١)، مسلم ح (٧٩٤).

(٥) البخاري ح (٥٠٤٧).

(٦) سنن أبي داود ح (١٤٦٤)، الترمذي ح (٢٩١٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ح (٨٠٠٢)، وصححه ابن حبان ح (٧٦٦).

يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، **إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ**..."(١).

وقد فقه هذا المعنى الصحابة ﷺ، فقد قال ابن مسعود لرجل أخبره أنه قرأَ المفصل البارحة! فقال: «هذا كهذ الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ، ثماني عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم»(٢)، وإنما أنكر ابن مسعود على الرجل قراءة المفصل فى ركعة؛ "ليحضه على تدبر القرآن؛ لا أنه لا تجوز قراءة المفصل فى ركعة، فقد تجوز قراءة القرآن بغير تدبر"(٣).

ولما سأل أبو جمرة الضبعيُّ ابنَ عباس فقال: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، قال له ابن عباس: "لأن أقرأ سورةً واحدةً أعجبُ إليَّ من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلا لا بد، فاقرأه قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك"(٤).

وقال ابن أبي مليكة: صحبتُ ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن يقرأ حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب، ويقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد﴾[ق: ١٩](٥).

---

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٣)، مسلم ح (٨٢٢)، وفيه قصة أطول.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣٩٢/٢).

(٤) مصنف عبدالرزاق (٤٨٩/٢)، والبيهقي في السنن الكبير (٢٠/٣)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٥٣٤/١)، وسنده لا بأس به، من أجل صالح بن رستم الخزاز، فهو صدوق كثيرُ الخطأ، كما قال ابن حجر في التقريب (٢٨٦١)، ولكن يحتمل منه هذا في أمثال هذه الآثار.

ثم تلقّى علماء التابعين عن الصحابة ﷺ ، فقد سأل رجل مجاهداً، فقال: رجل قرأ البقرة، وآل عمران في ركعة قيامهما واحد، وسجودهما وركوعهما واحد، وجلوسهما واحد أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة» قال: ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] قال: على تؤدة[(١)].

وقال طاووس في الترتيل: «تليته[(٢)] حتى تفقهه»[(٣)].

يقول النووي: "قال العلماء: **والترتيل مستحب للتدبر ولغيره،** قالوا: يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب"[(٤)].

والمقصود مما سبق أن النبي ﷺ ربّى أصحابه قولاً وعملاً على هذه الصفة الشرعية لتلاوة القرآن؛ لعظيم أثرها في التدبر وغيره، كما ذكر النووي، وسار على دربه أصحابه ﷺ من بعده، ثم التابعون، عليهم رحمة الله.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ح (١٢٨٥)، وابن أبي شيبة في "المصنف" ح (٨٧٣٥)، وسنده صحيح.

(٢) هكذا في المطبوع (تليته)، واستظهر المحقق أن الأقرب أنها (تبيّنه حتى تفقهه). **قلتُ**: ويمكن أن تكون: (تليّنه) من التليين، وهو قريبٌ من المكث والترتيل، وهي أقرب إلى صورة الكلمة من (تبينه)، والله أعلم.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٠/٢) وسنده صحيح.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٩١).

المطلب الثالث: تكرار الآية التي ينفتح لها القلب، أوالتوقف عندها:

روى أبو ذر ﵁ قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح، **يرددها**. والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][(١)].

علّق ابن القيّم على حديث أبي ذرٍ فقال: "فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه= كرّرها ولو مائة مرة، ولو ليلة، **فقراءةُ آية بتفكر وتفهم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الايمان، وذوقِ حلاوةِ القرآن**، وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح"[(٢)].

---

(١) النسائي ح (١٠٨٤)، ابن ماجه ح (١٣٥٠)، أحمد (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، وصححه الحاكم (٣٦٧/١)، وصحح إسناده ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١٨٧/١)، البوصيري في "المصباح" (١٥٩/١)، وعلّق ابن خزيمة (٢٧١/١) صحة الحديث على الراوية للحديث عن أبي ذر: **جسرة بنت دِجاجة**، فإنها تابعية ــ على الراجح ولم تثبت صحبتها ـ سمعتْ أبا ذر، وتكلم فيها البخاري وغيره، وقد اختلف عليها في سند هذا الحديث، مع إعلال البزار له بتفردها بهذا الحديث عن أبي ذر.

ومن أعدلِ الأقوال فيها ـ إن شاء الله ـ قول الدراقطني: "يعتبر بحديثها إلا أن يحدث عنها من يُتْرك"، والراوي عنها هنا ليس متروك الحديث، بل توبع كما قال البيهقي في السنن. ويحمل كلام البخاري على ما تفردت به من بعض الأحاديث التي لا يحتملها مثلها في الأحكام، كحديث: "إني لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب".

فالإسناد حسن إن شاء الله، ومما يستأنس به: تخريج النسائي له، وعدم إعلاله ــ وشرطه في الرواة هو الأقوى من بين أصحاب السنن. والله أعلم.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(٤٨٩/٨)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥١/٢)، مسند أحمد (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٦٧/٢)، الثقات للعجلي (ص: ٥١٨)، مسند البزار (٤٥١/٩)، سؤالات البرقاني للدارقطني (ص: ٢٠)، السنن الكبرى للبيهقي (٢٠/٣).

وإنما أطلت في بحثه قليلاً، لأنه العمدة في الباب، فلم أقف على حديث مرفوع في الباب غيره، يصرّح بمثل هذا التكرار.

(٢) مفتاح دار السعادة (١٨٧/١).

ومما يدخل ضمناً تحت هذا المعنى: حديث حذيفة بن اليمان ﷺ. الذي سبق قريباً . وفيه: "يقرأ مترسلا، **إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ...**"(١).

ومن شواهد ما ذكره ابن القيم عن السلف: ما رواه ابن المبارك في "الزهد" عن طاووس: قال لي رجل من أهل مكة: "هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو كرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]"(٢).

وروى عبدالرزاق في "مصنّفه" من طريق سعيد بن عبيد قال: رأيت سعيد بن جبير . وهو يؤمهم في رمضان . يردد هذه الآية: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] ، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، يرددها مرتين أو ثلاثاً(٣).

وعقد أبو عبيد القاسم بن سلّام في كتابه "الفضائل" باباً في: "ما يستحب لقارئ القرآن من تكرار الآية وتردادها"(٤)، وذكر فيه جملةً من الآثار في هذا الباب.

والمقصود أنه إذا كان التكرار أسلوباً تربوياً وتعليمياً في ترسيخ المعلومة، فإن تطبيقه مع كتاب الله تعالى يورثُ أنواعاً من العلم القلبي، والنظري، جراء إعمال العقل والفكر في آي الكتاب العزيز، وهذا شيء مشاهد ومجرّب.

---

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) الزهد (٣١/١)، وسنده إلى طاووس صحيح.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٢/٢)، وسنده صحيح.

(٤) فضائل القرآن (ص: ١٤٤).

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين:

تنوعتُ الإشارة في القرآن الكريم إلى أثر هذا النوع في حضور القلب، والتفاعل مع الآيات الكريمة، مما يخفى أثره ويظهر.

أما الخفي: فهو ما ذكره الله عن أعمال القلوب التي تحصل جراء سماع الوحي والتأثر به، **وأما الظاهر**: ففيما يحصل من خرور على الأذقان، وسجود على الجباه، مقروناً بالبكاء أحياناً، كقوله تعالى ـ عن الأنبياء ـ: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وكقوله عن أولي العلم ـ إذا سمعوا القرآن ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩]، وفي الآية التي قصّت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وكلُّ هذه الآيات تنص على حالة السماع للوحي السماوي من الغير: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾، مما يؤكد عظيم أثر هذا الاستماع في تحقيق مراد الله تعالى من التفكر والتدبر.

وفيما يخص التطبيق النبوي لهذا المعنى، فقد روى الشيخان عن ابن مسعود س: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي**» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء: ٤١] «**حسبك الآن**»، **فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان**(١).

---

(١) رواه البخاري ح (٥٠٥٠)، ومسلم ح (٨٠٠).

وللصحابة ﭫ ـ الذين تربوا في مدرسة محمد ﷺ نصيب من هذا، ومن ذلك:

ما روي أن عقبة بن عامر ـ وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ـ قال له عمر: اعرض عليّ سورة براءة! فقرأها عليه، فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: «ما كنت أظن أنها أنزلت»[١]!

وقال أبو سلمة ابن عبدالرحمن: كان عمر يقول لأبي موسى: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ عنده أبو موسى ـ وهو جالس في مجلسه ـ ويتلاحن[٢].

وهذا شيء معلومٌ يجده الإنسان من نفسه، فإن بعض القرّاء ممن آتاهم الله صوتاً حسناً، يقع ـ في بعض الأحيان ـ التأثر منهم، والتأثير في النفس أكثر مما يجده الإنسان من قراءته بنفسه، خاصةً إذا كان القارئ ممن يقرأ القراءة المفسرة، التي يشعر السامع معها أن القارئ يتدبر ويعي معاني ما يقرأ، "والقلوب تخشعُ بالصوتِ الحسن، وما تتأثر به القلوب في التقوى، فهو أعظم في الأجر، وأقربُ إلى لين القلوب، وذهاب القسوة منها"[٣].

وأجد من المناسب ذِكْرُ بعض ما وقع لابن العربي من مواقف لا تخلو من فائدة، حيث يقول:

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٨٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/٤٩٩)، وفي سنده لينٌ من أجلِ حيي بن عبدالله المعافري، فهو صدوقٌ يهم، وظاهر القصة أنها مرسلةٌ، فإن أبا عبدالرحمن الحُبلي لم يدرك عمرَ س، وليس في الرواية ما يوحي بسماعه لها من عقبة بن عامر س ـ والله أعلم ..

ومما يستأنس به احتجاج الذهبي بها، والذي علّق عليها بقوله ـ في تاريخ الإسلام (٢/٥٢٤) ـ قائلاً: "معناه ما كأني كنت سمعتها؛ لحسن ما حبّرها عقبة بتلاوته، أو يكون الضمير في " نزلت " عائداً إلى آيات من السورة استغربها عمر، والله أعلم".

(٢) رواه أبو عوانة في مستخرجه (٢/٤٧٥)، وفي سنده إرسال؛ لأن أبا سلمة لم يسمع من عمر. ومعنى: يتلاحن، أي: يقرأ بقراءة ملحّنة.

(٣) أحكام القرآن (٤/٥) باختصار.

"**سمعت** تاج القراء ابن لفتة بجامع عمرو يقرأ: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩]، فكأني ما سمعت الآية قط.

وسمعت بمدينة السلام شيخ القراء البصريين يقرأ - في دار بها الملك -: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، فكأني ما سمعتها قط حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] فكأّن الإيوان قد سقط علينا.

وكان ابن الكازرُوني[١] يأوي إلى المسجد الأقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، ولقد كان يقرأ في مهد عيسى فيسمع من الطور، فلا يقدرُ أحدٌ أن يصنع شيئاً طولَ قراءته إلا الاستماع إليه.

وكان صاحب مصر - الملقب بالأفضل[٢] - قد دخلها في المحرم سنة (٤٩٢هـ) وحوّلها عن أيدي العباسية، وهو حنق عليها وعلى أهلها بحصاره لهم وقتالهم له، فلما صار فيها، وتداني بالمسجد الأقصى منها، وصلى ركعتين تصدى له ابن الكازروني، وقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فما مَلَكَ نفسه حين سمعه أن قال للناس على عظم ذنبهم عنده، وكثرة حقده عليهم: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢][٣].

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) هو أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل، أرمني الأصل. داهيةٌ، فحل الرأي، شهم، جيد السياسة. كانت ولايته ثمانيةً وعشرين سنة، ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (١٠٣/١).

(٣) أحكام القرآن (٤/٤-٥).

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام:

ورد في السنّة جملةٌ من الأحاديث والآثار التي يقع فيها تفاعل بالرد على سؤال يَرِدُ في السورة، وغالباً ما يكون في ختامها، مما يدلُّ على تحقيق مقصد من مقاصد التدبر، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة، والتجاوب معها، ومن ذلك:

١ ـ ما رواه أبو داود من طريق إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **"من قرأ منكم والتين والزيتون، فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: لا أقسم بيوم القيامة، فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى، ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله "**، قال إسماعيل: ذهبت أعيد على الرجل الأعرابي، وأنظر لعله، فقال: «يا ابن أخي، أتظن أني لم أحفظه، لقد حججت ستين حجة، ما منها حجة إلا وأنا أعرف البعير الذي حججت عليه»(١).

---

(١) أبو داود ح (٨٨٧)، والترمذي ح (٣٣٤٧)، وأحمد ح (٧٣٩١)، وصححه الحاكم (٢/٥٥٤)

ووقعت تسمية الأعرابي عند الحاكم: **أبا اليسع**، ولكن هذا لا يصح، لأن الذي سمّاه راوٍ متروك اسمه: يزيد بن عياض، وسمّي: **محمد بن عبدالرحمن بن سعد**، عند أبي بكر الشافعي في "الغيلانيات" ح (٧١٨)، وفي سنده متروك.

ورواه ابن أبي حاتم في العلل رقم (١٧٦٣) من طريق ابن عليّة، عن إسماعيل بن جعفر، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبي هريرة **موقوفاً**. وعبدالرحمن بن القاسم لم يسمع من أبي هريرة، وهذا الوجه الموقوف رجّحه أبو زرعة، لكن قال ابن المديني: إن ابن عليّة لم يحفظه.

وفي الحديث اختلاف أوسعُ من هذا، ينظر: علل الدارقطني (١١/٢٤٨)، ميزان الاعتدال (٤/٥٨٩).

٢ . ورى أبو داود من حديث موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، قال: «**سبحانك**»، فبكى، فسألوه عن ذلك، فقال: «سمعته من رسول الله ﷺ»(١).

٣ . روى الحاكم من حديث حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي ﷺ ، فسمعته ـ وهو يصلي من الليل ـ يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨، ٥٩] "قال: بل أنت يا رب، ثلاثا" ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، " قال: بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنزلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزلُونَ﴾ [الواقعة:٦٨، ٦٩]، قال: "بل أنت يا رب ثلاثا، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢] قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً"(٢).

---

(١) أبو داود ح (٨٨٤)، وفي سنده انقطاع، فموسى لم يدرك أحداً من الصحابة، ويوضح ذلك رواية إسرائيل بن يونس عن موسى عند عبدالرزاق في "التفسير" (٣/٣٧٠): عن موسى بن أبي عائشة ، **أن رجلا حدثهم قال: أمهم رجل** فقرأ.. الحديث، ولهذا قال ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/٥٠): "وموسى بن أبي عائشة ثقة مخرج له في الصحيح، لكنه وصف بكثرة الإرسال".

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٥١٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبير" (٢/٤٤١).

ورواه عبدالرزاق في "المصنف" (٢/٤٥٢) من طريق **شداد بن جابان**، عن حجر المدري، من فعله، وليس من فعل عليّ **س**، ولا أدري ممن هذا الاختلاف، فإن الحاكم رواه في "مستدركه" من طريق أحمد بن حنبل، ثنا عبدالرزاق، أنبأ معمر، عن شداد

٤ . روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا قرأت: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فقل: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأت: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فقل: سبحانك! وبلى(١).

ومع ما في المرفوع من هذا الباب من مقالٍ، إلا أن الموقوفات جيدة الأسانيد، ومثلها يقوى الاستدلال به على ما نحن بصدده، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة التي تختم ببعض الأسئلة، التي يدل التفاعل معها على تدبر القارئ لكلام الله تعالى، وحضور قلبه مع تلك الأسئلة.

بن جابان الصنعاني، عن حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.. الحديث، **ويحتمل أنه من شداد بن جابان**، فإنه ليس بالمشهور، وقد قال عنه ابن قطلوبغا: صدوق،كما في "الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة" (٢٢٣/٥)، والله أعلم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٤١٨/٣)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" ح (١٣)، والطبري في تفسيره (٣١٠/٢٤)، المستغفري في "فضائل القرآن" ح (٧١- ٧٣)، وصححه ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٤٨/٢) موقوفاً، وأشار إلى ذلك أبو داود في السنن ح (٨٨٣).

الفصل الثاني: معالم الهدي النبوي العامة في التربية على التدبر .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تخلّقه العمليّ بالقرآن :

لا شك أن للقدوة أثراً بالغاً على السامع لسير القدوات، فكيف بأثرها على المتلقي المباشر؟!

ولما كان للقدوة الأثر العظيم، فقد أكثَرَ القرآنُ من ذكر القصص والأخبار للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وخصّ الخليل بذلك فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وفيما يخص هذه الأمة، فقد أمر الله المؤمنين بالتأسي بخير قدوة وأسوة، محمدٍ ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فقد جمع الله له أنواعاً من الكمالات البشرية لم تجتمع لغيره، ومن ذلك: تخلّقه بالقرآن الكريم، في أحواله كلها: فرحاً وحزناً، حرباً وسلماً، في السراء والضراء، مع الصديق والبعيد، مما جعل ألصقَ الناسِ به من أهل بيته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول للسائل الذي سألها عن خلقه ﷺ: «**ألست تقرأ القرآن؟**» قلت: بلى، قالت: «**فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**»[1].

ومن تأمل السيرة النبوية، وجد أثر هذا التخلق بلا عناء، وما عفْوُه عمن آذوه يوم الفتح، وكرمُه وجودُه المتناهي ـ حين يعطي سائلاً غنماً بين جبلين ـ، ولا صبرُه على الأذى القولي والفعلي الذي يسمعه ويصيبه= إلا نماذج تطبيقية لتخلقه بالقرآن.

---

(١) مسلم ح (٧٤٦).

ولعلي أشير في هذا المقام إلى نموذجين يوضحان هذا المعنى بشكل جليّ، وهما:

الأول: قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، **يتأول القرآن**(١)، أي: يعمل به.

الثاني: يقول حذيفة بن اليمان ﷺ: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»(٢)!

والوفاء بالعهد مع وروده في مواضع كثيرة، إلا أنه أيضاً جاء التأكيد عليه في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر، وفيها يقول الله عن أولئك الكفار: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٦-٥٨].

والسؤال هنا: من الذي سيُشْعِرُ قريشاً أنهم وفوا بذلك؟ والحال حرب، والرجالُ قليل؟ ودولة الإسلام في بداية تأسيسها؟ والمهاجرون مظلومون في إخراجهم من ديارهم وأموالهم؟ لكنها أخلاق القرآن، التي كان ﷺ يتمثلها، ويعيشها واقعاً حيّاً، يؤثّرُ في الكفار قبل المسلمين؛ ولهذا كانت هذه المشاهد الحيّة تختصر مسافات كبيرة في التربية بالقرآن الكريم، وتترجم معانيه بالقول والفعل، فصلوات الله وسلامه على منْ كمّله ربه، وأدّبه فأحسن تأديبه.

---

(١) البخاري ح (٨١٧)، ح مسلم (٤٨٤).

(٢) رواه مسلم ح (١٧٨٧).

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه ﷺ:

هذا المبحث وثيق الصلة بالذي قبله، إلا أن ثمة ما يختص بالحديث عن الآثار التي تشاهد من انفعاله مع الآيات وتأثرها بها المباشر، ومن المعلوم أن التأثر ليس هو التدبر، بل هو فرعٌ عنه في أحيانٍ كثيرة(١).

وقد عُني القرآن بذكر هذا الأثر في مواضع منه، كقوله تعالى ـ عن الأنبياء ـ: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وكقوله عن أولي العلم إذا سمعوا القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، وفي الآية التي قصّت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وهذا كلّه يؤكد أهمية العناية بالأثر الذي يظهر على القارئ لكتاب الله، ولعمري إن الأثر لدليل على تدبر وتأثر بالمتلو!

وفيما يخص النبي ﷺ ، فقد حفظ لنا الصحابة ﷺ نماذج من ذلكم التأثر والتفاعل، أكتفي بذكر ثلاثةٍ منها للتدليل على ذلك، فمنها:

١) ما رواه مطرف بن عبدالله بن الشخّير ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ﷺ(٢).

---

(١) وإنما قيدته بأحيان كثيرة؛ لأن التأثر قد يكون بالتدبر وقد يكون بغيره، كأن يقع التأثر بسبب روعة القرآن ونظمه، وقد يكون بسبب حال الشخص في تلك اللحظة، ينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ٢٠٤).

(٢) رواه أبو داود، ح (٩٠٤) وأحمد في المسند ح (١٦٣١٢)، وصححه ابن خزيمة ح (٩٠٠)، وابن حبان ح (٦٦٥)، والحاكم (٣٩٦/١). **والأزيز**: هو غليان جوفه بالبكاء، ينظر: "غريب الحديث" لأبي عبيد (٢٢٢/١).

قال ابن بطال: "وهذه كانت سيرة الأنبياء والصالحين، كأنْ خوف الله أُشْرِبَ قلوبَهم، واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب"(١).

٢) روى مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺحديثه الطويل في قيام الليل. وفيه: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، **إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ**..."(٢).

٣) روى الشيخان عن ابن مسعود ﷺ : قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي**» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء: ٤١] «**حسبك الآن**»، **فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان**(٣).

قال بعض العلماء: "وإنما بكى ﷺ عند هذا؛ لأنه مثّل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن"(٤).

لقد كنتُ أتساءل - وأنا أقرأ هذا الحديث - كم مرةٍ قرأ ابن مسعود هذه الآية؟ وهل خطر بباله هذا المعنى الذي دمعت، بل سالتْ لأجله دموع النبي ﷺ ؟ وهو استشعاره

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ١٨٧).

(٢) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٣) رواه البخاري ح (٥٠٥٠)، ومسلم ح (٨٠٠).

(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/٢٨١).

عليه الصلاة والسلام لهيبة الموقف؟ وشهادته على أمته؟ يبدو أن هذا المعنى لم يظهر لابن مسعود كما بدا له تلك الساعة.

إن القارئ لحكاية هؤلاء الصحب الكرام لهذه المواقف، ليشعر أنها كانت ولا زالت محفورةً في الذاكرة، وهذا شيء يجده أحدنا إذا رأى شيئاً من هذه الأحوال تقع من كبار علمائنا كيف يبقى أثرها على النفس، وإن طالت السنين، فكيف إذا كان هذا يقع من النبي ﷺ ؟.

إن هذا التجاوب مع آي القرآن، هو صورة تطبيقية منه صلى الله عليه وسلم لتدبر القرآن، وهو رسالةٌ عملية منه ﷺ تبيّنُ كيف يتدبر المؤمن هذا القرآن، بحيث يكون على الحال التي أشار لها ابن القيم حين قال: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألْقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله"[١]، فإذا بلغ العبد هذه الحال، تلقى الناس منه التدبر عملياً، كما كان يتلقونه منه صلى الله عليه وسلم وهم يرون أثر التدبر على جوارحه الشريفة.

---

(١)الفوائد (ص: ٣).

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن":

والمراد بهذا المبدأ: غرسُ معاني الإيمان، وتعظيمُ أمر الله ورسوله في القلوب، ومحبتهما، وتقديم ذلك كلّه على النفس والوالد والولد والناس أجمعين، وجعْلِ ذلك من شروط صحة الإيمان، في تنويع عجيب في الوسائل التي تحقيق هذا الأصل المهم.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: "لقد عشنا برهة من دهرٍ، **وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن**، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، **ثم لقد رأيتُ اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان**، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما آمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينتثره نثر الدقل[١]"[٢].

ويقول جندب بن عبدالله ﷺ : كنا مع النبي ﷺ . ونحن فتيان حزاورة[٣].

---

(١) الدقل: هو ردئ التمر ويابسه، كما في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٧/٢).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل" (٨٥/٤) واللفظ له، وابن منده في الإيمان (٣٦٩/١) . وقال: "**هذا إسناد صحيح على رسم مسلم**"، والحاكم في "المستدرك" (٩١/١) وقال: "**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه**"، والحديث كما قال ابن منده لا كما قال الحاكم، فهو على شرط مسلم، من أجل القاسم بن عوف الشيباني . الراوي عن ابن عمر . فهو من رجال مسلم فحسب، **وإسناد الحديث حسنٌ**، من أجل عوفٍ هذا، فإنه صدوق، كما يتبين من ترجمته في تهذيب الكمال (٤٠٠/٢٣).

ومن بدائع تعليقات الطحاوي على هذا الحديث، أنه جعل تطبيق النبي ج لهذا المنهج في التربية، وبيان كيفية تعليم الناس القرآن، وطريقة أخذهم له، من التفسير العملي منه ج للنصيحة لكتاب الله تعالى. ينظر: شرح مشكل الآثار (٨٥/٤)

(٣) حزاورة: جمع حزْوَر، وحزوّر: هو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع، ينظر: "النهاية" (٣٨٠/١).

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً(١).

ومما يوضح شيئاً من تفاصيل هذا المنهج النبوي، الذي تلقّاه الصحب الكرام عن النبي ﷺ ، ونقله الصحابة إلى التابعين، ما رواه أبو عبد الرحمن السُلَمَيّ قال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا: **أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضع يده على الحلْق**(٢).

فمجموع هذه الآثار يبين المنهج النبوي الذي سار عليه ﷺ في غرس هذا المبدأ، وكيف أخرج ذلك الجيل العظيم ـ جيل الصحابة ـ مع أن أكثرهم لم يكن حافظاً للقرآن كله، بل الحفاظ له هم الأقلّ، لكنهم تلقّوا حقائق القرآن، وفهموا مقاصديه ومعانيه، فسرى هذا في عباداتهم، وسلوكهم، ومعاملاتهم.

ومن تأمل في قصة إراقة الخمر، وفي قصة أبي طلحة حين نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] وتصدقه ببستانه، وقصةِ ثابت بن قيس حين نزل صدر سورة الحجرات، وقصةِ كعب بن

---

(١) ابن ماجه ح (٦١)، وابن ابن منده في الإيمان (١/٣٧٠)، والبيهقي في "السنن" (٣/١٧١) من طريق **حماد ابن نجيح**، عن أبي عمران الجوني، عن جندب، به. وحمادٌ هذا، وإن لم يكن كثير الرواية إلا أن كبار الأئمة وثقوه، كالإمام أحمد وابن معين، وأبو حاتم، وغيرهم، كما يتبين من ترجمته في "تهذيب الكمال" (٧/٢٨٦): ولهذا قال ابن منده ـ عقب إخراج الحديث ـ: «البخاري استشهد بحماد هذا، وهو صالح»، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (١/١٢): "إسناد صحيح، رجاله ثقات".

(٢) رواه ابن سعد في "الطبقات" (٦/١٧٢)، والطحاوي في شرح المشكل (٤/٨٤)، وسنده جيد، وهو من رواية حماد بن زيد عن عطاء بن السائب ـ وهو ممن اختلط ـ، وقد نصّ النسائي وغيره على أن رواية حماد عنه جيدة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/١١٣).

مالك حين أُمِرَ بمفارقة زوجته، فقال: أطلّقها أم ألحقها بأهلها؟ وقصةِ نساء الأنصار حين نزلت آية الحجاب؟ وغيرها كثير، إلا أكبر شاهد على أثر هذه التربية النبوية العظيمة.

لذا، فإنني أتمنى أن يعود تطبيق هذا المنهج ـ **"الإيمان قبل القرآن"** ـ في حلقات مساجدنا، ولئن كان يصعب تحويل الحلقات كلها إلى هذا، فلا أقلّ من تأسيس حلقةٍ في كلّ مجمّع تتبنى ذلك، وهذا يسبقه تهئية المدرسين الذين يقومون على هذه الحلق، إذْ لا بد أن يكونوا ممن يتحلون بخلق القرآن، وعلى قدر جيد من التحصيل الشرعي، خاصةً في القرآن وعلومه، وأن يكونوا ممن عرفوا بذلك، فالتلقي هنا ليس مجرد تلقين، بل نقل للمعرفة والسلوك.

إن كثيراً من طلاب الحلقات لا يتهيأ له الاستمرار حتى يحفظ ـ وهذا شيء طبعي ـ فلتبق معه التربية الإيمانية، والهدايات القرآنية، وإن لم يكمل حفظ القرآن، إذْ المقصد الأكبر إصلاح القلب والسلوك ما أمكن، وإن لم يتيسر الحفظ، فالحفظ فضلٌ، يؤتيه الله من يشاء، وعلى مدار القرون لم يكن الحفاظ إلا عدداً قليلاً في الناس.

الخاتمة

بعد هذا التطواف المختصر في رياض السنة، التي حاولت فيها تلمس معالم الهدي النبوي في تربية الصحابة على التدبر، فإني أسجل ملخص ما سبق، مع بعض التوصيات فيما يلي:

أولاً: أن التدبر من أعظم مقاصد التنزيل، وقد حرص النبي ﷺ على تعريف أمته ـ وعلى رأسهم الصحابة ﭫ ـ معاني القرآن أعظم من حرصه على تعريفهم حروفه.

ثانياً: أن حياته ﷺ العملية، كانت بمثابة التفسير الحي والعملي، والتدبر التطبيقي لمعاني القرآن.

ثالثاً: أنه صلى الله عليه وسلم سلك في سبيل تربية أصحابه على التدبر عدة وسائل علمية وعملية، ظهر أثرها عليهم ﭫ، كما ظهرت هذه التربية في نقل الصحابة لها إلى من تلقى عنهم من التابعين رحمهم الله.

رابعاً: يلاحظ أنه ورد عن الصحابة صور من التربية العملية على التدبر في بعض المواضع ـ كإجابة الأسئلة القرآنية، وترديد الآيات ـ أكثر مما ورد في المرفوع، وهو يدل على أن بعض الصور فهم منها الصحابة عدم التوقيف على ذات الصور المروية في المرفوعات، كأثر علي في إجابة أسئلة آخر سورة الواقعة، وهي مسألة تحتاج لمزيد بحث وتحرير.

خامساً: أختم بتوصيتين أراهما مهمة لتكميل جهود هذا الملتقى المبارك:

الأولى: فواقع حلقات ودور تحفيظ القرآن، يفتقد في كثير من الأحوال أبرز صور التربية النبوية بالقرآن، ومنها ما ألمحتُ إليه في مطلب: "**التربية بالإيمان قبل القرآن**"، وكذلك المنهج الذي سلكه الصحابة في تعليم القرآن عشر آيات، عشرَ آيات، وأنه ينبغي أن يكون هناك حلقٌ تعتني بهذا المسلك النبوي، لتتربى أجيال الأمة بمعاني القرآن، أكثر من مجرد حفظ حروفه.

الثانية : عقد ندوات أو ملتقيات كهذا الملتقى المبارك؛ لإبراز المنهج النبوي، والمنهج الذي سلكه الصحابة ومن تبعهم، في تربية من تحت أيديهم على القرآن، قولاً وعملاً وسلوكاً، وتتأكد العناية بإبراز جهود العلماء عبر القرون، كون تجاربهم تمثّل ثروة مهمة في التعامل مع المتغيرات التي مرّت بها الأمة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا، وكيف ربّوا تلك الأجيال بهدي القرآن؛ ليستفيد منها العلماء، والمربون، ومدرسو حلق تحفيظ القرآن من الرجال والنساء، وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لابن العربي، ت: علي البجاوي، ١٣٩٤هـ، دار الفكر، بيروت.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، الأولى، ١٤٢٦هـ، دار عالم الفوائد، مكة.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم، الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية — بيروت.

٦. الأعلام، للزركلي، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.

٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ت: د.يحيى إسماعيل، الأولى ١٤١٩هـ، دار الوفاء ، مصر.

٨. الإيمان لأبي عبدالله ابن منده، ت: د.علي الفقيهي، الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة — بيروت.

٩. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠ هـ، دار الفكر — بيروت.

١٠. تاج العروس، للزبيدي، لمجموعة من المحققين ،دار الهداية.

١١. تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: عمر تدمري، العشرون، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢. تاريخ الثقات، للعجلي، بترتيب الهيثمي، ت: د.عبدالمعطي قلعجي، الأولى – ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣. التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٤. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، دار الفكر ، بيروت.
١٥. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو العمروي، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفكر– بيروت.
١٦. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ت: محمد الحجار، الثالثة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، دار ابن حزم، بيروت.
١٧. التحرير والتنوير، لابن عاشور، الأولى، ١٤٢٠هـ، ، مؤسسة التاريخ ، تونس.
١٨. تفسير البغوي، ت: محمد النمر وآخرون، الرابعة، ١٤١٧ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ت: محمد علي شاهين، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية — بيروت.
٢٠. تفسير عبدالرزاق ،ت: د.محمود محمد عبده، الأولى، سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢١. تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: محمد عوامة، الأولى ، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد ، سوريا.
٢٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المزي، ت: د.بشار عواد معروف، السادسة – ١٤١٥ هـ، الرسالة ، بيروت.
٢٣. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قطلوبغا، ت: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الأولى، ١٤٣٢هـ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن.
٢٤. جامع البيان في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م جامعة الشارقة.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا بن جرير الطبري، الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، مصر.
٢٦. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ابراهيم باجس ، الأولى ، ١٤١١ هـ ، الرسالة ، بيروت.
٢٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٨. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بدون بيانات أخرى.
٢٩. الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير يوسف، الثالثة، ١٤١٩هـ، دار ابن حزم، بيروت.
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ، ت: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، السابعة والعشرون، ١٤٢٥هـ، الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت.
٣١. الزهد لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية — بيروت.
٣٢. سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البابي الحلبي.
٣٣. سنن أبي داود ،ت: محمد عوامة ،الأولى، ١٤١٩، دار القبلة – جدة.
٣٤. سنن الترمذي المطبوع باسم الجامع الكبير، للترمذي، ت: د.بشار عواد معروف، ثانية، ١٩٩٨ م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت.
٣٥. السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن شلبي، وإشراف شعيب الأرناؤوط، الأولى، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.
٣٦. السنن الكبير للبيهقي، ت: محمد عبدالقادر عطا، الثالثة، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. سؤالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه، ت: عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، كتب خانه جميلي – لاهور، باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٨. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين، السابعة، ١٤١٠ هـ، الرسالة، بيروت.

٣٩. شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض.

٤٠. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الثانية– ١٤٢٣هـ.

٤١. شرح مشكل الآثار، ت: شعيب الأرناؤوط، الأولى، ١٤٠٥هـ، الرسالة، بيروت.

٤٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفرسي تحقيق شعيب الأرناؤوط، ثانية، ١٤١٤ هـ، الرسالة ، بيروت.

٤٣. صحيح ابن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٤. صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب ،ومحمد فؤاد عبدالباقي، الأولى ،١٤٠٠هـ، المكتبة السلفية ـ القاهرة.

٤٥. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبدالباقي ،المكتبة الإسلامية ـ اسطنبول.

٤٦. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ت: علي الدخيل الله، الأولى، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض.

٤٧. الطبقات الكبرى لابن سعد، ت: إحسان عباس، الأولى، ١٩٦٨م، دار صادر، بيروت.

٤٨. العلل، للدارقطني ،ت: محفوظ الرحمن زين الله ،الأولى ،طيبة ـ الرياض.

٤٩. العلل، لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/سعد بن عبدالله الحميد و د/خالد بن عبدالرحمن الجريسي، الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، مطابع الحميضي بالرياض.

٥٠. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، الأولى-١٣٩٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ـ الهند.
٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٥٢. الفروق اللغوية للعسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥٣. فضائل القرآن لابن الضريس، ت: غزوة بدير، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، دار الفكر، دمشق.
٥٤. فضائل القرآن للمستغفري، ت: أحمد بن فارس السلوم، الأولى، ٢٠٠٨ م، دار ابن حزم
٥٥. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م،دار ابن كثير (دمشق - بيروت).
٥٦. الفوائد، لابن القيم، الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ،دار الكتب العلمية — بيروت.
الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى - ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٥٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي ، ت: علي حسين البواب، دار الوطن — الرياض.
٥٨. مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
٥٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ،جمع عبدالرحمن ابن قاسم ،وابنه محمد [بدون بيانات].

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الأولى – ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية — بيروت.

٦١. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية — بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ.

٦٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، ت: طيار قولاج، ١٣٩٥هـ، بيروت.

٦٣. مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، دار المعرفة — بيروت.

٦٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة ، بيروت.

٦٥. مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط وجماعة، الأولى – ١٤١٣ هـ، الرسالة ، بيروت.

٦٦. مسند البزار، حققه محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، الأولى (من ١٩٨٨ وانتهت ٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

٦٧. مصباح الزجاجة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، تحقيق كمال الحوت، الأولى – ١٤٠٦هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

٦٨. المصنف، لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . المجلس العلمي.

٦٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى – ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٧٠. المعرفة والتاريخ، للفسوي، ت: أكرم العمري، الثانية، ١٤٠١هـ، الرسالة –بيروت.

٧١. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية — بيروت.

٧٢. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د.مساعد الطيار، الأولى، ١٤٢٣هـ، ابن الجوزي، السعودية.
٧٣. مقاييس اللغة ،لابن فارس ،ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل ، بيروت.
٧٤. ميزان الاعتدال، ت: علي محمد البجاوي، الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٧٥. نتائج الأفكار، لابن حجر، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، الثانية ١٤٢٩ هـ ، دار ابن كثير، بيروت.
٧٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر ، بيروت.

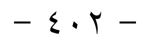
المحور الثالث

التربية بالقرآن وجهود سلف الأمة وعلمائها فيها

وفيه بحثان :

- جهود الماوردي في التربية بالقرآن الكريم .

- السؤال والجواب التفسيري عند السَّلف ودوره في التربية بالقرآن .



جهود الماوردي في التربية بالقرآن الكريم
(٣٦٤ – ٤٥٠ هـ)

إعداد

الدكتور : عبد القادر بن ياسين الخطيب

الأستاذ المشارك بجامعة الأمير سلطان بالرياض

قسم الثقافة الإسلامية

١٤٣٦هـ

ملخص البحث

يُعد العالم الجليل أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي[٣٦٤-٤٥٠ هـ] من أبرز علماء المسلمين الذين كانت لهم جهود تربوية عظيمة، استنبطوها من توجيهات القرآن الكريم، ومن السنة النبوية التي بيّنت ما أجمله، ووضحت معناه، أو من خلال تجاربهم وملاحظاتهم، فهو الإمام الفقيه الشافعي، والفقه الإسلامي يتضمن العديد من المبادئ والتوجيهات التي ترسخ التربية الإسلامية السوية، وتمزج بين مصالح الدين والدنيا، وتحقق السعادة فيهما. بدت جهود هذا الإمام من خلال المناصب والمهام التي تقلدها، وأبرزها: تدريسه ببغداد والبصرة مدة طويلة، وتسنمه منصب القضاء في بلدان كثيرة، ثم رئيس القضاة. ومن خلال كتبه التي ألفها في فنون مختلفة، أودع فيها كثيراً من التوجيهات التربوية، قاصداً الجمع - في التربية - بين الكلمة المكتوبة في التأليف، والكلمة المسموعة في التدريس والقضاء، إيمانا منه بقوة تأثيرها عبر العصور، وأهم كتبه: كتاب " ادب الدنيا والدين " الذي أودع فيه نظرياته التربوية والتعليمية، وكتاب "تفسير النكت والعيون" وكتاب "الأحكام السلطانية" وكتاب "الحاوي" .

وقد أورد في هذه الكتب مصطلح "التربية" في مواضع، كما وردت فيها مصطلحات ذات صلة بمصطلح "التربية"، وهي " التعليم" و "التأديب" و "التهذيب".

وصرح بما يراه مصادر للتربية، وهي: القرآن الكريم أصل الشريعة، وينبوع التربية، والسنة النبوية المشتملة على بيان مجمله وتفسير ما يشكل علينا منه، مستفيداً من آراء السلف وخبراتهم.

وقرر العلاقة الوثيقة بين شريعة الله ودينه وبين التربية، حيث إن توجيهاته تمثل أهدافاً تربوية ووسائل وأساليب تساعد على تحقيق تلك الأهداف.

وأيضاً، فإن الهدف الرئيس من التربية رعايةُ مصالح الإنسان — منذ نشأته وفي مراحل حياته المختلفة – في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، وتنمية كل ما يتعلق بتلك المصالح في الدنيا، وبما يؤدي إلى صلاح أمره في الآخرة، وهذه هي مقاصد الشريعة، فهي تهدف إلى جلب مصالح الإنسان ودفع المفاسد عنه، بما يحقق سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، وقد بث عالمنا ما يتعلق بتلك المقاصد في ثنايا تفسيره للآيات، وإبانته للفروع الفقهية والتوجيهات التربوية، فغدت تطبيقات عملية لتلك المقاصد.

ولضمان تحقيق ذلك الهدف أكد الماوردي على ضرورة أن يتحلى المربي بآداب كريمة — ويربي عليها طلابه – منها: أن يقصد وجه الله تعالى، وأن يعمل بعلمه، وأن لا يبخل بتعليم طلابه ومن يتربى على يديه، وأن يتواضع لهم، ويَحْذر من العُجْب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أوضح لنا معالم الدين، ومنّ علينا بالكتاب المبين، وأصلي وأسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أهل القرآن، الغُر الميامين، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت السنون، أما بعد:

فإن التربية في المفهوم الإسلامي تُعنى بتنشئة الإنسان وإعداده في جوانب الحياة المختلفة وفق منهج الله الحكيم، هادفة بذلك إلى جلب السعادة له في الدنيا والآخرة، فهي إذاً تنظيم لعلاقة المسلم بربه من خلال تقوية إيمانه، وتنظيم لعلاقته بنفسه وبمجتمعه وببيئته وبعصره، من خلال إكسابه قواعد السلوك الحسن بما يتناسب مع مستجدات كل عصر، وجعلها واقعاً معاشاً، وصولاً إلى بناء المجتمع المتماسك المتعاون الذي يسعى إلى العمل والبناء والرقي والتطور في نواحي الحياة المختلفة؛ ليعمر الأرض بالخير كما أمر الله.

ولا شك أن القرآن الكريم – وهو المصدر الأول للتشريع – قد اشتمل على منهج تربوي واضح متكامل الأسس والأهداف؛ فـ « مُعظَمُ مقاصدِ القُرْآنِ الأمرُ بِاكتسابِ المصالحِ وأَسْبَابِهَا، والزَّجْرُ عن اكتسابِ المفاسدِ وأسبابِهَا »[1] ، فلا غنى عنه لمن يسعى إلى تأسيس نظام تربوي محكم، وقد بينت السنة النبوية ما أجمله القرآن ووضحت معناه، وكان ﷺ يسير على هدي القرآن في حياته كلها، واقتفى أثره صحابته الكرام ﷺ، وتبعهم على ذلك التابعون وتابعوهم رحمهم الله .

---

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبدالسلام ١/٨ .

وقد استلهم جهابذة علماء المسلمين – على مرّ العصور - طريق هؤلاء السلف، واتخذوها نبراساً لهم، وهم يضعون قواعد علم التربية ، ويحددون أهدافه ووسائله ، في كل عصر ومصر؛ ومنهم العالم الجليل: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي [٣٦٤ – ٤٥٠ هـ] الذي كان من أبرز علماء عصره فقهاً وسياسية وتربية، فأردت أن أوضح جهوده الجبارة في ميدان التربية بالقرآن، فكان عنوان بحثي:

جهود الماوردي في التربية بالقرآن الكريم

متقدماً به إلى "ملتقى التربية بالقرآن الكريم مناهج وتجارب" الذي تنظمه الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه" ، منارة العلم الرائدة في مجال الدراسات القرآنية، وسبل تطبيقها في واقع الأمة، في ضوء المستجدات المعاصرة.

الدراسات السابقة :

نظراً لمنزلة الماوردي العالية بين علماء عصره ومن بعدهم، فقد كُتبت حوله كتب وبحوث ، درَسَت شخصيته ، أو سلطت الضوء على جهوده في علوم الشريعة ، أو تناولت دراسة بعض كتبه، من ذلك:

١. الأدلة الشرعية عند الماوردي – جمعاً وتوثيقاً ودراسة، وهي أطروحة ماجستير تقدم بها الدكتور عبداللطيف بن سعود الصرامي لقسم أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٦هـ.

٢. دلالات الألفاظ، والاجتهاد والتقليد، والتعارض والترجيح – جمعاً وتوثيقاً ودراسة، وهي أطروحة ماجستير تقدم بها عبدالقادر بن ياسين الخطيب لقسم أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

٣. الآراء التربوية للماوردي من خلال كتابه "أدب الدنيا والدين" دراسة تحليلية نقدية. لخديجة محمد الجيزاني. وهي أطروحة ماجستير مقدمة لقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٧هـ.

٤. كتاب قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه "أدب الدنيا والدين" للدكتور علي خليل مصطفى. طبع عام ١٤١١هـ.

٥. الفكر التربوي عند أبي الحسن الماوردي من خلال كتابه "أدب الدنيا والدين" للدكتور سعيد شريفي، المنشور في مجلة التربية والأبستيمولوجيا، ببوزريعة –الجزائر – العدد الأول ٢٠١١م .

٦. النمو المعرفي عند الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" للدكتور عبد الرؤوف أحمد عيسى، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون العدد ٤١ ملحق ١ عام ٢٠١٤م.

وتتميز دراستي في هذا البحث في أني سلطت الضوء على جهود الماوردي في التربية بالقرآن، في كتبه كلها، بما يتناسب مع طبيعة البحث وحجمه.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي في هذا البحث، فجاء في مقدمة، وثلاثة مباحث، وذلك وفق الآتي:

المقدمة، وتتناول الدراسات السابقة.

المبحث الأول – التعريف بالماوردي وبالتربية وبالقرآن.

المطلب الأول – التعريف بالماوردي.

المطلب الثاني – التعريف بالتربية، وبمصادرها.

المطلب الثالث – التعريف بالقرآن.

المبحث الثاني – جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال كتبه، والمناصب التي تقلدها.

المطلب الأول – جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال كتبه.

المطلب الثاني – جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال المناصب التي تقلدها.

المبحث الثالث – جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال المباحث التربوية.

المطلب الأول – حاجة الإنسان إلى غيره.

المطلب الثاني – أهمية التربية.

المطلب الثالث – آداب المربي

المطلب الرابع – أهداف التربية.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

والله الموفق

المبحث الأول : التعريف بالماوردي، وبالتربية، وبالقرآن

المطلب الأول : التعريف بالماوردي

أولاً – اسم الماوردي ونسبه: هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن البصري، الماوردي، نسبة إلى بيع ماء الورد، فقد كان والده يبيع ماء الورد(١).

ثانياً – ولادته: الذين ترجموا للماوردي لم يذكروا تاريخ ولادته، وإذا قارنا بين تاريخ وفاته، وبين ما ذكروه من أنه عاش [٨٦ سنة] تبين أن ولادته كانت سنة [٣٦٤هـ]، وقد كانت ولادته بالبصرة (٢) .

ثالثاً – نشأته: نشأ الماوردي في أسرة تهتم بالعلم، وتحرص على تعليم أبنائها، وتهيئة المناخ المناسب لهم لتلقي العلم، وقد بدأ الماوردي طلبه للعلم بالبصرة – مسقط رأسه – على يد علمائها، تحت رعاية أسرته، ثم ارتحل إلى بغداد ليتلقى فيها مزيداً من العلم، حيث البيئة العلمية أخصب، والعلماء أكثر، فهي مركز العلم والمعرفة، فانضم إلى حلقات أئمة الفقه والحديث واللغة، واستمر في هذه الحلقات يذاكر العلماء، ويفيد من علمهم، حتى بلغ فيه شأناً يُقصد فيه إليه، ويجلس التلاميذ بين يديه، واستقر به المقام في بغداد، فسكن درب الزعفران، إلى أن توفي بها(٣).

رابعاً – أخلاقه ومناقبه: اتصف الماوردي بأخلاق عالية، وصفات سامية، جعلته في الذروة بين العلماء عبر التاريخ الإسلامي، فقد ذكر عنه أصحاب التراجم أنه «كان

---

(١) ينظر : طبقات الشافعية، لابن السبكي ٢٦٧/٥ ، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٦٤/١٨، معجم الأدباء، لياقوت الحموي ٥٢/١٥، الأنساب، للسمعاني ١٨١/٥ .

(٢) ينظر : طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة ١/ ٢٣١.

(٣) ينظر : طبقات الشافعية، للإسنوي ٣٨٧/٢، مقدمة تحقيق أدب القاضي، لمحي هلال السرحان ٢٢/١.

رجلا عَظِيم القدر» [1] ، وأنه «كان إمامًا جليلاً رفيع الشَّأن، له اليد الباسطة فِي المذهب – أي: الشافعي –، والتفنن التَّام في سائر العلوم » [2] ،كان عالماً بأحكام الشريعة، عاملاً بها، وهذا غير مستغرب على الماوردي ، فهو صاحب التآليف العظيمة التي رسمت للمسلمين على اختلاف درجاتهم؛ حكاماً ووزراء وقضاة وعلماء وطلاب علم وأفراد المجتمع بشكل عام – آداب الإسلام، وأخلاقه التي يحسن بهم أن يتحلوا بها في مجالات حياتهم المختلفة[3].

خامساً – المناصب والمهام التي تقلدها: نظراً لتبحر الماوردي في علوم كثيرة، وهو « الإِمَامُ العَلاَّمَةُ » [4]، وله «التفنن التام في سائر العلوم» [5] فقد تقلد مناصب رفيعة، أهمها:

١. درّس زمناً في بغداد والبصرة، فخرّج الكثير من الأئمة، واستفاد منه خلق كثير.

٢. تولى القضاء في بلدان كثيرة.

٣. قيامه بالسفارة والوساطة بين الخليفة في عصره وبين بني بويه، وبينهم وبين السلاجقة؛ نظراً لذكائه ومهارته في الإقناع، وقد وقع ذلك منه مرات عدة[6] .

---

(١) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ١/ ٢٣١.

(٢) طبقات الشافعية، لابن السبكي ٥/ ١٧٥ .

(٣) وسيأتي تفصيل ذلك في ثنايا هذا البحث.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/ ٣١١.

(٥) طبقات الشافعية، لابن السبكي ٥/١٧٥.

(٦) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية ، لابن الصلاح ٢/٦٣٧، البد اية والنهاية، لابن كثير ١٢/٥٥.

سادساً – مؤلفاته: ألف الماوردي كتباً قيمة، انتشر بين العالمين ذكرها؛ لما امتازت به من جودة التعبير، وسلامة التفكير، و « مَن طَالَعَ كتاب "الحَاوِي" له يشهد له بِالتَّبَحُّر، ومعرفة المذهَب » (١) ، وقد أبدع في كل فن كتب فيه، ومن أبرز مصنفاته:

١. **كتاب " النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم"** وقد اختصره العز بن عبدالسلام.

٢. **كتاب "أعلام النبوة"** في العقيدة.

٣. **كتاب "أدب الدنيا والدين"** في الأخلاق والآداب والتربية، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد حظي بعناية الباحثين، شرحاً ودراسة، في القديم والحديث(٢).

٤. **كتاب "الحاوي "** وهو موسوعة علمية ضخمة، يعتبر من أوسع ما كتب في الفقه الشافعي.

٥. **كتاب الإقناع"** وهو مختصر في الفقه الشافعي.

٦. **كتاب "الأحكام السلطانية"** وهو أشهر كتب الماوردي، وهو أول كتاب في النظم الإسلامية بوجه عام؛ ولهذا اشتهر بين المؤرخين والمحْدثين، بحيث لم يكتب أحد من مؤرخي الحضارة الإسلامية إلا وتعرض له أو نقل عنه.

٧. **تسهيل النظر وتعجيل الظَّفَر**: في سياسة السلطان والولاة.

٨. **قوانين الوزارة** : في نصيحة الوزراء.

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/ ٣١١.

(٢) فقد شرحه العلامة التركي خان زاده في كتابه "منهاج اليقين في شرح أدب الدنيا والدين" ، كما قام علي خليل أبو العينين بدراسةٍ لهذا الكتاب تحت عنوان " قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي" وكتب خديجة محمد الجيزاني رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، بعنوان " الآراء التربوية للماوردي من خلال كتابه "أدب الدنيا والدين" دراسة تحليلية نقدية".

سابعاً – شيوخه وتلاميذه:

لقد كان من أسباب بلوغ الماوردي درجة عالية في العلم، تتلمذُه على يد علماء أجلاء في فنون مختلفة، منهم: الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالواحد بن محمد الصيمري [٣٨٦هـ] [١] ، والإمام أبو حامد أحمد بن محمد الإسفراييني[٤٠٦هـ][٢].

ونظراً لتبحر الماوردي في علوم كثيرة فقد تتلمذ على يديه مجموعة من الأئمة، منهم: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي [٤٦٢هـ] العالم والمربي[٣].

ثامناً – وفاته : سنة [٤٥٠ هـ] ودفن بباب حرب في بغداد، وصلى عليه الخطيب البغدادي [٤٦٢هـ] في جامع المدينة، وحضر جنازته خَلْقٌ كثير فيهم جَمْع من العلماء والرؤساء[٤].

---

(١) هو أحمد أئمة المذهب الشافعي، وانتهت إليه زعامته في البصرة، وارتحل الناس إليه من أماكن كثيرة. ينظر: طبقات الشافعية، لابن السبكي ٣/٣٣٩.

(٢) هو إمام الشافعية في زمانه، اتفق أهل عصره على جلالته وتقديمه في جودة الفقه، وحسن النظر. ينظر: طبقات الشافعية، لابن السبكي ٤/٦١، طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة ١/١٧٢.

(٣) هو صاحب التآليف المنتشرة، وأحد الأئمة الأعلام، صاحب تاريخ بغداد، والفقيه والمتفقه. ينظر: طبقات الشافعية، لابن كثير ١/٤١٨، طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة ١/١٤٠.

(٤) ينظر : طبقات الفقهاء الشافعية ، لابن الصلاح ٢/٦٣٧، المنتظم، لابن الجوزي ١٦/٢٤.

المطلب الثاني : التعريف بالتربية، وبمصادرها.

المسألة الأولى : التعريف بالتربية.

معنى التربية في اللغة : كلمة "التربية" لها أصول لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبَا يَرْبو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

الأصل الثاني: رَبِي يَرْبَى على وزن خَفِي يَخْفَى، ومعناها: نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: رَبَّ يَرُبُّ بوزن مَدَّ يَمُدُّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، ومنه قول حسان بن ثابت:

ولأنتِ أحسنُ، إذْ برزتِ لنا، يَوْمَ الخُرُوجِ بساحَةِ القَصْرِ
منْ درةٍ أغلى الملـــوكُ بها، مِمّا تَرَبّبَ حَـــائِرُ البَحْـــرِ (١)

وجاء في كتاب مفردات القرآن الكريم : « الرَّبُّ في الأصل التربيةُ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام» (٢) .

والمراد بالتربية هنا : تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي(٣).

---

(١) ورد هذان البيتان في ديوان حسان، ص ٨٦ موقع " أدب" على شبكة المعلومات.
(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ٣٣٦.
(٣) التربية الإسلامية، د. الحازمي ١٩.

فالتربية الإسلامية منهج كامل للحياة، ونظام متكامل لتربية النشء ورعايته، تحرص على الفرد والمجتمع، وعلى الأخلاق الفاضلة، والقيم المادية والروحية الرفيعة، وتُوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة(١).

والصلة بين المعنى اللغوي ومعنى التربية هنا واضحة؛ لأنه إذا رُبِّي زاد ونما وزكا، ونشأ نشأة صالحة؛ لأن المربي يتولى أمره ويقوم عليه ويرعاه ويصلحه.

والمربِّي: اسم فاعل من "ربى"، وهو الذي يقوم على تنفيذ هذا المنهج الرباني، سواء كان عالماً أو معلِّماً أو والداً أو غيرهم.

واستخلص بعض الباحثين من هذه التعريفات نتائج أساسية في فهم التربية.

النتيجة الأولى: أن التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

النتيجة الثانية : أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق ربنا وربّ كل شيء، خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سن سننا لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها، وصلاحها وسعادتها.

النتيجة الثالثة : أن التربية تقتضي خططا متدرجة، تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية، وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة.

النتيجة الرابعة: أن عمل المربى تالٍ، وتابعٍ لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه(٢).

---

(١) ينظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد ١٨ .

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د. عبد الرحمن النحلاوي ١٧، أصول التربية الإسلامية، د. سعيد علي ١٠.

وقد ورد مصطلح "التربية" عند الماوردي في مواضع من كتبه، منها :

١. ففي كتاب " أدب الدنيا والدين" شجع الماوردي الآباء على تربية أبنائهم، حينما تكلم عن النسب، وذكر الوالدين، وأن الأمهات عانين في تربية أولادهن، ثم قال: « الْأُمَّهَات أَكْثَرُ إشْفَاقًا وَأَوْفَرُ حُبًّا ؛ لِمَا بَاشَرْنَ مِنْ الوِلَادَةِ، وَعَانَيْنَ مِن التَّرْبِيَةِ، فَإِنَّهُنَّ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَلْيَنُ نُفُوسًا» (١) .

٢. وفي كتاب " النكت والعيون" طلب الماوردي من الأولاد أن يعاملوا والديهم بالبر والصلة؛ شكراً لله ولوالديهم على جهودهم التي بذلوها في تربيتهم، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤]: « أي اشكر لي النعمة، ولوالديك التربية، وشكر الله بالحمد والطاعة، وشكر الوالدين بالبر والصلة»(٢).

المسألة الثانية: الألفاظ ذات الصلة بـ "التربية" في كتب الماوردي:

تقدم أن الماوردي ذكر مصطلح "التربية" في كتبه، كما أنه ذكر مصطلحات لها صلة بمصطلح "التربية"، وهي:

أولاً – التعليم: وصلة التعليم بالتربية هي صلة الخاص بالعام، فالتربية أعم من التعليم. وهذا يعني أن التربية كعملية ليست مسؤولية المدرسة وحدها وإنما تشترك معها الأسرة وكل محاضن التربية في المجتمع. كما أن المدرسة وإن كان معظم وظائفها تعليمية فإن لها أيضا وظيفة تربوية(٣).

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٢٤٩ .

(٢) النكت والعيون، للماوردي ٣٣٥/٤ .

(٣) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، د. محمد منير مرسي ص: ٩ .

وقد حث الماورديُّ العلماءَ والمربين على التعليم، فقال : « ثُمَّ لَهُ (أي: للعالم) بِالتَّعْلِيمِ نَفْعَانِ :

أَحَدُهُمَا: مَا يَرْجُوهُ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تعالى...

وَالنَّفْعُ الثَّانِي : زِيَادَةُ الْعِلْمِ وَإِتْقَانُ الْحِفْظِ» [١] .

ثانياً – التأديب: والمراد به الأمور التي يتأدب بها الأديب من الناس، وتتضمن الإصلاح والنماء[٢] .

ثالثاً – التهذيب : أي: التنقية، يقال : هذَّب الشيء، أي: نَقَّاه، ورجل مُهَذّب، أي: مُطَهَّر الاخلاق[٣].

وقد ذكر الماوردي هذين المصطلحين معاً، فقال: « اعلم أَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى شِيَمٍ مُهْمَلَة، وَأَخْلَاقٍ مُرْسَلَةٍ، لَا يَسْتَغْنِي مَحْمُودُهَا عن التَّأدِيبِ، ولا يَكْتَفِي بِالمرْضِي منها عن التَّهْذِيب؛ لأَنَّ لمحمُودِهَا أَضْدَادًا مُقَابِلَةً يُسْعِدُهَا هَوًى مُطَاعٌ وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ ، فَإِنْ أَغْفَلَ تَأْدِيبَهَا تَفْوِيضًا إِلَى العَقْلِ أَوْ تَوَكُّلًا على أَن تَنْقَادَ إِلَى الأَحْسَنِ بِالطَّبْعِ أَعْدَمَهُ التَّفْوِيضُ دَرَكَ المجْتَهِدِينَ ، وَأَعْقَبَهُ التَّوَكُّلُ نَدَمَ الْخَائِبِينَ ، فَصَارَ مِن الْأَدَبِ عَاطِلًا ، وَفِي صُورَةِ الْجَهْلِ دَاخِلًا ؛ لِأَنَّ الْأَدَبَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّجْرِبَةِ ، أَوْ مُسْتَحْسَنٌ بِالْعَادَةِ» [٤].

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٥١ .

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٢٠٦/١ مادة "نمى"، التربية الإسلامية، د. الحازمي ٢٣ .

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٧٨٢/١ مادة "هذب"، التربية الإسلامية، د. الحازمي ٢٤ .

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٣٥٩ .

وقال في موضع آخر: « وَالتَّأْدِيبُ يَلْزَمُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا لَزِمَ الوالد لولده فِي صِغَرِهِ . وَالثَّانِي مَا لَزِمَ الإنسان فِي نفسه عند نُشُوئِهِ وَكِبَرِهِ » (١).

ومن ذلك أن الماوردي جعل عنوان كتابه " أدب الدنيا والدين" وضمّنه كثيراً من المسائل المتعلقة بالتربية كما سيأتي(٢).

المسألة الثالثة : مصادر التربية عند الماوردي.

اشتملت أصول الشريعة على قواعد ومبادي وتوجيهات جامعة استنبطت منها التربية الإسلامية أهدافها واستقت منها مناهجها وأساليبها، وأساسها القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد العلماء، وقد صرح الماوردي بذلك في مقدمة كتابه " أدب الدنيا والدين" فقال : « وَقَدْ تَوَخَّيْت بِهَذَا الكِتَابِ الإِشَارَةَ إلى آدَابِهِمَا (أي: آداب الدنيا والدين) ، وَتَفْصِيلَ مَا أُجْمِلَ من أَحْوَالِهِمَا ... مُسْتَشْهِدًا مِن كِتَابِ اللَّهِ – جَلَّ اسْمُهُ – بِمَا يَقْتَضِيهِ ، وَمِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا يُضَاهِيهِ » (٣) . وتعمل السنة على إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، وبيان التفاصيل التي لم ترد فيه صراحة، وربما اجتهد العلماء في استنباط توجيهات القرآن والسنة، وقد عبّر الماوردي عن ذلك بقوله: « ثُمَّ جَعَلَ إلى رَسُولِهِ ﷺ بَيَانَ مَا كَانَ مُجْمَلًا، وَتَفْسِيرَ مَا كَانَ مُشْكِلًا ، وَتَحْقِيقَ مَا كَانَ مُحْتَمَلًا ... قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] . ثُمَّ جَعَلَ إِلَى

(١) المرجع نفسه ٣٦١ .

(٢) ص ١٥ من البحث .

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٥ .

العُلَمَاءِ اسْتِنْبَاطَ مَا نَبَّهَ عَلَى مَعَانِيهِ، وَأَشَارَ إلى أُصُولِهِ بِالِاجْتِهَادِ فِيهِ إلى عِلْمِ المرَادِ، فَيَمْتَازُوا بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَيَخْتَصُّوا بِثَوَابِ اجْتِهَادِهِمْ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة: ١١]، وَقَالَ اللَّهُ تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] فَصَارَ الكِتَابُ أَصْلًا، وَالسُّنَّةُ فَرْعًا، وَاسْتِنْبَاطُ العُلَمَاءِ إِيضَاحًا وَكَشْفًا » [١] .

وذكر في مقدمة تفسيره " النكت والعيون" أنه لما كان « الغامض الخفي لا يُعلم إلا من وجهين: نَقْل واجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه ، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف» [٢] . فأقوال السلف وتجاربهم مصدر مهم من مصادر التربية يعتمد عليه المربون حين يضعون مناهج التربية ووسائلها؛ لأن كثيراً من وسائل التربية وأساليبها « يُكْتَسَبَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْمُعَانَاةِ، وَيُسْتَفَادَ بِالدُّرْبَةِ وَالْمُعَاطَاةِ » [٣] ، ولعل هذا الأمر هو الذي جعل الماوردي ينقل – في كتابه "أدب الدنيا والدين" – أقوال العلماء والحكماء والشعراء.

كما أن الماوردي شجع على الاجتهاد في ضوء فهم المربي لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وحذر من التقليد، وأنكر على من اعتمد على مجرد الإلهام[٤] ، وفي

(١) المرجع نفسه ٦١ .

(٢) النكت والعيون، للماوردي ١/ ٢١ .

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٣٥٩ .

(٤) الإلهام : هو إِلْقَاء معنى فِي الْقلب يطمئن لَهُ الصَّدْر يخص الله بِهِ بعض أصفيائه.
الحدود الأنيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري ٦٨ ، وينظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي ١٧٣.
ولعل مقصود الماوردي هنا التوسع في الاطمئنان إلى ما يرد في القلب من المعاني.

هذا يقول : « فَإِذَا تَقَرَّرَ فَسَادُ التَّقْلِيدِ وَجَبَ النَّظَرُ فِي أُصُولِ الشَّرْعِ لِيَصِلَ إلى الْعِلْمِ بِمُوجَبِهَا . وَأَبْطَلَ قَوْمٌ وُجُوبَ النَّظَرِ، وَعَوَّلُوا عَلَى الْإِلْهَامِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ** ﴾ [الحج: ٤٦] . فَحَمَلُوهُ عَلَى إِلْهَامِ الْقُلُوبِ هل يصح اعتبارها للاستدلال الشرعي دُونَ اعْتِبَارِهَا؟ . وَهَذَا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ وَقَوْلٌ مُطَّرَحٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ** ﴾ [فصلت: ٥٣]. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ رُؤْيَةَ الْآيَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ دُونَ الْإِلْهَامِ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الشورى: ١٠]. يَعْنِي إِمَّا بِالنَّصِّ عَلَى حُكْمِهِ، وَإِمَّا بِالنَّصِّ عَلَى أَصْلِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِإِلْهَامِ الْقُلُوبِ عِلْمًا بِغَيْرِ أَصْلٍ»(١).

وقال الماوردي أيضاً : « فالأصول الشرعية أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

فالأصل الأول: هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال الله تعالى : ﴿ **هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ** ﴾[الجاثية: ٢٩]، وقال: ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ** ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿ **وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾[الشورى: ١٠]» (٢). ثم فصل الماوردي في طرق دلالات القرآن الكريم ، وباقي الأصول الشرعية.

---

(١) الحاوي، للماوردي ٢٠/١٠٦ .

(٢) المرجع نفسه ٢٠/١٠٨، وينظر: الأحكام السلطانية، للماوردي ٩٠.

وأشـــار الماوردي إلى أهمية الاجتهاد والتجربة في التربية ونمو العقل، وذلك حين قسم العقل قسمين، وبين المراد بكل قسم، فذكر أن العقل: « غَرِيزِيّ، وَمُكْتَسَب:

فَالغَرِيزِيُّ هُوَ العَقْلُ الحَقِيقِيُّ، وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ التَّكْلِيفُ لَا يُجَاوِزُهُ إلى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إلى نُقْصَانٍ، وَبِهِ يَمْتَازُ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ، فَإِذَا تَمَّ فِي الْإِنْسَانِ سُمِّيَ عَاقِلًا، وخَرَجَ بِهِ إلى حَدِّ الْكَمَالِ...

وَأَمَّا العَقْلُ المكْتَسَـــبُ فَهُوَ نَتِيجَةُ العَقْلِ الغَرِيزِيِّ، وَهُوَ نِهَايَةُ المعْرِفَةِ ، وَصِـــحَّةُ السِّيَاسَةِ ، وَإِصَابَةُ الفِكْرَةِ، وَلَيْسَ لِهَذَا حَدٌّ؛ لأَنَّهُ يَنْمُو إنْ أُسْتُعْمِلَ وَيَنْقُصُ إنْ أُهْمِلَ. وَنَمَاؤُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ : إمَّا بِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ إذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَانِعٌ مِنْ هَوًى، وَلَا صَادٌّ مِنْ شَهْوَةٍ ، كَالَّذِي يَحْصُلُ لِذَوِي الأَسْنَانِ من الحُنْكَةِ[1] وَصِحَّةِ الرَّوِيَّةِ بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَـــةِ الْأُمُورِ... وَأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي فَقَد يَكُونُ بِفَرْطِ الذَّكَاءِ وَحُسْـــنِ الفِطْنَةِ» [2].

(١) الحنكة : لسِّنّ والتجربة والبصر بالأُمور. لسان العرب ١٠/ ٤١٦ مادة: " حنك" .

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٣٨ – ٤١ ، وينظر: الحاوي، للماوردي ٤٧/١٦، أعلام النبوة، للماوردي ١٩ .

المطلب الثالث : التعريف بالقرآن

معنى القرآن في اللغة : ذهب بعض العلماء إلى أنه مشتق، وأنه مصدر قَرَأَ مهموز، زيدت فيه الألف والنون، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وذهب آخرون إلى أنه غير مشتق، وإنما هو علَم على كتاب الله، وهو ما ذهب إليه الشافعي وابن كثير وغيرهما(١) .

وقال الماوردي: « أمَّا تسميته بالقرآن ففيه تأويلان :

أحدهما : وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، مصدر من قولك: قَرَأْتُ أي: بيّنت، استشهاداً بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] يعني إذا بيناه فاعمل به .

والتأويل الثاني : وهو قول قتادة ، أنه مصدر من قولك: قرأت الشيء ، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض؛ لأنه آي مجموعة» (٢).

معنى القرآن في الاصطلاح : ذكر له العلماء تعريفات عدة، وأولاها عندي : هو عَلَم على كتاب الله تعالى، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد به، المعجز، المنقول إلينا بالتواتر(٣) .

وتوسع بعضهم في تعريف القرآن فقال: هو كلام الله تعالى، المعجز، المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ١/١٢٨ مادة "قرن"، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ٦٦٨.

(٢) النكت والعيون ، للماوردي ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني ١/١٥. ، مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ١٥.

بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه(١).

وقد ذكر الماوردي أسماء أخرى للقرآن، وهي:

١. الفرقان، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ١].

٢. الكتاب، قال تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[الكهف: ١].

٣. الذكر،قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (٢).

قال الماوردي : « فأما تسميته بالفرقان فلأن الله ﷻ فرق بين الحق والباطل، وهو قول الجماعة؛ لأن أصل الفرقان هو الفرق بين شيئين .

وأمَّا تسميته بالكتاب ، فلأنه مصدر من قولك: كتبت كتابا، والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة ... والكتابة مأخوذة من الجمع من قولهم : كتبت السقاء ، إذا جمعته بالخرز ...

وأما تسميته بالذكر، ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه ذكر من الله تعالى ذكّر به عباده ، وعرّفهم فيه فرائضه وحدوده.

والثاني: أنه ذِكر وشرف وفخر لمن آمن به، وصدّق بما جاء فيه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[الزخرف: ٤٤] يعني أنه شرف له ولقومه » (٣) .

---

(١) ينظر: نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد ١١ .

(٢) ينظر: النكت والعيون، للماوردي ١/ ٢٣ .

وزاد بعضهم اسم النور، قال تعالى: ﴿والنور الذي أنزلنا﴾[التغابن: ٨]. ينظر: دراسات في علوم القرآن ، أ.د. فهد الرومي ٢٦ .

(٣) النكت والعيون، للماوردي ١/ ٢٤.

المبحث الثاني : جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال كتبه، والمناصب التي تقلدها.

المطلب الأول – جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال كتبه.

ألف الماوردي مؤلفات قيمة ذاع صيتها، وانتشر بين العالمين ذكرها، فقد كان له «التفنن التام في سائر العلوم»[١]، و «له تصانيف حسان في كل فن كتبه»[٢] ، وقد أودع الماوردي في كتبه كثيراً من التوجيهات التربوية المستنبطة من نصوص القرآن الكريم، فأراد أن يجمع في التربية بين الكلمة المكتوبة في التأليف، والكلمة المسموعة في التدريس والقضاء، إيمانا منه بقوة تأثيرها عبر العصور، ومما ألفه الماوردي:

١. **تفسير "النكت والعيون"** : نظراً لأهمية القرآن الكريم في عملية التربية، فقد حرص الماوردي على أن يضع بين يدي الناس (معلمين ومتعلمين، مُربين ومتربين) معاني القرآن ومقاصده؛ لأنها الأصل في تدبره وفهمه، وعليها يتوقف استنباط الأحكام واستخلاص القيم والمبادئ؛ لكي يسهل تطبيقها والعمل بما أرشدت إليه، وصولاً إلى تربية الإنسان — في أقواله وأفعاله – وفق تلك القيم والمبادئ.

وقد أشار الماوردي إلى ذلك، بل قد يُعد سبباً في تأليف كتابه هذا، حيث قال في مقدمته: « وإذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه، احتاجت ألفاظه في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الرويَّة فيها، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة، ولا يقنع فيها بمبادئ الفكرة، ليصل بمبالغة الاجتهاد وإمعان النظر

---

(١) طبقات الشافعية، لابن السبكي ٢٦٨/٥.

(٢) معجم الأدباء، لياقوت الحموي ٥٤/١٥ .

إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل، لأن الكلام الجامع وجوهاً، قد تظهر تارة، وتغمض أخرى...»[1].

وقد استفدت من هذا الكتاب في مواضع متعددة من بحثي هذا.

٢. **كتاب "أدب الدنيا والدين"** وهو كتاب مليء بالتوجيهات التربوية، فإن الماوردي « أودع فيه نظرياته التربوية والتعليمية »[2] ، التي استند فيها إلى نصوص القرآن الكريم، ونقل فيه كثيراً مما ذكره في تفسيره "النكت والعيون"، فقد أشار إلى التربية وأهميتها، فقال في مقدمته : « وَأَعْظَمُ الأُمُورِ خَطَرًا وَقَدْرًا، وَأَعُمُّهَا نَفْعًا وَرِفْدًا، مَا اسْتَقَامَ بِهِ الدِّينُ وَالدُّنْيَا، وَانْتَظَمَ بِهِ صَلَاحُ الآخِرَةِ وَالأُولَى؛ لِأَنَّ بِاسْتِقَامَةِ الدِّينِ تَصِحُّ الْعِبَادَةُ، وَبِصَلَاحِ الدُّنْيَا تَتِمُّ السَّعَادَةُ. وقد تَوَخَّيْت بِهَذَا الْكِتَابِ الْإِشَارَةَ إلَى آدَابِهِمَا، وَتَفْصِيلَ مَا أُجْمِلَ من أَحْوَالِهِمَا» [3] .

وقد تقدم أن مصطلح "الأدب" أو "التأديب" قريب في المعنى من مصطلح "التربية".

ويُعد هذا الكتاب المصدر الرئيس والمرجع الأصيل في بحثي هذا.

٣. **كتاب "الحاوي"**: وهو موسوعة فقهية كبيرة في فروع الفقه الشافعي، وهي شرح على مختصر الإمام المزني في الفقه الشافعي، قال عنه ابن كثير: « هو في المصنفات عديم النظير في بابه » [4] وقال الإسنوي: « وَلم يصنف مثله» [5] . والفقه – وهو

---

(١) النكت والعيون، للماوردي ٣٣/١ .

(٢) مقدمة تحقيق كتاب "أدب القاضي" للماوردي، لمحي هلال السرحان ٥٦/١.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٥ .

(٤) طبقات الشافعيين، لابن كثير ٤١٨.

(٥) طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة ٢٣١/١.

العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية – له علاقة وطيدة بالتربية، فقد حمل الفقه الإسلامي العديد من المبادئ والتوجيهات التي تشكل دعماً وترسيخاً لتربية إسلامية سوية، تمزج بين مصالح الدين والدنيا، وتحقق السعادة فيهما، من ذلك مبدأ التخاطب مع العقل، فالتشريع الإسلامي جعل العقول مناط التكليف، وخصوصاً فيما يتعلق بأمور الدنيا(١). قال الماوردي : « وَالتَّكْلِيفُ يَجْمَعُ أَمْرًا بِطَاعَةٍ وَنَهْيًا عَنْ مَعْصِيَةٍ . ولذلك كَانَ التَّكْلِيفُ مَقْرُونًا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَكَانَ مَا تَخَلَّلَ كِتَابَهُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفَةِ، وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، عِظَةً وَاعْتِبَارًا تَقْوَى مَعَهُمَا الرَّغْبَةُ ، وَتَزْدَادُ بِهِمَا الرَّهْبَةُ . وَكَانَ ذلك مِن لُطْفِهِ بِنَا وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْنَا ... ثُمَّ جَعَلَ إلى رَسُولِهِ ﷺ بَيَانَ مَا كَانَ مُجْمَلًا ، وَتَفْسِيرَ مَا كَانَ مُشْكِلًا، وَتَحْقِيقَ مَا كَانَ مُحْتَمَلًا ... قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] . ثُمَّ جَعَلَ إلى الْعُلَمَاءِ اسْتِنْبَاطَ مَا نَبَّهَ عَلَى مَعَانِيهِ، وَأَشَارَ إلى أُصُولِهِ بِالِاجْتِهَادِ فِيهِ إلى عِلْمِ المرَادِ، فَيَمْتَازُوا بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ وَيَخْتَصُّوا بِثَوَابِ اجْتِهَادِهِمْ. قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال اللَّهُ تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] فَصَارَ الكِتَابُ أَصْلًا، وَالسُّنَّةُ فَرْعًا، وَاسْتِنْبَاطُ العُلَمَاءِ إيضَاحًا وَكَشْفًا » (٢) . وقد كان لأغلب علماء الفقه الإسلامي إسهام في التعليم والتربية.

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية، أ. د. سعيد إسماعيلي علي ٢٦٥ .

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٦١ .

٣. **الأحكام السلطانية:** وقد ذكر فيه الماوردي مسائل تربوية أساسية، منها ضرورة وجود السلطة السياسية باعتبارها السبيل الوحيد الموصل إلى خير المجتمع، وانسجامه واستقراره وتكامله وانتظام حياته؛ لأن الأصل في بني البشر اختلاف الأهواء، وتعارض المصالح، كما أن من طبيعتهم الميل إلى التصارع مع الأنداد، كل يسعى إلى الاستئثار بالمنافع الدنيوية على حساب غيره، وفي هذا يقول : « إنه لولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين، وهمجاً مُضاعين» (١)، وبين فيه أيضاً مهام السلطة السياسية وواجبات أفرد المجتمع تجاهها، وجعل ذلك أحد القواعد الأساسية لصلاح الدنيا(٢) .

٤. **تسهيل النظر وتعجيل الظَّفَر**: وهذا الكتاب ركز فيه على ما يتعلق بفن سياسة السلطان والولاة، فيقول: « حقٌّ على ذي الأمر والسلطان أن يهتم بمراعاة أخلاقه، وإصلاح شيمته؛ لأنها آلة سلطانه، وأس إمرته» (٣)، وقام الكتاب على شرح هذه الأخلاق والشِيَم، وقصد به نصح الملوك، أو رؤساء الدول. أما كتابه " **قوانين الوزارة** " فقد جعله لنصيحة الوزراء.

وهكذا نجد أن الماوردي تفاعل مع طبقات المجتمع المختلفة، وقدم لهم أفكاراً تربوية تناسب مقامهم وطبيعة مهامهم، مستشهداً في ذلك بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وضمنها في كتبه.

---

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي ٣، وينظر: الماوردي رائد الفكر السياسي ، د. أحمد وهبان ٣٢.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي ٢٢٦ .

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي ٨.

المطلب الثاني : جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال المناصب والمهام التي تقلدها.

شهد المؤرخون وأصحاب التراجم على تمكّن الماوردي علمياً، ما جعله يتقلد مناصب مؤثرة في المجتمع؛ مكنته من التأثير في مجتمعه، وأهم المناصب والمهام التي تقلدها ما يلي:

١. **تولى الماوردي التدريس:** في بغداد مدة طويلة، وقد كانت في عصره مدينة العلماء والفضلاء ومقصد طلاب العلم، تزخر بالمدارس ودور العلم[١]، كما درّس بالبصرة مدينة العلم والعلماء[٢].

ويعد المدرّس مربياً في المقام الأول، والتعليم جزء مهم من عملية التربية، وقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم في كثير من الآيات القرآنية، مبيناً أن من أهم وظائف الرسول ﷺ تعليمُ الناس الكتاب والحِكمة وتزكية نفوسهم وتطهيرها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] [٣]، وقد قضى الماوردي في التدريس سنين كثيرة ، ومن خلال تدريسه تمكن من الاطلاع – عملياً – على ما يحتاجه المتعلم (المتربي) وما ينبغي أن يكون عليه العالم (المربي).

(١) ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤٥٦/١.
(٢) ينظر: المرجع نفسه ٤٣١/١.
(٣) ينظر: النكت والعيون ، للماوردي ١٩٢/١، ٤٣٤/١ .

ولذا كان يقصده الطلاب ليأخذوا عنه العلم[1]، وممن أخذ عنه العلم: الخطيب البغدادي [٤٦٢هـ] العالم والمربي[2]، وقد دوّن هذه التجربة في كتابه "أدب الدنيا والدين" وفي مواضع متفرقة من كتبه الأخرى، مستدلاً لها بنصوص القرآن الكريم، وشارحاً لها في تفسيره "النكت والعيون" ، ومؤيداً ذلك بأحاديث السنة النبوية، وأقوال الصحابة وسلف الأمة.

ولم تشر الكتب التي ترجمت للماوردي إلى العلوم التي درّسها، باستثناء قول بعضهم: « روى عَنهُ أَبُو بكر الْخَطِيب وَجَمَاعَة» [3] ، ولكن ما من شك أنه درّس علوم الشريعة التي ألف فيها، أو تطرق لها خلال تدريسه، وتتناول العقائد[4] والعبادات والمعاملات[5] والأخلاق[6]، والتفسير[7]، وتمثل الدين، الذي جعله الماوردي أول

---

(١) ومن تلاميذه الذين تفقهوا عليه:

١. أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي، المعروف بـ "ابن الباقلاني" [٤٨٨هـ].

٢. أبو محمد عبدالمغني بن نازل بن يحيى الألواحي [٤٨٦هـ].

٣. أبو الفضل عبدالملك بن إبراهيم بن أحمد المعروف بـ " المقدسي [٤٨٩هـ] .

ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه الحديث:

١. أبو منصور عبدالرحمن بن عبدالكريم القُشيري [٤٨٢هـ] .

٢. أبو بكر أحمد بن علي بن بدران الحُلواني، المعروف بـ " خالوه" [٥٠٧هـ].

٣. أبو العزّ أحمد بن عبيد الله بن محمد، المعروف بـ " ابن كادِش العكبري" [٥٢٦هـ].

ينظر: طبقات الشافعية، لابن السبكي ٥/٢٧٦، دلالات الألفاظ، والاجتهاد والتقليد، والتعارض والترجيح، د. عبدالقادر الخطيب ١/٥٣ – ٥٨ .

(٢) ينظر: دلالات الألفاظ، والاجتهاد والتقليد، والتعارض والترجيح، د. عبدالقادر الخطيب ١/٥٤ ، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، سالك أحمد معلوم ٢٥.

(٣) طبقات الشافعية ، للسبكي ٥/ ٢٦٧.

(٤) ألف في العقائد :كتاب "أعلام النبوة" .

(٥) ألف في العبادات والمعاملات: كتاب "الحاوي" وكتاب "الإقناع" و"الأحكام السلطانية".

(٦) ألف في الأخلاق: كتاب "أدب الدنيا والدين".

(٧) ألف في التفسير: كتاب "النكت والعيون".

قواعد صلاح الدنيا، وعلل ذلك بقوله: « لأَنَّهُ يَصْرِفُ النُّفُوسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَيَعْطِفُ الْقُلُوبَ عَنْ إرَادَتِهَا، حَتَّى يَصِيرَ قَاهِرًا لِلسَّرَائِرِ، زَاجِرًا لِلضَّمَائِرِ، رَقِيبًا عَلَى النُّفُوسِ فِي خَلَوَاتِهَا، نَصُوحًا لَهَا فِي مُلِمَّاتِهَا. وَهَذِهِ الأُمُورُ لَا يُوصَلُ بِغَيْرِ الدِّينِ إلَيْهَا، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إلَّا عَلَيْهَا. فَكَان الدِّينَ أَقْوَى قَاعِدَةٍ فِي صَلَاحِ الدُّنْيَا وَاسْتِقَامَتِهَا، وَأَجْدَى الْأُمُورَ نَفْعًا فِي انْتِظَامِهَا وَسَلَامَتِهَا. ولذلك لَمْ يُخْلِ اللَّهُ تعالى خَلْقَهُ، مُذ فَطَرَهُمْ عُقَلَاءَ، مِنْ تَكْلِيفٍ شَرْعِيٍّ، وَاعْتِقَادٍ دِينِيٍّ يَنْقَادُونَ لِحُكْمِهِ فَلَا تَخْتَلِفُ بِهِم الآرَاءُ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِهِ فَلَا تَتَصَرَّفُ بِهِمْ الْأَهْوَاءُ » (١).

٢. **تولى الماوردي القضاء في بلدان كثيرة**(٢)، بل وصل إلى مرتبة قاضي القضاة، أي رئيس القضاة، والقضاء والتربية ركنان أساسيان يعول عليهما في إصلاح المجتمعات، فهو وسيلة لبيان حكم الشرع وفصل الخصومة بين المتخاصمين، فإن الهدف من تطبيق الحدود والعقوبات والتعزيرات إصلاحُ المجرمين وزجر أمثالهم؛ للحفاظ على أمن المجتمع، وليس المقصود الانتقام منهم أو إذلالهم.

ومنصب القضاء، ورئاسة القضاة، مكّن الماوردي من الالتقاء بالقضاة وبالمتخاصمين من أفراد المجتمع ومعرفة أحوالهم عن قرب، وإرشاد القضاة إلى الطرق السليمة في عملية القضاء والتعامل مع الخصوم، وقد أورد ذلك في كتابه "أدب القاضي" (٣) . كما كانت لديه فرصة لتوجيه المتخاصمين، ومحاولة الصلح بينهم.

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٩٧ .

(٢) ينظر: طبقات الشافعيين، لابن كثير ٤١٨، طبقات الشافعية، لابن السبكي ٢٦٧/٥ .

(٣) طبع منفرداً في مجلدين منذ زمن بعيد، قبل طباعته مؤخراً مع كتاب الحاوي.

المبحث الثالث : جهود الماوردي في التربية بالقرآن من خلال المباحث التربوية.

المطلب الأول – حاجة الإنسان إلى غيره

يرى الماوردي أن الله خلق الإنسان ليعيش ضمن مجموعة تكوّن مع غيرها مجتمعاً، وجعل الناس مختلفين في قدراتهم ومتباينين في صفاتهم، ومتنوعين في سماتهم؛ ليتحقق للمجتمع التكامل، من خلال قيام أفراد المجتمع بوظائف تتلاءم مع قدراتهم، فيحتاج كل منهم إلى الآخر، فيتحقق التواصل، ويحصل التكامل(١)، وفي هذا يقول : «فَكَانَ مِنْ لَطِيفِ مَا دَبَّرَهُ وَبَدِيعِ مَا قَدَّرَهُ ، أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مُحْتَاجِينَ وَفَطَرَهُمْ عَاجِزِينَ ، لِيَكُونَ بِالْغِنَى مُنْفَرِدًا وَبِالْقُدْرَةِ مُخْتَصًّا، حَتَّى يُشْعِرَنَا بِقُدْرَتِهِ أَنَّهُ خَالِقٌ ، وَيُعْلِمَنَا بِغِنَاهُ أَنَّهُ رَازِقٌ ، فَنُذْعِنَ بِطَاعَتِهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَنُقِرَّ بِنَقَائِصِنَا عَجْزًا وَحَاجَةً . ثُمَّ جَعَلَ الْإِنْسَانَ أَكْثَرَ حَاجَةً مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ؛ لِأَنَّ مِن الْحَيَوَانِ مَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ عَنْ جِنْسِهِ ، وَالْإِنْسَانُ مَطْبُوعٌ عَلَى الِافْتِقَارِ إلى جِنْسِهِ . وَاسْتِعَانَتُهُ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لِطَبْعِهِ ، وَخِلْقَةٌ قَائِمَةٌ فِي جَوْهَرِهِ . ولذلك قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتعالى : ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. يَعْنِي: عَن الصَّبْرِ عَمَّا هُوَ إلَيْهِ مُفْتَقِرٌ وَاحْتِمَالِ مَا هُوَ عَنْهُ عَاجِزٌ ... وَإِنَّمَا خَصَّ اللَّهُ تعالى الْإِنْسَانَ بِكَثْرَةِ الْحَاجَةِ وَظُهُورِ الْعَجْزِ نِعْمَةً عَلَيْهِ وَلُطْفًا بِهِ ؛ لِيَكُونَ ذُلُّ

---

(١) ينظر: الماوردي رائد الفكر السياسي ، د. أحمد وهبان ٢٩.

الْحَاجَةِ وَمُهَانَةُ الْعَجْزِ يَمْنَعَانِهِ مِنْ طُغْيَانِ الْغِنَى وَبَغْيِ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ الطُّغْيَانَ مَرْكُوزٌ فِي طَبْعِهِ إذَا اسْتَغْنَى ، وَالْبَغْيَ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ إذَا قَدَرَ . وَقَدْ أَنْبَأَ اللَّهُ تعالى بِذَلِكَ عَنْهُ فَقَالَ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ – ٧] [١]. ثُمَّ لِيَكُونَ أَقْوَى الْأُمُورِ شَاهِدًا عَلَى نَقْصِهِ، وَأَوْضَحَهَا دَلِيلًا عَلَى عَجْزِهِ ... وَإِذَا تَبَايَنُوا وَاخْتَلَفُوا صَارُوا مُؤْتَلِفِينَ بِالْمَعُونَةِ، مُتَوَاصِلِينَ بِالْحَاجَةِ؛ لِأَنَّ ذَا الْحَاجَةِ وُصُولٌ ، وَالْمُحْتَاجَ إلَيْهِ مَوْصُولٌ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[هود: ١١٨ – ١١٩]. قال الحَسَنُ : "مُخْتَلِفِينَ" فِي الرِّزْقِ فَهَذَا غَنِيٌّ وَهَذَا فَقِيرٌ، "ولذلك خَلَقَهُمْ" يَعْنِي: للاخْتِلَافِ بالغِنَى والفَقْرِ[٢]. وقال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾[النحل: ٧١][٣]»[٤].

(١) النكت والعيون، للماوردي ٦/ ٣٠٦.

(٢) ينظر: المرجع نفسه ٢/ ٥١١ .

(٣) ينظر: المرجع نفسه ٣/ ٢٠١ .

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٢٢٠ .

المطلب الثاني : أهمية التربية

تطرق الماوردي إلى أهمية التربية والتأديب، من خلال بيانه لمكانة العلم وشـــرفه، وضرورة الاهتمام بأهم العلوم والعناية بأولاها، محذراً من الهوى الذي يصد عن العلم ويضاد العقل، وبيان ذلك في الآتي:

١. عقد باباً مســـتقلاً بعنوان " أدب النفس" وقال في مقدمته: « اعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى شِـيَمٍ مُهْمَلَة، وَأَخْلَاقٍ مُرْسَـلَةٍ، لَا يَسْـتَغْنِي مَحْمُودُهَا عَن التَّأْدِيبِ، وَلَا يَكْتَفِي بِالْمُرْضِـي منها عَن التَّهْذِيب؛ لأَنَّ لمحْمُودِهَا أَضْـدَادًا مُقَابِلَةً، يُسْـعِدُهَا هَوًى مُطَاعٌ وَشَـهْوَةٌ غَالِبَةٌ ، فَإِنْ أَغْفَلَ تَأْدِيبَهَا تَفْوِيضًـا إلى العَقْلِ أَوْ تَوَكُّلًا عَلَى أَنْ تَنْقَادَ إلى الْأَحْسَـــنِ بِالطَّبْعِ أَعْدَمَهُ التَّفْوِيضُ دَرَكَ المجْتَهِدِينَ ، وَأَعْقَبَهُ التَّوَكُّلُ نَدَمَ الخَائِبِينَ، فَصَارَ مِن الأَدَبِ عَاطِلًا، وَفِي صُورَةِ الجَهْلِ دَاخِلًا ؛ لِأَنَّ الأَدَبَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّجْرِبَةِ، أَوْ مُسْـــتَحْسَـــنٌ بالعَادَةِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ مُوَاضَـــعَةٌ . وذلكَ لا يُنَالُ بِتَوْقِيفِ العَقْلِ وَلَا بِالِانْقِيَادِ لِلطَّبْعِ حَتَّى يُكْتَسَـــبَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْمُعَانَاةِ، وَيُسْـــتَفَادَ بِالدُّرْبَةِ والمعَاطَاةِ . ثُمَّ يَكُونُ العَقْلُ عَلَيْهِ قَيِّمًا وَزَكِيُّ الطَّبْعِ إِلَيْهِ مُسَـــلِّمًا . وَلَوْ كَانَ العَقْلُ مُغْنِيًا عَن الأَدَبِ لَكَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَن أَدَبِهِ مُسْتَغْنِينَ ، وَبِعُقُولِهِمْ مُكْتَفِينَ » (١).

٢. وعقد الماوردي باباً مستقلاً آخر فصّل فيه مكانة العلم، وكيف يحصلّه الراغبون فيه، ومقاصـــد الناس في تحصـــيله، والآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المتعلم والعالم، كما تعرض لمعوقات تحصيل العلم، ووسم هذا الباب بـــــ " أَدَب الْعِلْمِ"، وقال في

---

(١) المرجع نفسه ٣٦١ .

مقدمته : « اعْلَمْ أَنَّ العِلْمَ أَشْرَفُ مَا رَغَّبَ فِيهِ الرَّاغِبُ ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَاقْتَنَاهُ الْكَاسِبُ ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَفَضْلَهُ يُنْمِي عَلَى طَالِبِهِ. قال اللَّهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] فَمَنَعَ المسَاوَاةَ بَيْنَ الْعَالِمِ والجَاهِلِ لِمَا قَد خُصَّ بِهِ العَالِمُ مِنْ فَضِيلَةِ العِلْمِ»(١).

وفي موضع آخر أبان الفرق بين العلم والجهل، وأن السعادة في العلم والعقل، فقال: « العِلمُ والعَقْل سَعَادَةٌ وَإِقْبَالٌ، وَإِنْ قَلَّ مَعَهُمَا المالُ، وَضَاقَتْ مَعَهُمَا الحَالُ. والجَهْلَ والحُمْقَ حِرْمَانٌ وَإِدْبَارٌ، وَإِنْ كَثُرَ مَعَهُمَا المالُ، واتَّسَعَتْ فِيهِمَا الحَالُ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ المالِ فَكَمْ مِنْ مُكْثِرٍ شَقِيٌّ وَمُقِلٍّ سَعِيدٌ. وَكَيْفَ يَكُونُ الجَاهِلُ الغَنِيُّ سَعِيدًا والجَهْلُ يَضَعُهُ. أَمْ كَيْفَ يَكُونُ العَالِمُ الفَقِيرُ شَقِيًّا والعِلْمُ يَرْفَعُهُ ؟ » (٢) .

ثم أفاض في ذكر فضل العلم ، وأكد أن أفضل العلوم وأَوْلاها علمُ الدين؛ وأنه إذا كان لا سبيل للإنسان إلى معرفة العلوم جميعها؛ فيجب أن يصرف « الِاهْتِمَام إلى مَعْرِفَةِ أَهَمِّهَا وَالْعِنَايَة بِأَوْلَاهَا، وَأَفْضَلِهَا. وَأَوْلَى الْعُلُومِ، وَأَفْضَلُهَا عِلْمُ الدِّينِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ بِمَعْرِفَتِهِ يَرْشُدُونَ، وَبِجَهْلِهِ يَضِلُّونَ» (٣).

٣. وحذر مما يصدّ عن العلم ويضاد العقل وهو سلطان الهوي، وذكر أن الحل يكمن

(١) المرجع نفسه ٧١ .

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٩٣ .

(٣) المرجع نفسه ٧٧ .

في الاستعانة «بِالعَقْلِ عَلَى النَّفْسِ النّفُورَةِ، فَيُشْعِرُهَا مَا فِي عَوَاقِبِ الهَوَى مِن شِدَّةِ الضَّرَرِ ، وَقُبْحِ الأَثَر، وَكَثْرَةِ الإِجْرَامِ، وَتَرَاكُمِ الآثَامِ .... فَإِذَا انْقَادَت النَّفْسُ لِلعَقْلِ بِمَا قَدْ أُشْعِرَتْ مِن عَوَاقِبِ الْهَوَى لَمْ يَلْبَثْ الهَوَى أَنْ يَصِيرَ بِالعَقْلِ مَدْحُورًا ، وَبِالنَّفْسِ مَقْهُورًا، ثُمَّ لَهُ الحَظُّ الأَوْفَى فِي ثَوَابِ الخَالِقِ وَثَنَاءِ المخْلُوقِينَ، قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١] »(١) .

٤. وعلل لأهمية العلم بالدين في حياة المجتمعات والأمم، وبين ضرورته في صلاحها ونمائها في كل زمان ومكان، فقال : « ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُمْ مَعَ مَا هَدَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَاسِبِهِمْ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ مَعَايِشِهِمْ، دِينًا يَكُونُ حُكْمًا وَشَرْعًا يَكُونُ قَيِّمًا؛ لِيَصِلُوا إلى مَوَادِّهِمْ بِتَقْدِيرِهِ، وَيَطْلُبُوا أَسْبَابَ مَكَاسِبِهِمْ بِتَدْبِيرِهِ، حَتَّى لَا يَنْفَرِدُوا بِإِرَادَتِهِمْ فَيَتَغَالَبُوا، وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ فَيَتَقَاطَعُوا. قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[المؤمنون: ٧١] قال المفَسِّرُونَ: الحَقُّ فِي هَذَا الموْضِعِ هُوَ اللَّهُ ﷻ ؛ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَجْعَل الْمَوَادَّ مَطْلُوبَةً بالإِلْهَامِ حَتَّى جَعَلَ العَقْلَ هَادِيًا إِلَيْهَا، وَالدِّينَ قَاضِيًا عَلَيْهَا؛ لِتَتِمَّ السَّعَادَةُ وَتَعُمَّ الْمَصْلَحَةُ » (٢) .

(١) المرجع نفسه ٦٢ ، وينظر: النكت والعيون، للماوردي ٦/ ٢٠٠ .

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٣٣٢ ، وينظر: النكت والعيون، للماوردي ٤/ ٦٢.

المطلب الثالث: آداب المربين

يعتبر المربي – سواء كان عالماً أو والداً أو غيرهما – العنصر الأساس في عملية التربية، وبقدر علمه وجهده وصبره على أداء رسالته يكون أثره التربوي على من يربيهم، ولم يغفل ذلك علماء التربية من سلفنا الصالح، فقد أنزلوا المربي منزلة عظيمة؛ لما للمربي من أثر بالغ على طلابه، فهو قدوتهم يتأثرون به وبشخصيته، ودوره أساسي في أداء العملية التعليمية وتحقيق أهدافها في نهضة المجتمع والأمة، ولكي يؤدي المربون هذه المهمة فلابد لهم أن يتخلقوا بـ « الْأَخْلَاقِ الَّتِي بِهِمْ أَلْيَقُ ، وَلَهُمْ أَلْزَمُ » [(١)] ، وقد ذكرها الماوردي مستشهداً عليها بالقرآن الكريم، أورد أهمها فيما يلي:

١. « **أَنْ يَقْصِدُوا وَجْهَ اللَّهِ بِتَعْلِيمِ مَنْ عَلَّمُوا،** وَيَطْلُبُوا ثَوَابَهُ بِإِرْشَادِ مَنْ أَرْشَدُوا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَاضُوا عَلَيْهِ عِوَضًا، وَلَا يَلْتَمِسُوا عَلَيْهِ رِزْقًا، قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ [البقرة: ٤١]»[(٢)].

٢. « **وليَكُنْ مِنْ شِيمَتِهِ الْعَمَلُ بِعِلْمِهِ،** وَحَثُّ النَّفْسِ عَلَى أَنْ تَأْتَمِرَ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَلَا يَكُنْ مِمَّنْ قال اللَّهُ تَعَالَى فِيهِم: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا** ﴾[الجمعة: ٥]، فَقَدْ قال قَتَادَةُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ**﴾ [يوسف: ٦٨]: يَعْنِي أَنَّهُ عَامِلٌ بِمَا عَلِمَ»[(٣)].

٣. « **أَنْ لَا يَبْخَلُوا بِتَعْلِيمِ مَا يُحْسِنُونَ،** وَلَا يَمْتَنِعُوا مِنْ إفَادَةِ مَا يَعْلَمُون؛ فَإِنَّ البُخْلَ بِهِ لَوْمٌ وَظُلْمٌ، والمَنْعُ مِنْهُ حَسَدٌ وَإِثْمٌ، وَكَيْفَ يَسُوغُ لَهُمْ البُخْلُ بِمَا مُنِحُوهُ جُودًا

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٣٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٥٨، وينظر : النكت والعيون، للماوردي ٢/ ٤٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٤٥ ، وينظر : النكت والعيون، للماوردي ٣/ ٦٠.

مِنْ غَيْرِ بُخْلٍ، وَأُوتُوهُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ بَذْلٍ ؟ أَمْ كَيْفَ يَجُوزُ لَهُمْ الشُّحُّ بِمَا إنْ بَذَلُوهُ زَادَ وَنَمَا، وَإِنْ كَتَمُوهُ تَنَاقَصَ وَوَهي؟ وَلَوْ اسْتَنَّ بِذَلِكَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ لَمَا وَصَلَ العِلْمُ إلَيْهِمْ، وَلَانْقَرَضَ عَنْهُمْ بِانْقِرَاضِهِم، وَلَصَارُوا عَلَى مُرُورِ الأَيَّامِ جُهَّالًا، وَبِتَقَلُّبِ الأَحْوَالِ وَتَنَاقُصِهَا أَرْذَالًا، وَقَدْ قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَرُوِيَ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: (لَا تَمْنَعُوا العِلْمَ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادَ دِينِكُمْ وَالْتِبَاسَ بَصَائِرِكُمْ)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] (١) »(٢).

٤. « التَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ العُجْبِ؛ لِأَنَّ التَّوَاضُعَ عَطُوفٌ والعُجْبَ مُنَفِّرٌ، وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالعُلَمَاءِ أَقْبَحُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ، وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمْ الإِعْجَابُ لِتَوَحُّدِهِمْ بِفَضِيلَةِ العِلْمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ، وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ العِلْمِ، لَكَانَ التَّوَاضُعُ بِهِمْ أَوْلَى، وَمُجَانَبَةُ العُجْبِ بِهِمْ أَحْرَى؛ لِأَنَّ العُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي الْفَضْلَ ... وَعِلَّةُ إعْجَابِهِمْ انْصِرَافُ نَظَرِهِمْ إلى كَثْرَةِ مَنْ دُونَهُمْ مِن الجُهَّالِ، وَانْصِرَافُ نَظَرِهِمْ عَمَّن فَوْقَهُمْ مِن العُلَمَاءِ ،فَإِنَّهُ لَيْسَ مُتَنَاهٍ فِي العِلْمِ إلَّا وَسَيَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛ إذ العِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ بَشَرٌ، قال اللَّهُ تَعَالَى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]. يَعنِي فِي العِلْمِ:﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦] قال أَهْلُ التَّأْوِيلِ:فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ مَن هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى »(٣).

---

(١) هذا الحديث لم أجده في كتب السنن وكتب التخريج.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٤٩ ، وينظر : النكت والعيون ، للماوردي ١/ ٤٤٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٣٨ .

المطلب الرابع : أهداف التربية(١)

تهدف التربية الإسلامية إلى رعاية مصالح الإنسان – منذ نشأته وفي مراحل حياته المختلفة – في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله(٢)، وتنمية كل ما يتعلق بتلك المصالح في الدنيا، وبما يؤدي إلى صلاح أمره في الآخرة، وهذه هي مقاصد الشريعة ودين الله، فهي تهدف إلى جلب مصالح الإنسان ودفع المفاسد عنه، وحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان(٣)، وتتضمن عبادته وحده لا شريك له(٤)، وهي الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبادة تشمل كل عمل يحبه الله ويرضاه، في جوانب الحياة المختلفة، وبما يؤدي إلى عمارة الأرض، كما أراد الله في قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١] أي:

---

(١) الأهداف التربوية: هي تلك التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الفرد، وفي ممارسات المجتمع واتجاهاته. أهداف التربية الإسلامية، د ماجد الكيلاني ١٣.

(٢) وجعلت الشريعة رعاية هذه المصالح بأمرين :

أحدهما : المحافظة عليها من جانب الوجود : وذلك بحفظ ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها.

والثاني : المحافظة عليها من جانب العدم: وذلك بحفظها بما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها.

وفي ذلك إشارة إلى الوسائل الإنشائية أو التنموية " ما يقيم الأركان ويثبت القواعد" ، والوسائل العلاجية " درء الاختلال الواقع" ، والوسائل الوقائية "درء الاختلال المتوقع".

ينظر: الموافقات، للشاطبي ٨/٢، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية د . عفاف بنت إبراهيم الدباغ ٢٥١ .

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور ١٨٨.

(٤) ينظر: التربية الإسلامية أسسها وتطورها في البلاد العربية، لمحمد منير مرسي ٥٥ .

جعلكم تَعْمُرونها، أو طلب منكم عمارتها[1]، وبهذه العبادة تتحقق للإنسان سعادة الدارين، فالتربية الإسلامية تمثل المنهج الذي يحقق التطبيق الفعلي للشريعة؛ لأنها ليست جانباً علمياً معرفياً فقط، ولكنها أيضاً تطبيق عملي لذلك العلم يشمل مجالات الحياة المختلفة[2].

وقد أشار الماوردي إلى هذه الأهداف مستشهداً بالقرآن الكريم، وذلك في المواضع التالية:

١. بعد أن بين الماوردي أن تكاليف الشريعة وتوجيهاتها نعمة من الله ينبغي للمسلم أن يشكره عليها، وذكر الحِكم والمقاصد الخاصة ببعض العبادات، مما يتعلق بتربية الإنسان على الأخلاق الحسنة كالسماحة والرحمة والمواساة وتمرين النفس على نبذ الشح وتحمل المشاق، خاطبه قائلاً: تذكر «إنْعَامَهُ عَلَيْك فِيمَا كَلَّفَك ، وَإِحْسَانَهُ إلَيْك فِيمَا تَعَبَّدَك» [3] ، ثم ذكر أحاديث وآثاراً تؤيد قوله، وقال: « فَإِنْ نَحْنُ أَدَّيْنَا حَقَّ النِّعْمَةِ فِي التَّكْلِيفِ تَفَضَّلَ بِإِسْدَاءِ النِّعْمَةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ التَّكْلِيفِ، فَلَزِمَتْ النِّعْمَتَانِ، وَمَنْ لَزِمَتْهُ النِّعْمَتَانِ فَقَدْ أُوتِيَ حَظَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ السَّعِيدُ بِالإِطْلَاقِ.وَإِنْ قَصَّرْنَا فِي أَدَاءِ مَا كُلِّفْنَا مِنْ شُكْرِهِ قَصَرَ عَنَّا مَا لَا تَكْلِيفَ فِيهِ مِنْ نِعَمِهِ، فَنَفَرَتْ النِّعْمَتَانِ وَمَنْ نَفَرَتْ عَنْهُ النِّعْمَتَانِ فَقَدْ سُلِبَ حَظَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الحَيَاةِ حَظٌّ وَلَا فِي الموْتِ رَاحَةٌ ، وَهَذَا هُوَ الشَّقِيُّ بِالِاسْتِحْقَاقِ. وَلَيْسَ يَخْتَارُ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٥٦/٩ ، التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١٢٣/١٢.

(٢) ينظر : التربية الإسلامية، د. الحازمي ٥.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٦٨ .

الشِّقْوَةَ عَلَى السَّعَادَةِ ذُو لُبٍّ صَحِيحٍ وَلَا عَقْلٍ سَلِيمٍ، وَقَدْ قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣]... وَاخْتَلَفَ المفَسِّرُونَ فِي تَأْوِيلِ قَوْله تَعَالَى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١]. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَحَدُ العَذَابَيْنِ الفَضِيحَةُ فِي الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي عَذَابُ الْقَبْرِ . وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ : أَحَدُ العَذَابَيْنِ مَصَائِبُهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَالثَّانِي عَذَابُ الآخِرَةِ فِي النَّارِ. وَلَيْسَ وَإِنْ نَالَ أَهْلُ الْمَعَاصِي لَذَّةً مِنْ عَيْشٍ أَوْ أَدْرَكُوا أُمْنِيَةً مِنْ دُنْيَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً ، بَلْ قَدْ يَكُونُ ذلك اسْتِدْرَاجًا وَنِقْمَةً . وَرَوَى ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : (إذَا رَأَيْت اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي العِبَادَ مَا يشاؤون عَلَى مَعَاصِيهِمْ إيَّاهُ، فَإِنَّمَا ذلك اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَهُمْ، ثُمَّ تَلَا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] (١) »(٢).

٢. وأشـــار الماوردي إلى أن النبي ﷺ حث أمته على كل خير ونهاهم عن كل شـــر؛ ليتحقق فيهم قوله تعالى : «﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] فلزموا أوامره، واتقوا زواجره، فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم، حتى عزَّ بهم الإسلام بعد ضعفه،

(١) أورده الطبري في تفسيره جامع البيان ٩/ ٢٤٩، ولم أعثر عليه في كتب السنن والتخريج بحسب اطلاعي.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ١٧٠ .

وذل بهم الشرك بعد عزه، فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخيارا»[١].

٣. وبعد أن بين آداب الدين، واستطرد في ذكر الآيات الدالة على تلك الآداب، ختم ببيان أهميته، وضرورة التمسك به، فقال: « فثَبَتَ أَنَّ الدِّينَ مِن أَقْوَى القَوَاعِدِ فِي صَلَاحِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الفَرْدُ الْأَوْحَدُ فِي صَلَاحِ الآخِرَة، وَمَا كَانَ بِهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ فَحَقِيقٌ بالعَقْلِ أَنْ يَكُونَ بِهِ مُتَمَسِّكًا وَعَلَيْهِ مُحَافِظًا»[٢].

٤. ويؤكد هذا المعنى في تفسير قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]حيث ذكر في تفسيره قولين، ثم قال: « ويحتمل ثالثاً : أنه الدين المتبوع في مصالح الدنيا وثواب الآخرة »[٣] ، فقد جعل في اتباع الدين والاستجابة لتوجيهاته صلاحَ الدنيا والآخرة.

٥. ذلك أن المشرّع سبحانه أعلم بما يصلح عباده، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] « فاحتمل وجهين من التأويل: أحدهما: لطيف بعباده في الإنعام عليهم، خبير بمصالحهم ... »[٤].

---

(١) أعلام النبوة، للماوردي ٢٢٤.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي ٢٢٦ .

(٣) النكت والعيون، للماوردي ٥/٤٨٦.

(٤) المرجع نفسه ٢/ ١٥٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن للعلماء المسلمين جهوداً تربوية عظيمة، استنبطوها من توجيهات القرآن الكريم، ومن السنة النبوية التي بيّنت ما أجمله القرآن، ووضحت معناه، أو من خلال تجاربهم وملاحظاتهم، ومن أبرز هؤلاء العلماء: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي [٤٥٠ هـ] ، فهو الإمام الفقيه الشافعي، والفقه الإسلامي يتضمن العديد من المبادئ والتوجيهات التي ترسخ التربية إسلامية السوية، وتمزج بين مصالح الدين والدنيا، وتحقق السعادة فيهما. بدت جهود هذا الإمام من خلال المناصب التي تقلدها، وأبرزها: تدريسه ببغداد والبصرة مدة طويلة، وتسنمه منصب القضاء في بلدان كثيرة، ثم رئيس القضاة. ومن خلال كتبه التي ألفها في فنون مختلفة، أودع فيها كثيراً من التوجيهات التربوية، قاصداً الجمع – في التربية – بين الكلمة المكتوبة في التأليف، والكلمة المسموعة في التدريس والقضاء، إيمانا منه بقوة تأثيرها عبر العصور، وأهم كتبه: كتاب " ادب الدنيا والدين " الذي أودع فيه نظرياته التربوية والتعليمية، وكتاب "تفسير النكت والعيون" وكتاب "الأحكام السلطانية" وكتاب "الحاوي" .

وقد أورد في هذه الكتب مصطلح "التربية" في مواضع، كما وردت فيها مصطلحات ذات صلة بمصطلح التربية، وهي " التعليم" و "التأديب" و "التهذيب".

وصرح بمصادر التربية، وهي: القرآن الكريم أصل الشريعة، وينبوع التربية، والسنة النبوية المشتملة على بيان مجمله وتفسير ما يشكل علينا منه، مستفيداً من آراء السلف وخبراتهم.

وقرر العلاقة الوثيقة بين شريعة الله ودينه وبين التربية، حيث إن توجيهاته تمثل أهدافاً تربوية ووسائل وأساليب تساعد على تحقيق تلك الأهداف.

وأيضاً، فإن الهدف الرئيس من التربية رعايةُ مصالح الإنسان — منذ نشأته وفي مراحل حياته المختلفة – في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، وتنمية كل ما يتعلق بتلك المصالح في الدنيا، وبما يؤدي إلى صلاح أمره في الآخرة، وهذه هي مقاصد الشريعة، فهي تهدف إلى جلب مصالح الإنسان ودفع المفاسد عنه، بما يحقق سعادة المسلم في الدنيا والآخرة.

ولضمان تحقيق ذلك الهدف أكد الماوردي على ضرورة أن يتحلى المربي بآداب كريمة — ويربي عليها طلابه – منها: أن يقصد وجه الله تعالى، وأن يعمل بعلمه، وأن لا يبخل بتعليم طلابه ومن يتربى على يديه، وأن يتواضع لهم، ويَحْذر من العُجْب.

أهم التوصيات :

١. الاهتمام بإبراز العلاقة بين الشريعة وعلومها وبين التربية وأهدافها ووسائلها.

٢. دراسة التراث الفقهي، وتراجم الفقهاء؛ للتعرف على أساليبهم التربوية، والمسائل التي لها علاقة بعلم التربية.

٣. عقد دورات وورش عمل تهدف إلى ترسيخ المعاني التي سيتم التوصل إليها في الفقرتين السابقتين.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، نشر: مكتبة دار ابن قتيبة بالكويت، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، تحقيق: د. محمد ياسر محمد الحسين، طبع: دار النفائس ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

٣. أدب القاضي، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، تحقيق: محيي هلال السرحان، نشر: رئاسة ديوان الأوقاف بالعراق، طبع: مطبعة العاني ببغداد، عام ١٣٩٢م .

٤. أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعي علي، طبع : دار السلام، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، نشر: دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون، عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

٦. أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، نشر: دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأول، عام ١٤٠٩ هـ.

٧. الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م

٨. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر : مؤسسة التاريخ العربي ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

١٠. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، د. محمد منير مرسي، نشر: عالم الكتب، عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
١١. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، لمحمد منير مرسي، نشر: عالم الكتب، طبع عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
١٢. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد. منشورة ضمن مكتبة الشاملة الحاسوبية.
١٣. التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، طبع: دار الكتب العربية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
١٤. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، نشر: دار النهضة العربية ببيروت.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله بن أحمد القرطبي، طبع: دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٦هـ.
١٦. الحاوي، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: د. محمود مطرجي ورفاقه، طبع: المكتبة التجارية لمصطفى الباز، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١٧. الحدود الأنيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، طبع: دار الفكر المعاصر ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١١ هـ.
١٨. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الثانية عشرة، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

١٩. دلالات الألفاظ، والاجتهاد والتقليد، والتعارض والترجيح – جمعاً وتوثيقاً ودراسة، وهي أطروحة ماجستير تقدم بها عبدالقادر بن ياسين الخطيب لقسم أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

٢٠. زاد المعاد، لمحمد بن أبي بكر، المشهور بابن قيم الجوزية، نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة السابعة والعشرون عام ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٢١. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، نشر: دار الحديث بالقاهرة، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

٢٢. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر، الطبعة الثانية، عام ١٤١٣هـ

٢٣. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، نشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ

٢٤. طبقات الشافعيين، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، و د. محمد زينهم محمد عزب، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام ١٤١٣ هـ /١٩٩٣ م

٢٥. طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن، تحقيق: محي الدين علي نجيب، طبع: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٢٦. الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، سالك أحمد معلوم، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٢٧. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لعز الدين ابن عبدالسلام، طبع: دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٨. الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ورفيقه، طبع: مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٩. لسان العرب، لابن منظور، لمحمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق : يوسف خياط، طبع : دار لسان العرب ببيروت .

٣٠. الماوردي رائد الفكر السياسي، د. أحمد وهبان، نشر: دار الجامعة الجديدة بالإسكندرية، عام ٢٠٠١م.

٣١. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، نشر:دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، عام ٢٠٠٠.

٣٢. معجم الأدباء، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، عام ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م.

٣٣. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، نشر: دار صادر ببيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٩٥ م.

٣٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢ هـ

٣٥. مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق : محمد الطيار الميساوي، طبع: دار النفائس بعمان، الطبعة الثانية سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٣٦. المقاييس في اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبع: دار الجيل ببيروت.
٣٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
٣٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
٣٩. المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، د . عفاف بنت إبراهيم الدباغ، طبع: مكتبة المؤيد بالرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٤٠. الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق إبراهيم للشاطبي، تعليق: عبدالله دراز، طبع: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٤١. موقع " أدب" على شبكة المعلومات.
٤٢. نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد، نشر: دار السلام بالقاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
٤٣. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب العلمية، ببيروت.

السؤال والجواب التفسيري عند السلف
وأثره في التربية

أعده

محمد بن زايد بن طلق المطيري

ملخص البحث

تنوعت أساليب المفسرين من سلف هذه الأمة في تعليم النَّاس معاني كتاب الله جل ثناؤه وتربيتهم على آدابه وأحكامه؛ ومنها أسلوب السؤال والجواب التفسيري. وهذا البحث يهدِف إلى التعريف بالأثر التربوي لهذا الأسلوب التفسيري عند السلف، من خلال محاولة استنباط ورصد طرائق السلف في التربية أثناء طرح السؤال التفسيري، أو طرائق السلف في تربية السائلين من خلال أجوبتهم التفسيرية.

ومن أهم **نتائج البحث**: ظهور الدور التربوي للمفسِّر. وأنَّ أسئلة السَّلف وأجوبتهم في التفسير عالجت جوانب التربية المتنوعة؛ فقد عالجت الجوانب الإيمانية، والعِلمية، والعَمَليّة، والعقلية. ومنها رصد بعض الآثار التربوية لأسئلة السلف وأجوبتهم في التفسير: كالوعظ في التفسير، والتأكيد على عمومية الخطاب القرآني، والترغيب في تعلم معاني الكتاب العزيز وأحكامه، وتصحيح المفاهيم، وتعظيم شأن تفسير كلام الله في النفوس، وتقوية جانب الورع فيه، والتأكيد على ما تضمنته الآيات من المعاني العظيمة المخوفة للقلوب، وتواضع العالم بالتفسير. والتفسير بالمشاهد المحسوس لا بالقول المجرد، واستثارة عقل وفِكْر المتعلم للتفسير: بدلالته على موضعٍ مستنبط من القرآن الكريم، أو على التسليم والانقياد لمعاني القرآن الكريم، أو بالتشجيع على الاستنباط والاجتهاد لمن ملك أدواته في الربط بين نصوص الكتاب والسنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد، فلما كان النَّاس متفاوتون في العلم؛ أثنى الله جل ثناؤه على أهل العلم، إذ أمر النَّاس بالرجوع إليهم بالسؤال في عموم قوله سبحانه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وهذه الأسئلة من وسائل تحصيل العِلم والترقي فيه، فقد قيل العلوم خزائن وأقفال والسؤالات مفاتيحها[١].

وقد سلك النبي ﷺ وصحابته والتابعون من بعدهم أسلوب السؤال والجواب في تفسير كلام الله تعالى، وتعليم النَّاس معانيه، وتربيتهم على آدابه وأحكامه.

واشتملت آثارهم تلك على لفتات بديعة في جوانب التربية المتنوعة، كان العالِم فيها طبيبًا للنفوس، يسمو بها ويستصلحها. وهذا البحث يأتي ليلقي الضوء على بعض تلك الجوانب التربوية التي يمكن استنباطها من أسئلة السّلف التفسيرية التي باشروا بها من دونهم، أو أجوبتهم هم على الأسئلة التي وجهت إليهم. فكان هذا البحث بعنوان:

(السؤال والجواب التفسيري عند السَّلف وأثره في التربية).

أهداف البحث:

١ . بيان طرائق السلف في التربية من خلال طرح السؤال التفسيري.

٢ . بيان طرائق السلف في تربية السائلين من خلال أجوبتهم التفسيرية.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤٢٧/١).

أهمية البحث :

١ . حاجة المسلمين إلى ربط العلم بجوانب التربية المتنوعة.

٢ . يلقي البحث الضوء على أعظم تربية بالقرآن الكريم؛ وهي تربية النبي ﷺ لصحابته.

٣ . التعريف بجهود مفسِّري السَّلف في تربية النَّاس من خلال (السؤال والجواب) كأسلوب تربوي.

٤ . يحاول البحث إبراز الدور التربوي للمفسِّر.

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين:

التمهيد وفيه التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: السؤال التفسيري عند السَّلف وأثره في التربية.

المبحث الثاني: الجواب التفسيري عند السَّلف وأثره في التربية.

ثم خاتمة فيها أهم النتائج.

وأسأل الله أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أزواجه وذريته.

التمهيد

(وفيه التعريف بمصطلحات البحث)

١ . السؤال.

السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال: سَأَلَ يَسْأَلُ . وقد يخفف . فيقال: سال يَسَال بغير همز، كخافَ يَخافُ، سُؤالا، ومَسأَلَةً. وسَأَلْته الشيءَ بِمَعْنَى اسْتَعْطَيته إياه، وسَأَلْته عَنِ الشَّيْءِ: اسْتَخْبَرْتُهُ. والسُؤْلُ: ما يسأله الإنسان، ورجل سُؤَلة بِوَزْنِ هُمَزَةٍ: كثير السؤال، وتساءل القوم سأل بعضهم بعضًا(١).

فمادة (سأل) تدور حول معنى الطلب، ويطلق ذلك على ضربين: طلب خبر ومقال، وطلب مال ونوال(٢). والمقصود به هنا الأول وهو استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة(٣).

والأصلُ فيه أن يكون إطلاقه من الْأَدْنَىَ فِي الرُّتْبَة إلى الأعلى، على جهة الطلب لما يجهل، وقد يأتي بخلاف ذلك فيكون مثلًا على سبيل التبكيت والزجر للمسئول، أو من باب التعليم والتنبيه(٤).

٢ . الجواب.

الجوب: قطع الجَوْبَة، وهي كالغائط من الأرض، ثم يستعمل في قطع كل أرض، قال تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]. وجواب الكلام، من

---

(١) العين (٧/ ٣٠١)، مقاييس اللغة (٣/ ١٢٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٧٢٣/٥)، لسان العرب (٣١٩/١١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص٢١٠).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٣٧).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (ص٣٧)، مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٣٧).

هذه المادة؛ لأنَّه يقطع الجَوبَ فيصل من فِيِّ المتكلم إلى أُذن المستمع، لكن خص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب[1]، والجواب يطلق في مقابلة السؤال، فيقال: أجابه عن سؤاله إِجَابَة، وجاوبه مجاوبةً وجواباً، إذا ردّ عليه وأفاده عمّا سأل[2].

٣ . التفسير.

هو تفعيل من الفَسْر، قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه"[3]. وعُرِّف التفسير في الاصطلاح بتعريفات متنوعة راجعة إلى هذا المعنى اللغوي، ومنها أنَّ المراد به "بيان معاني القرآن الكريم"[4].

٤ . السؤال التفسيري.

والمقصود به هنا السؤال من الأعلى رتبة إلى الأدنى، كسؤال العالِم والمتصدر للتعليم والإفادة، ويريد به تنبيه المسئول وتعليمه، أو زجره وتبكيته.

٥ . الجواب التفسيري.

ويقصد به ردّ العالِم والمتصدر للتعليم والإفادة على السائل بإفادته وإفهامه ما سأل عنه.

٦ . السّلف.

مادة سَلَفَ في اللغة تدور حول معنى التقدم والسَّبق، ومنه أطلق السَّلف على الذين مضوا[5]. والمقصود بهم النبي ﷺ وصحابته ومن اقتفى أثرهم من التابعين وتابع التابعين، أهل القرون الثلاثة المفضلة.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص٢١٠)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤١٠/١).

(٢) جمهرة اللغة (١٠١٧/٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٠٤/١)، المعجم الوسيط (١٤٤/١).

(٣) مقاييس اللغة (٤٠٢/٤).

(٤) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص٢٨)، وانظر التفسير اللغوي د.مساعد الطيار (ص٢١).

(٥) مقاييس اللغة (٧٢/٣).

٧ . الأثر.

قال ابن فارس: "الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي"[١]. والمراد به في هذا المبحث هذا المعنى الثالث وهو ما يرجى بقاءه وتحققه.

٨ . التربية.

وهذه اللفظة تدور في اللغة حول معنى لزوم الشيء والقيام عليه بالإصلاح وتعاهد ذلك[٢].

٩ . والمقصود من (آثار السؤال والجواب في التربية).

أي المفاهيم والسلوكيات التربوية التي يرجى تحققها للمتعلم باتباع أسلوب السؤال والجواب.

---

(١) مقاييس اللغة (٧٥/١).

(٢) مقاييس اللغة (٣١٣/٢)

المبحث الأول: السؤال التفسيري عند السَّلف ودوره في التربية

المتأمّل في أسئلة السَّلف التفسيرية التي باشروا بها من هم دونهم في العِلم يمكنه ملاحظة أنَّ علماء السَّلف كانوا يجمعون في أسئلتهم هذه بين جانبي العلم والتربية، فهم يسعون في استصلاح النَّاس وهدايتهم. وقد حاولت استنباط بعض هذه المسالك التربوية ثم تصنيفها على النحو التالي:

أولًا: التربية الإيمانية :

وهي التي تهدف إلى هداية النَّاس وربطهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد طرق مفسري السَّلف هذا الجانب التربوي عن طريق أسئلتهم التفسيرية، ومن صور ذلك.

(أ) . الوعظ بالسؤال التفسيري. وهو أن يخرج المفسِّر تفسيره بأسلوب السؤال الوعظي لا ينتظر صاحبه من المستمع جوابًا، وهدفه فيه الوعظ والتذكير بما تضمنته الآية من المعاني. ومن أمثلته:

١ . أنَّ الحسن البصري رحمه الله قرأ آيات من البقرة، فأتى على هذه الآية: ﴿**وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا**﴾ [البقرة: ٢٥] قال: ألم تَرَوْا إلى ثمار الدنيا كيف تُرْذِلُون[١]بعضه؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْل"[٢].

٢ . روي عن قتادة رحمه الله، في قوله:﴿ **لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ** ﴾[الحشر: ٢١]، يعذر الله الجبل الأصم، ولم يعذر شقي ابن آدم، هل رأيتم أحدا قط تصدعت جوانحه من خشية الله؟[٣].

---

(١) أي تتركون الرَّذْل، وهو الرَّدِيءُ من كل شيءٍ. لسان العرب (٢٨٠/١١) (رذل).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤١٣/١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، عَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٥٤٩/٢٢).

(**ب**) ـ حمل ألفاظ الكتاب العزيز على العموم، لغرض التعليم والدعوة والوعظ والتذكير.

عن عبيد بن عمير قال: قال عمر ﷺ يوما لأصحاب النبي ﷺ: فِيْم ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ البقرة: ٢٦٦؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين! قال عمر: يا ابن أخي! قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله(١).

سياق هذا المثل القرآني السابق يحتمل أنَّه قُصِد به المرائي في النفقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه(٢). ويحتمل أنَّه ضُرِب مثلاً لإبطال أجر النفقة والصدقة بالمنِّ والأذى(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾، (١٦٥٠/٤)،ح(٤٢٦٤).و"(أغرق أعماله) الصالحة: أضاعها بما ارتكب من المعاصي" انظر جامع الأصول (٥٦/٢)

(٢) روي هذا المعنى عن السُّدِّيّ، وجعل هذا المثل نظير قوله سبحانه قبل ذلك: ﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾[البقرة: ٢٦٤]. تفسير الطبري (٦٨١/٤).

(٣) روي ذلك عن ابن زيدٍ. وقد أعاد هذا المثل على أول الآيات المتصلة في هذا السياق، وذلك في قوله جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٤]. تفسير الطبري (٦٨٨/٤).

وهذه المعاني القريبة المأخذ لم تكن لتخفى على جمعٍ من الصحابة، بل أيقنوا أيضًا أنَّ هذه المعاني لم تكن لتغيب عن عمر ﷺ. فهم فهموا عنه سؤاله، وعلِموا أنَّه ﷺ يبحث عن معنى باطِن خفِي مستنبط تحتمِله ألفاظ المثل القرآني.

وفي مقابل ذلك لم يكن نظر ابن عبَّاس وعمر قاصِرًا على سياق المثل القرآني عند توجيهه، وإنما أعطيا السياق حقه من النظر، واللفظ حقه من العموم، فحملا المثل القرآني على أعَمِّ معانيه، وأظهرها في البيان، إذ فيه تتحقق أبشع صور فساد العمل، وذهاب الثواب، وأَشَدّ صور النَّدم والتَّحسّر، وأدعى للنفور والاجتهاد في التوقي من هذا الوصف.

ثانيًا: التربية العلميّة :

وهي التربية التي تهدف إلى ترغيب النَّاس في العلم، والترقي في تحصيله، والقيام عليهم بالنصح والتقويم. وقد طرق مفسري السَّلف هذا الجانب التربوي من خلال أسئلتهم التفسيرية، ومن صور ذلك:

(أ) ترغيب النَّاس في تعلم معاني الكتاب العزيز وأحكامه.

ومثاله: ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾"، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر"؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة" الحديث[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، (١/٣٠٠)، ح(٤٠٠).

فابتَدَاءَ النبي ﷺ صحابته بالسؤال عن معنى الكوثر، بقوله: (أتدرون؟)، وهذه الصيغة تحمل في طياتها معاني التشويق والترغيب لمعرفة هذا المعنى المسئول عنه، وفيها أيضًا التنبيه على فخامته، وأن مثله مما يتعين معرفته ويقبح الجهل به(١).

(ب) ـ التربية على مدارسة القرآن الكريم تعلماً وتعليماً، ومن صور ذلك:

١ ـ حَثُّ العالِمِ بالتفسير على أن يُسأل عن القرآن الكريم.

ومن أمثلته، ما رواه البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني، قلت: أَيْ أبا عباس، جَعَلَنِي الله فداءك، بالكوفة رجلٌ قاصٌّ يُقال له: نوف [البِكَاليّ]، يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل. (وفي رواية: أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر) (٢). فقال: قد كذب عدو الله..." الحديث بطوله(٣).

ومنه أيضًا ما روي أن علي بن أبي طالب ﷺ قام على المنبر، وقال: ألا أحد يسألني عن القرآن؟ فو الله لو أعلم اليوم أحدا أعلم به مني، وإن كان من وراء البحور لأتيته. فقام عبد الله بن الكواء(٤)فقال: مَن ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: هم مشركو قريش، أتتهم نعمة الله: الإيمان، فبدلوا نعمة الله كفرا، وأحلوا قومهم دار البوار(٥).

---

(١) فيض القدير (١/١٤٨)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/٥٨٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، (٣/١٢٤٦)، ح(٣٢٢٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴾، (٤/١٧٥٤)، ح(٤٤٤٩)واللفظ له،صحيح مسلم،كتاب الفضائل،باب من فضائل الخضر،(٤/ ١٨٤٧)، ح(٢٣٨٠).

(٤) عبد الله بن الكواء، من رؤوس الخوارج، لزم عليًا ﷺ، وكان يسأله تعنتًا، ثم رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. انظر لسان الميزان لابن حجر (٣/٣٢٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٤٧).

وهذان الأثران المرويَّان عن عليٍّ وابن عباس ﷺ فيهما الحث على مدارسة القرآن، وطلب السؤال عنه كُلّه .

وقد رُوي الحث على السؤال عن سُور محددة بعينها، فروى الحاكم في المستدرك عن ابن أبي مُلَيْكة[1]، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: "سلوني عن سورة النساء، فإني قرأت القرآن وأنا صغير"[2]. وفيه التأصيل لاهتمام المفسِّر ببعض سور القرآن تعليمًا وتأليفًا.

وممّا له تعلق بهذا الجانب من جوانب التربية: أنَّ السَّلف لما تربوا على مدارسة القرآن وتعلمه، والسؤال عمَّا أشكل عليهم، رُوي عنهم التفنن في هذه المدارسة، ومن صور ذلك:

مدارسة موضوعات القرآن والسؤال عنها، فعن أبي الهدّاج التُّجِيْبي[3]قال: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله في القرآن من بر الوالدين فقد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفَظّ[4]. وفي هذا الأثر تأصيل لدراسة التفسير الموضوعي لموضوعات القرآن.

(ج) - عرض التفسير على الغير طلبًا للتصحيح والتقويم.

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي، أدرك ثلاثين من الصحابة. انظر تقريب التهذيب (ص٣١٢)

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣٣٠/٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) سليمان بن الهداج، التُّجِيْبي، روى عن سعيد بن المسيب، روى عنه حرملة بن عمران. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٤٨/٤).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٥٩٤/١٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور(٢٩٠/٩) أيضًا لابن المنذر، وابن أبي حاتم. والرجل الفظ: هو الكريه الخُلُق، انظر مقاييس اللغة (٣٥١/٤).

عن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ اللَّه: ما الخَيطُ الأَبيَضُ، مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ أَهُمَا الخَيطَانِ؟ قَالَ: "إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إِن أَبصَرتَ الخَيطَينِ". ثُمَّ قَالَ: "لا، بَل هُوَ سَوَادُ اللَّيلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ"(١). فهذا عدي بن حاتم ﷺ يعرض على النبي ﷺ تفسيره للخيط الأبيض والخيط الأسود، بقوله (أَهُمَا الخَيطَانِ؟)، فيصحح له النبي هذا المعنى الذي فهمه.

(د) . تصحيح المفاهيم. ومن أمثلة ذلك:

١ . عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ**﴾ [فصلت: ٣٠] و ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: ٨٢] ؟ قالوا: لم يذنبوا. قال: لقد حملتموها على أمر شديد، ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ يقول: بشرك. و﴿**ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ**﴾ فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان(٢).

فصحّح أبو بكر ﷺ مفهوم الظلم والاستقامة في هاتين الآيتين، فحمل اللفظ فيهما على أشد شيءٍ وأعظمه، وهو الشرك، والاستقامة على التوحيد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله:﴿ **وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ** ﴾، ح(٤٢٤٠)، (١١٣/٤)، واللفظ له، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ح(١٠٩٠)، (٧٦٦/٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤٧٨/٢)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجوه. ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠٤/١٣) أيضًا لابن راهويه، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية.

٢ ـ عن قريش بن أنس[١]قال: سمعت عمرو بن عبيد[٢]يقول: يؤتى بي يوم القيامة، فأُقام بين يدي الله، فيقول لي: لم قلت إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣]. قلت له ـ (وما في البيت أصغر مني) ـ : أرأيت إن قال لك فإني قد قلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟ قال: فما استطاع أن يرد علي شيئا[٣].

وهذا فيه تصحيح مسلك أهل البدع في الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، وبناء الأحكام والأفهام على ذلك.

ثالثًا: التربية العقلية.

وهي التربية التي تهدف إلى الاهتمام بالقدرات العقلية للمتعلم وتعاهدها بالبناء والإصلاح، ومنها السّعى إلى تنمية ملكة الاستنباط والاجتهاد، وقد طرق مفسري السَّلف هذا الجانب التربوي من خلال أسئلتهم التفسيرية، ومن صور ذلك:

(أ) ـ الدلالة على موضع الاستنباط من القرآن الكريم. ومن أمثلته:

١ ـ عن عبدِ اللَّه بن مسعود ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذلك على المسلمين، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه،

---

(١) قريش بن أنس الأنصاري، ويقال الأموي، أبو أنس البصري. انظر تقريب التهذيب (صـ٤٥٥).

(٢) عمرو بن عبيد بن باب التميمي، مولاهم، أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته. تقريب التهذيب (صـ٤٢٤).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور(٤/٦٠٤) للقتبي، والبيهقي في "البعث".

أَيُّنا لا يظلِمُ نفسَه؟قال: "ليس ذلك إنما هو الشِّرك، أَلَم تَسمَعوا ما قال لُقمان لابنه وهو يَعِظُهُ ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان: ١٣] [١].

فالنبي ﷺ من رحمته في تعليم أصحابه أن سألهم بقوله: "أَلَم تَسمَعوا ما قال لُقمان لابنه" ليدلهم بذلك على الموضع الذي استنبط منه صِحة إطلاق وصف الظلم على الشِّرْكِ في كتاب الله جل ثناؤه؛ لكي يسلكوا مثل هذه الطريقة في التفسير، فينظروا في مكان ورود اللفظ في القرآن كله.

٢ . عن سفيان بن عيينة قال: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، وهو في كتاب الله. قالوا: أين هي؟ قال: أما سمعتم إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] ؟ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة؟ قال: كلا اقرأ، ما بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾، فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة[٢]. فسفيان بين عيينة رحمه الله دلّ أصحابه على موطن هذا الاستنباط من القرآن الكريم، فلما قيل هذه الآية في سياق أصحاب العجل من بني إسرائيل، أوقفهم على عموم خاتمة الآية، والتي سيقت على سبيل العظة والعبرة للمتدبرين لكلام الله جل وعز.

---

(١)صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾ ح(٣٤٢٨)، (١٦٣/٤)،صحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب صدق الإيمان وإخلاصه،ح(١٩٧)، (١١٤/١).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور(٥٩٦/٦) لأبي الشيخ.

(ب) . استثارة العقل والفِكْر للتسليم والانقياد لمعاني القرآن الكريم. ومن أمثلته :

١ . عن أبي هريرة ﷺ، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فأين النار؟ قال ﷺ: "أرأيت الليل ما لبس كل شيء، فأين النهار"؟ قال: حيث شاء الله. قال ﷺ: "فكذلك حيث شاء الله"(١).

حمل السائل لفظ العَرْض في الآية على الحقيقة، والذي هو خِلاف الطُّول. وخُص بالذكر تنبيها على اتساع طول الجَنَّة؛ فالعرض في العادة أدنى من الطول. والمعنى: وجنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع، إذا ضم بعضها إلى بعض(٢). فقال السائل متعجباً: إذا كانت الجنَّة بهذه السعة العظيمة، فأين يكون مكان النار حينئذ؟

فأقره النبي ﷺ على هذا الفهم، وبيَّن له أنَّ هذا من خبر الغيب الذي ينبغي فيه الإيمان والتصديق ، وضرب له ﷺ مثلاً يتبين به للسائل جواب سؤاله بنفسه، فقال ﷺ: "أرأيت الليل ما لبس كل شيء، فأين النهار"؟ فقال الرّجل: حيث شاء الله. وفيه إقراره بعظيم قدرةِ الله، وأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِن عَدَمِ مُشَاهَدَتِنَا النَّهار إِذَا جَاءَ الَّليل، أَلَّا

(١) رواه البزارُ في مسنده (٢٢٤/١٦) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٣٠٦/١)، والحاكم في المستدرك (٣٦/١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥١/٧): "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح". وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٢٦/٦).

(٢) روي ذلك عن ابن عبَّاس، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن سليمان، وبه قال الجمهور. وقِيْل: العَرْضُ في الآية: السَّعة، وهذا من التفسير باللازم. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٩١/١)، تفسير الطبري (٥٢/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٧٦/١)، وتفسير ابن عطية (٢٣٠/٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤١٢/٢).

يَكُونَ النهار فِي مَكَانٍ آخر، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُهُ[1]. فأقرهُ ﷺ على جوابه، وبيَّن له أنَّ هذا هو عين جواب سؤاله الأول.

٢ . وعَن قَتَادَةَ قال حَدَّثَنَا أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا [2] قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجهِهِ يَومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: "أَلَيسَ الَّذِي أَمشَاهُ عَلَى الرِّجلَينِ فِي الدُّنيَا قَادِرًا عَلَى أَن يُمشِيَهُ عَلَى وَجهِهِ يَومَ القِيَامَةِ". قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا [3].

فهم الصحابيُّ من قوله جل ثناؤه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، أن الكفار يساقون وهم يمشون على وجوههم يوم القيامة، فاستغرب كيفيته، فقال: كيف يمشي أولئك الكُفّارُ على وجوههم؟ فأجابه النبي فقال ﷺ: إن الذي أمشاهم على أرجلهم في الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة. فاستعمل ﷺ أسلوب السؤال التقريري، الظاهر في تقرير هذا المشي على حقيقته[4]. وتأمل تأثر قتادة رحمه الله بهذا السؤال، فكيف بالصحابي الذي رأى وسمع.

---

(١) تفسير ابن كثير (١١٨/٢).

(٢) قال ابن حجر رحمه الله: "لم أقف على اسم السائل". فتح الباري (٣٥٠/٨) و(٣٨٩/١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]، (١٧٨٤/٤)، ح (٤٤٨٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه، (٢١٦١/٤)، ح (٢٨٠٦).

(٤) فتح الباري (٣٩٠/١١).

المبحث الثاني: الجواب التفسيري عند السَّلف وأثره في التربية

المتأمّل في أجوبة السَّلف التفسيرية على أسئلة السائلين يمكنه ملاحظة الجانب التربوي في ثنايا تلك الأجوبة، فعلماء السَّلف جمعوا بين بذل العلم وتربية الناس بما فيه صلاحهم وهدايتهم. وقد حاولت استنباط بعض هذه المسالك التربوية، ثم تصنيفها على النحو التالي:

أولًا . التربية الإيمانية.

من صور التربية الإيمانية التي اهتم المفسرون بالتأكيد عليها في أجوبتهم على أسئلة التفسير التي وجهت إليهم.

(أ) . التربية على تعظيم شأن تفسير كلام الله في النفوس، وتقوية جانب الورع فيه.

وهذا هدي سلف هذه الأمة في التوقي من كل ما يخشى مضرته، روي عن الضّحاك بن مزاحم أنَّه قال: أدركنا أصحابنا، وما يتعلمون إلا الورع[١]. ويؤكد هذا المعنى في شأن التفسير ما روي عن الشعبي رحمه الله قال: "والله ما من آية إلا قد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله"[٢]. ولهذا المعنى صور ظهرت في أجوبة السَّلف التفسيرية، منها:

١ . السكوت والتوقف عن الجواب. ومنه ما روي عن ابن أبي مُلَيْكة، أن ابن عباس: سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها[٣]. ومثله ما روي عن سعيد بن المسيب: "أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: أنا لا أقول في القرآن شيئا"[٤].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/٤٢٥)

(٢) تفسير الطبري (١/٨١).

(٣) تفسير الطبري (١/٨٠)

(٤)تفسير الطبري (١/٧٩).

٢ ـ التصريح بقول: (لا أدري)، وتربية السائل على سماعها. ومنه ما روي عن أبي السوداء[١]أنّه قال: سالت عكرمة عن هذه الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٢٤] فقال : لا أدري[٢]. وعن ابن جريج، قال: قلت لعطاء قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[البقرة: ٢١٧]فيمن نزلت؟ قال: لا أدري[٣].

٣ ـ التحذير من القول في التفسير بالرأي المجرد، وأنّه سبب في توهم الاختلاف بين آيات الكتاب العزيز. روي عن ابن عباس، أن رجلا قال له: آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى؟ فقال: إنما أتيت من قبل رأيك، اقرأ. قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ حتى بلغ:﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ٩-١١]، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠]. قال: خلق اللهُ الأرض قبل أن يخلق السماء، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء، وإنما قوله: دحاها، بسطها[٤].

هذا الرجل نظر في هاتين الآيتين، فوجد أنَّ آية فصلت جاء فيها أن خلق الأرض قبل خلق السماء؛ وآية (النازعات) تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء، لأنه سبحانه قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٣٠]، ثم قال:

---

(١) عمرو بن عمران النّهدي الكوفي. انظر تقريب التهذيب (ص٤٢٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤/٢٦٨).

(٣) تفسير الطبري (٣/٦٥٩).

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور(١٥/٢٣٣) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ فتوهم أنَّ هاتين تخالف إحداهما الأخرى، ولم يعط اللفظ والسياق حقه. فأجابه ابن عباس: بأن الله تعالى خلق الأرض أولا قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعا في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي والأنهار(١).

(ب) ـ التربية على الانقياد والإذعان لحكم الله، وإن كَرِهَه في الظَّاهر(٢).

ومثاله ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ **لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا** ﴾ ﴿ **وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

(فالصحابة حملوا الآية على العموم، وأنَّ حديث النّفس وخواطر القلب التي يشق عليهم دفعها، ولا يسُرُّهم أن يطلع عليها أحدٌ من الخلائق = هم عُرْضة للمحاسبة عليها. فدخلَ قُلُوبَهُم حينئذٍ من التفكر في معنى الآية شدة ومشقة عظيمة، حتى بلغ بهم الحزن أعظم مبلغ.

فأقرهم ﷺ على هذه المشقة التي تضمنها هذا المعنى الذي وقر في نفوسهم، لكنه أرشدهم إلى مقابلة ذلك بالتسليم والانقياد الظاهر والباطن لأمر الله).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص١٢).

(٢) صحيح ابن حبان (٤٥٨/١١).

فقال ﷺ: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]....." الحديث(١). وفيه ذِكْرُ صفة أصحاب رسول الله ﷺ ومنزلتهم من الإيمان واتِّباعِهم القرآن(٢).

(ج) . التأكيد على ما تضمنته الآيات من المعاني العظيمة المخوفة للقلوب. ومن أمثلته:

١ . حديث الزبير بن العوام ﷺ قال: لما نزلت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣١] قال: يا رسول الله أَتُكَرَّرُ علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: "نعم". فقال: إن الأمر إذا لشديد(٣). وفي رواية: "أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: "نعم، ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه"(٤).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾ جاء في سياق الحديث عن ذِكْرِ الخُصُومَةِ يوم القيامة بين النبي ﷺ . والمؤمنون من أُمته تبعٌ له . وبين

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ ﴾ (١/١١٥)، ح(١٢٥).

(٢) الإيمان لابن منده (١/٣٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الزمر، (٥/٣٧٠)، ح(٣٢٣٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مسند أحمد (٣/٤٥).

الكَافِرِينَ المكذبين الله ورسوله[1]. فقرأ الزبير ﷺ الآية بقلبه فلم يقف عند سياقِها بل حَمَلَ اللفظ على عمومه في كل خصومة وقعت في الدنيا بين المؤمنين والكفار، وبين كل مظلوم وظالمٍ، وأنَّها ستعاد في الآخرة بين يدي الله ﷻ وهو الحكم العدل سبحانه.

فاستعظم الزبير ﷺ هذا المعنى، وقام بقلبه الخوف من الله، وسأل النبي ﷺ سؤالاً يتبين به صحة هذا الفهم، أتكرر علينا الخصومة في الآخرة، بعد التخاصم الذي وقع بيننا في الدنيا. وليس هذا فحسب، بل نُسأل عن هذا وعن الذنوب الخاصة بكل واحدٍ منا[2].

فقال ﷺ مبينا كمال عدل الله جل ثناؤه: "نعم، ليُكَرَّرَنَّ عليكم، حتى يؤدَّى إلى كل ذي حقٍ حَقه". فاستشعر الزبير عِظم ذلك الموقف، فقال ﷺ: إن الأمر إذ كان كذلك لشديد.

٢ ـ ومثال ثان عن الزبير بن العوام ﷺ أيضًا، فقد فهم ﷺ من لفظ النعيم في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] العموم، وأنَّ السؤال يوم القيامة يقع على كل نعيم مرَّ بهم في الدنيا، فتفكر في حاله وحال النبي ﷺ وأصحابه، وإذا غالبُ قوتهم وطعامهم الأسودان التمر والماء، فكأنَّه ﷺ تَقَالَّ ذلك، فقال: يا رسول الله، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ فقال ﷺ:"أما إنَّه سيكون"[3].

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣٤٧/٣)، المحرر الوجيز (٨٢/١٤-٨٣)، تفسير ابن كثير (٩٦/٧).

(٢) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل (٩٠/٢).

(٣) مسند أحمد (٢٥/٣)، وسنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر، (٣٠٥/٥)،ح(٣٣٥٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وهذا اللفظ النبوي يحتمل وجهين[1]: إمَّا أنَّه إخبارٌ غيبي بأنَّ هذا النعيم سيكون، وأنَّ الدنيا تبسط لهم، فيكون لهم من النعيم الذي يعدونه هم نعيماً. والثاني:وهو الأظهر، أنَّ السؤال كائن لا محالة، فإن التمر والماء من النِّعم العظيمة التي يسأل عنها. وهذا المعنى فيه من التخويف للقلوب الشيء العظيم، فكل نعيمٍ مرّ بالإنسان سوف يكون محل سؤال ومحاسبة.

(د) ـ الإبقاء بالنَّص القرآني على إبهامه.

يعمد بعض المفسرين في أجوبتهم على سؤالات التفسير، عدم الخوض في تعيين ما أبهم في النَّص القرآني، ومن أمثلة ذلك اختلاف العلماء في تعيين الصلاة الوسطى، فقد روي عن ابن عمر أنه سئل عن الصلاة الوسطى فقال: هي فيهن، فحافظوا عليهن كلهن[2]. وعن محمد بن سيرين قال: سأل رجل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى، قال: حافظ على الصلوات تدركها[3].

ومثل هذه الإجابات يمكن توجيهها ـ والله أعلم ـ بكراهة التنقير والبحث وكثرة السؤالات عمّا عُرِف معناه في الجملة، أو الخشية بأنَّ كثرة الاحتفاء بالسؤال عن الصلاة الوسطى قد يؤول بصاحبه إلى التهاون فيما عداها.

ثانيًا: التربية العِلْمِيَّة.

من صور التربية العِلميّة التي جاء التركيز عليها في أجوبة المفسرين على سؤالات السائلين :

(أ) ـ التأكيد على عمومية الخطاب القرآني. وله صور، منها:

---

(١) عدة الصابرين (ص٣٦٣)، تحفة الأحوذي (٢٠٣/٩)، الكوكب الدري شرح جامع الترمذي (٣٢٥/٤).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور(٦٩/٣) لابن جرير، وابن أبي حاتم،

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور(٩٣/٣) لعبد بن حميد.

١ ـ التصريح بذلك. فعَنْ عبد الله بنِ مَسعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا[١]أَصَابَ من امرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رسول الله ﷺ فذكر له ذلِك، فأُنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذه؟ قَالَ: "لِمن عمِل بها من أمتي"[٢].

فهذا السائل من الصحابة ﷺ نظر إلى ظروف وملابسات نزول هذه الآية، وأنَّها إنما نزلت عقب سؤاله الذي سأل، ثُمَّ نظر ثانياً إلى أنَّ الخطاب في الآية جاء بصيغة الإفراد[٣]، فتوهم أنَّ هذا الحكم وتلك الكفارة التي تضمنتها الآية خاصة به. فكان جواب النبي ﷺ مؤكدًا على عمومية الخطاب القرآني، وأنَّ الآية وإن نزلت بسببه فالأصل فيما تضمنته العموم لجميع من يعمل بها من هذه الأُمة.

٢ ـ التفسير بالمثال. وهو أن يذكر المُفَسِّر في إجابته بعض أفراد اللفظ القرآني العام لمناسبات تقتضيه، منها مثلًا:

ـ مراعاة حال المخاطب بالتفسير.

ومن أمثلته ما رواه الترمذي في سننه عن أم سلمة الأنصارية، قالت: قالت امرأة من النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: "لا تَنُحْن" الحديث[٤].

---

(١) هو أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو الأنصاري، انظر فتح الباري (٨/٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾، ح(٤٤١٠)، (١٧٢٧/٤)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، ح(٢٧٦٣)، (٢١١٥/٤) واللفظ للبخاري.

(٣) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٢٧٩/١١)، الكوكب الدري على جامع الترمذي (١٧٠/٤).

(٤) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الممتحنة، (٢٦٧/٥)، ح(٣٣٠٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

فهذه الصحابية لما سمعت قوله جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَ ﴾ [الممتحنة: ١٢] علمت أنَّ هذا المعروف الذي لا ينبغي لهن أن يعصين رسول الله ﷺ فيه أمرٌ خاصٌّ بالنساء، لكن أشكل عليها تعيينه. فضرب النبي ﷺ مثلًا على ذلك بالنياحة؛ لكثرته وفشوه فيهن، وشدة حاجتهن للتنبيه عليه.

- معالجة موضوع معين يريد التنبيه عليه ويصدق عليه أنه يدخل تحت عموم اللفظ.

ومن أمثلته: تفسير إلقاء النفس إلى التهلكة - في قوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] - بالقنوط من رحمة الله، فروى الطبري عن محمد بن سيرين أنَّه سأل عَبيدة السّلْماني عن هذه الآية، فقال: هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ويلقي بيده إلى التهلكة، ويقول: لا توبة له[١].

(ب) - تصحيح وتقويم المفاهيم والتصورات.

من الآثار التربوية لأجوبة أهل العِلم بالتفسير المساهمة في تصحيح أفهام وتصورات السائلين، وهي من الأهمية بمكان لمن تصدى للتعليم والإفادة، ومن أمثلة ذلك:

١ - عن عَدِيّ بنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ اللَّه: ما الخَيطُ الأَبيَضُ، مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ أَهُمَا الخَيطَانِ؟ قَالَ: "إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إِن أَبصَرتَ الخَيطَينِ". ثُمَّ قَالَ: "لا، بَل هُوَ سَوَادُ اللَّيلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ"[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٣/٣٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾،ح(٤٢٤٠)، (٤/١١٣)، واللفظ له، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ح(١٠٩٠)، (٢/٧٦٦).

٢ . عن عبدِ الله بن مسعود ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذلك على المسلمين، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَيُّنَا لا يظلِمُ نفسَه؟ قال: "ليس ذلك إنما هو الشِّرك، أَلَمْ تَسمَعوا ما قال لُقمان لابنه وهو يَعِظُهُ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان: ١٣]" [(١)].

(ج) . الحث على تدبر السياق القرآني.

من الآثار التربوية لأجوبة مفسري السلف أنها حملت في ثناياها توجيهات للسائلين بالتفكر والتدبر في السياق القرآني مقرونة ببيان فوائده، ومن أمثلة ذلك:

١ . تلمس المناسبات بين سور القرآن، وتبيين أثرها في معرفة معنى فواتح السور.

فعن ابن زيد رحمه الله، أنه سئل عن قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾. فقرأ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ إلى آخر السورة، ثُمَّ قال: هذا لإيلاف قريش؛ صنعت هذا بهم لألفة قريش؛ لئلا أفرق أُلفتهم وجماعتهم. إنما جاء صاحب الفيل ليستبد حريمهم فصنع الله بهم ذلك[(٢)].

٢ . تدريب المتعلم التعرف على معنى اللفظ القرآني من خلال السياق.

فعن الحسن البصري رحمه الله، أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّ﴾﴿هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]. قال: اقرأ ما بعدها. فقرأ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾. قال: هو هكذا، خُلق هكذا[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ ح(٣٤٢٨)،(١٦٣/٤)،صحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب صدق الإيمان وإخلاصه، ح(١٩٧)، (١١٤/١).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٦٧٣/١٥) وعزاه لابن جرير، وهو في تفسيره (٦٤٩/٢٤)، بدون ذكر لفظ السؤال.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٦٩٦/١٤) وعزاه لابن المنذر.

٣ . دفع الشبهات.

فروي عن عكرمة، أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: تزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال الله جل وعز: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[المائدة: ٣٧]. فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها، هذه للكفار(١).

ثالثًا: التربية العَمَلِيّة:

تضمنت أجوبة مفسري السَّلف جوانب عملية تربويّة أثرت في نفوس السائلين، ومنها على سبيل المثال:

(أ) . تواضع العالم بالتفسير.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثت سنة أُريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله؛ هيبة له، حتى خرج حاجاً، فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سِرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة. قال: فقلت: والله إن كنت لأُريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبَّرتك به(٢).

هذا الأثر اشتمل على جملة مِن آداب العالم بالتفسير، والمتصدي لتدريسه، منها تواضع العالم، وهو مأخوذ من قول عمر رضي الله عنه: (ما ظننتَ أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبَّرتك به).

---

(١) تفسير الطبري (٤٠٧/٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الطلاق، باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[التحريم: ١]، (١٨٦٦/٤)، ح(٤٦٢٩)، واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]، (١١٠٨/٢)، ح(١٤٧٩).

(**ب**) ـ التفسير بالمشاهد المحسوس لا بالقول المجرد.

عن مجاهد قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إذ أدَبَرَ﴾[1]. فسكت عني حتى إذا كان من آخر الليل وسمع الأذان الأول، ناداني: يا مجاهد، هذا حين دَبَرَ الليل[2]. يعني حين ذهابه وإدباره.

رابعًا: التربية العقلية. ومن صور ذلك:

١ ـ أنَّ النبي ﷺ إذا سُئل عن شيءٍ مِن العِلم فيه خبر في الكتاب أو في السُّنَّة، ربّما أحال السائل عليه، ويكله إلى فهمه فيه؛ إذا كان هو ممن يصلح لهذا، ونزل تلك المنزلة[3]. ومثاله ما رواه مسلم في صحيحه أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكَلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكَلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: "يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء"؟[4]. فالنبي ﷺ أحال عمر على موضع الجواب.

٢ ـ التشجيع على الاستنباط والاجتهاد لمن ملك أدواته في الربط بين نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ البقيّة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ ، وهاتان القراءتان بمعنى واحد، انظر تفسير الطبري (٤٤٢/٢٣)، السبعة في القراءات لمجاهد (ص٦٥٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٨٣/١٥) وعزاه لمسدد في "مسنده"، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨٤/٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، (١٢٣٦/٣)، ح(١٦١٧).

ومن ذلك عرض الصحابي معاني الأحاديث النبوية على القرآن الكريم على جهة التفهم لمعانيها، وتدارُس العِلم. وما أشكل عليه عرضه على النبي ﷺ الذي يبادر إلى دفع الإشكال وبيانه، ولم يَرِد عنه ﷺ المنع منه أو الزجر عنه.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"لا يذهب اللَّيل والنَّهارُ حتَّى تُعبدَ اللاَّتُ والعُزَّى". فقلت: يا رسول الله، إنْ كُنت لأَظُنُّ حين أَنْزَلَ اللَّه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]. أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا. قال: "إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَة ً، فَتَوَفَّ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِم"(١).

فهمت عائشة رضي الله عنها من الآية أنَّ من كمال وتمام مقتضى وعد الله جل ثناؤه بعلو الإسلام وظهوره على الأديان ؛ أن يكون ذلِك علواً وظهوراً تامّاً ، فلا يلحقه بعد كمال وتمام تحققه نقصٌ أو تبدل حال . ومن ثمَّ استشكلت رضي الله عنها الجمع بين هذا الذي فهمته مع ما تضمنه قول النبي ﷺ من أَنَّ الإِسلَامَ سوف يَدرُسُ ويَذهَبُ أَهلُهُ، وَأَنَّ الأَوثَانَ سوف تُعبَدُ مرة أُخرى . فأقَرّها النبي ﷺ أولاً على هذا الفهم الذي فهمته من ظاهِر الآية ، ثُمَّ أخبرها بخبر غيبٍ لا يُعلم إلا بالوحي، يكون به الجمع بين الآية والحديث .

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، (٤/٢٢٣٠)، ح(٢٩٠٧).

الخاتمة

ويمكن من خلالها بإذن الله تعالى عرض أبرز النتائج التي تضمنها البحث، وهي على النحو التالي:

١ ـ أسئلة السَّلف وأجوبتهم في التفسير: عالجت جوانب التربية المتنوعة، فقد عالجت الجوانب الإيمانية، والعلمية، والعمليّة، والعقلية.

٢ ـ ظهور الدور التربوي للمفسِّر.

٣ ـ رصد البحث بعض الآثار التربوية لأسئلة السلف وأجوبتهم في التفسير، وهي:

ـ الوعظ في التفسير.

ـ التأكيد على عمومية الخطاب القرآني، لغرض التعليم والدعوة والوعظ والتذكير.

ـ الترغيب في تعلم معاني الكتاب العزيز وأحكامه.

ـ مدارسة القرآن الكريم تعلماً وتعليماً.

ـ تصحيح المفاهيم.

ـ استثارة عقل وفِكْر المتعلم للتفسير: بدلالته على موضعٍ مستنبط من القرآن الكريم، أو على التسليم والانقياد لمعاني القرآن الكريم، أو بالتشجيع على الاستنباط والاجتهاد لمن ملك أدواته في الربط بين نصوص الكتاب والسنة.

ـ تعظيم شأن تفسير كلام الله في النفوس، وتقوية جانب الورع فيه.

ـ الانقياد والإذعان لحكم الله، وإن كَرِهَه في الظَّاهر.

ـ التأكيد على ما تضمنته الآيات من المعاني العظيمة المخوفة للقلوب.

ـ تدبر السياق القرآني.

ـ تواضع العالم بالتفسير.

ـ التفسير بالمشاهد المحسوس لا بالقول المجرد.

وهذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبيه الهادي وعلى آله وصحبه والتابعين.

فهرس المصادر والمراجع

١ . أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٢ . الإيمان، محمد بن إسحاق بن محمد ابن مَنْدَه العبدي، تحقيق د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤٠,

٣ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ . تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٥ . تفسير القرآن، مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦ . تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط:١، ١٤٠٦– ١٩٨,

٧ . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري،: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٨ . حاشية السندي على سنن ابن ماجه=كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي السندي، دار الجيل، بيروت.

٩ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، ط:١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٠ . الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

١١ . جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:١، ١٩٨٧م.

١٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣ . دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٤ . السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

١٥ . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٦ . السنن، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٧ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٨ . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٩ . صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد ابن إسماعيل البخاري، تعليق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٠ . صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١ . عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢ . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا، مطبوعات المجمع الفقه الإسلامي، جدة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٢٣ . العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت،١٣٧٩هـ.

٢٥ . الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٦ . فيض القدير، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٢٧ . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٢٨ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٢٩ . الكوكب الدري على جامع الترمذي، مجموعة إفادات وتحقيقات لرشيد أحمد الكنكوهي، جمعها وألفها محمد يحيى الكاندهلوي، حققها وعلق عليها ابنه محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، طبع في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ، الهند، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣٠ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ.

٣١ . لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٣٢ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٣ . محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٣٤ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م.

٣٥ . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٦ . المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٣٧ . مسند البزار (البحر الزخار)، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:١، ١٩٨٨م.

٣٨ . مُصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق محمد عوامة.

٣٩ . معاني القرآن، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٤٠ . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة.

٤١ . مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١: ١٤١٢ . ١٩٩٢م.

٤٢ . مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

فهرس المحتويات